أوراق الخريف

عنوان الكتاب : اوراق الخريف

المؤلف : نعمت مهدي البياتي

التصنيف : رواية

تصميم الغلاف والاخراج : فاطم بنت ال قيس

الطبعة الاولى : 2022

الرقم الدولي (ISBN) : 978 - 9953 -68-803-9

منشورات المعالي

Almaaly publications

Almaay.library@gmail.com

07813897362

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

جميع الحقوق محفوظة لمنشورات المعالي

ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة ، اعادة اصدار هذا الكتاب او جزء منه او نقله بأي شكل او واسطة من وسائط نقل المعلومات سواء اكانت الكترونية ام ميكانيكية بما في ذلك النسخ او التسجيل او التخزين والاسترجاع من دون اذن خطي من اصحاب الحقوق

نعمت مهدي البياتي

أوراق الخريف

منشورات المعالي
Almaaly publications

اهداء

الى كل فتـاة ...إلى كل فتى...إلى الاجيال الصـــاعدة ...أحبوا أنفســكم...وثقوا بقدراتكم..احتضنوا اروحاكم المتعبة...مادمتم لاتعصون الخالق..لا تبالوا بنظرة المجتمع المعوقة..أهم شـــئ هو رضـــاكم عن ذواتكم..انتم تحيون مرة واحدة فاجعلوا حياتكم رحلة لتحقيق ذاتكم فأنتم ســتعيشــون في النهاية مع أنفســكم ولأنفســكم ...ارضـــوا عن أنفســكم بتحقيق طموحـاتكم مهمـا قـال النـاس لكم ..اسألوا قلوبكم واستفتوا عقولكم وانظروا رضا الله قبل وبعد كل شئ...تلك هي حكمة حياتي.

النرجس البري

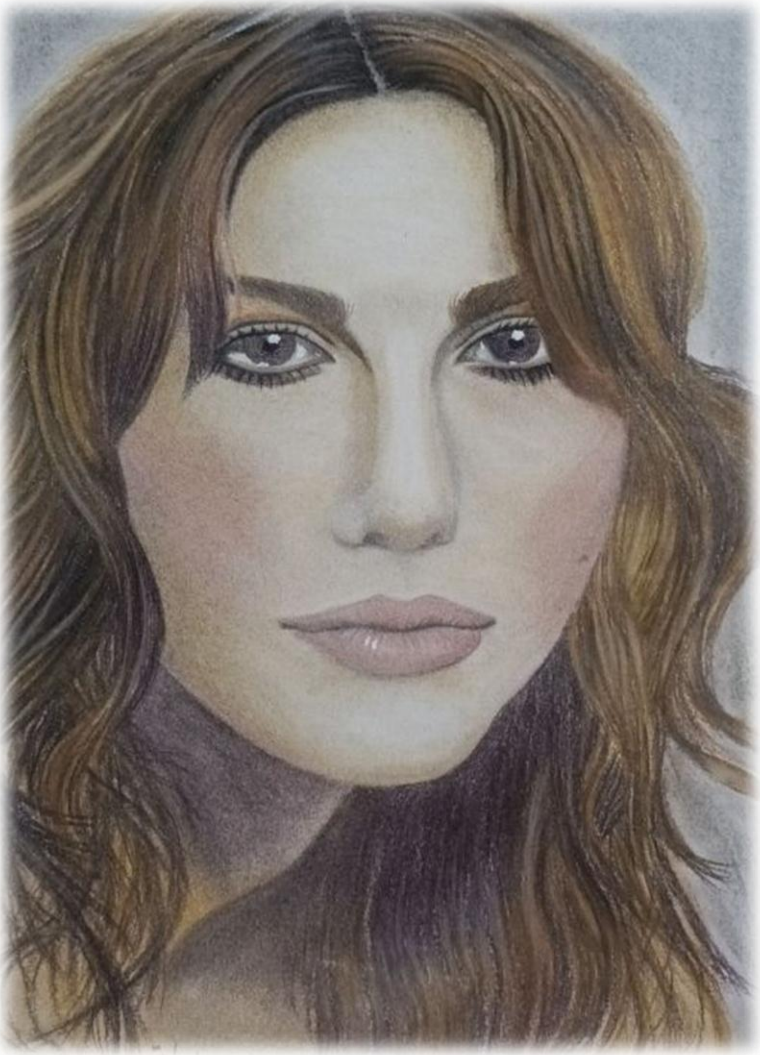

الفصل الاول

كان من المفروض ان يكون اليوم يوم زفافي!! لكنني لا أزال نائمة في سريري الوفير ، أرتدي ثوب نومي الطويل الأبيض وشعري الاسود منسدل على كتفيّ....رأسي فوق وسادتي ويدي اليسرى فوق صدري ...انني الآن في السابعة والعشرين من عمري ، فلماذا ألغيت زفافي!؟ سأجيب على هذا فورا ...فلقد رفضت الزواج في اللحظات الأخيرة وخذلت أسرتي وأسرة العريس والناس الآن يتحدثون عني بجنون! لقد رفضت كل شيء فجأة وأعلنت هذا بوقاحة لامثيل لها أمام اهل الزوج المرتقب...ثارت ثائرة امي اما ابي فقد صفعني لأول مرة في حياتي كلها معه واخر مرة ان صح لي التعبير لكنها_كانت صفعة مؤلمة نفسيا اكثر منها جسديا _ولقد تبع صفعته بقوله أني لست ابنته بعد ذلك وأنه قد تبرأ مني ...لماذا رفضت الزواج؟؟ حسنا، سأقول الآن...لقد أحسست ببشاعة الأمر فجأة بعدما قضيت فترة الخطوبة كلها أقنع نفسي اني سأكون زوجة ذلك الشخص الذي لاتناسب مع ميوله قط!!!! تخيلت نفسي بين ذراعيه قبل العرس بليلة فشعرت بالتقزز والاشمئزاز وقررت أني لم أعد استطيع التصنع اكثر من ذلك لأرضي اهلي حتى لا أكون تلك (العانس)التي ستظل بصمة عار على أهلها... قررت ان انهي المسألة...وليكن ما يكون...لكنني حطمت بذلك سمعة أسرتي، فالناس الآن يتحدثون عني بالسوء ويتقولون الاقاويل ...فأهل العريس لم يصمتوا واخذوا يثيرون حفيظة الناس علينا ... نظرت الى صورتي في ثياب التخرج وتلك القبعة السوداء العجيبة فوق راسي ..امتدت يدي لشهادة التخرج المؤطرة....شهادة الماجستير في اللغة الانكليزية ، نعم فأنا قد تخرجت لأصبح استاذة في كلية الآداب جامعة بغداد...ولقد اصبحت لي وقتها مكانتي العلمية التي يحسدني الكثيرون عليها...وكان العريس المزعوم استاذ القسم في جامعتي ومعنى ذلك اني سوف أُحارب بعنف هناك ، بالأعين والالسن ،ولكن لنعد الى من انا وكيف اصبحت هكذا!!! سأشرح كل شئ الآن فصبرا علي ،

عزيزي القارئ النهم، لن ادعك تنتظر طويلا... اسمي هو نرجس وقد عشت في اسرة متواضعة من الطبقة الوسطى،،،فأسرتي ليست بالفقيرة ولا بالمترفة أبدا...وإنما هي مكتفية ذاتيا بشكل كبير قد يميل أحيانا الى ترف الاغنياء ولكن أسرتي ليست من اولئك الطبقة المترفة على الاطلاق... وجدت نفسي فجأة، فتاة في الثالثة عشر من العمر عندما بدأت الاشياء المحيطة من حولي تأخذ في حياتي معنى معينا وتتشكل امامي بصورة واضحة..لتحدد لي من اكون..فقبل ذلك،لاذكر اني كنت أعي او افكر اين انا او من انا...لكنني فجأة،بدأت احلل الأمور..واكتشفت نفسي التي نسيتها ثلاثة عشر عاما .. فوجدت اني الابنة الكبرى في اسرة مكونة من والدين واختين ..كما عرفت فجأة وكأني لم اسمع بهذا من قبل ،،، أن لي اخا اكبر ، خارج البلاد،،لكنني لم أبالي به أبدا حينها ، لأن سلطتي كأخت كبرى كانت المتعة الاعظم ، فلماذا أدع غيري يغتصبها مني حتى لو كان اخي الاكبر؟؟ لعلي لم أك أحب عودته..ولما سمعت والديّ يتحدثان سوية بسعادة وحزن في آن واحد ذات ليلة ، تسللتُ اليهما وكنت اذذاك في الخامسة عشر من العمر ، لأسالهما عن رسالة أخي ...ابتسمت لي أمي بمرارة وهي تقول:-

_لقد تزوج اخوك يابنتي في بلاد الكفرة! ولم نختر له زوجه ولا نعرفها! صعقت،،، لكنني شعرت بالسعادة لسبب ما ....فهذا الزواج سيربطه هناك و لن يعود ليرأس اسرتي مع زوجته أبدا...هكذا كان مستوى تفكيري في تلك الفترة... انا اضحك الآن على تلك الافكار الحمقاء ولكنها كانت افكاري على أية حال...ودعوني اقول لكم، من هو أبي ...أبي مدرس قدير للغة الالمانية ...اكمل الدراسة بدرجة دكتوراه في المانيا ثم عاد الى الوطن ، ليتزوج امي التي تركها في منزل اهلها مع خاتم الخطوبة لكنه الان متقاعد عن العمل فقد عمل في جامعة بغداد كلية اللغات قسم اللغة الالمانية لفترة طويلة قبل ان يعود الى مسقط رأسه في كربلاء ويتفرغ للترجمة في الكتب وهناك ولدت انا بعد اخي الاكبر (فادي)... بعد تقاعد والدي وتفرغه للكتب والترجمة ،فتح محلا صغيرا

من منزلنا لبيع المواد الغذائية ليساعده في المعيشة ..فترجمة الكتب لم تكن مربحة على أية حال وخاصة اللغة الالمانية اللهمّ الا من كان من معارفه من بغداد في الجامعة ممن يجلبون له عملا في ترجمات الكتب ... وعلى أية حال قد تتساءل عزيزي القارئ لم اقترن والدي المترجم المثقف بوالدتي غير (الجامعية)؟؟؟ سأقول الآن لماذا...فلقد كانا يعرفان بعضهما قبل الزواج وعندما يقص أبي حكاية حبه لأمي، نجلس نحن الفتيات الثلاثة لنستمع بشوق وبلهفة... كان يقول لنا... _رأيتها أول مرة،وهي تسير على الرصيف لتذهب الى المدرسة..كانت مجرد نظرة خاطفة لكنني وجدتها أمامي فجاة،وانا ادخل منزلي عندما عدت ذات يوم من الجامعة...لأبشر اهلي بإكمالي دراستي للماجستير واكمال اطروحتي التي ناقشتها بحضور اساتذتي في الجامعة في بغداد ، كنت عائدا الى مسقط رأسي هنا في كربلاء ، فرحا بدرجة الامتياز واكاد ان اطير فرحا لما التقت عينيّ بعيني والدتكن فأغضضنا البصر حياءا لكن تلك النظرة جعلت قلبي يضطرم بنار حبها، فأمّكن أجمل الفتيات في زمانها... وهنا تماما تقوم والدتي باستحياء بضرب والدي على كتفه بلطف وهي تبتسم خجلا ووجنتاها محمرتان وتهرب الى خارج الصالة بسرعة بحجة عمل الشاي لوالدي بينما اجد ابي باسما بسعادة لاتضاهى... لكن امي رغم عدم اكمالها لدراستها لم تكن فتاة غير مثقفة على الاطلاق.. فلقد كانت شغوفة بالمطالعة وزواجها من والدي جعلها تقرأ المزيد من الكتب .. اما اخي الاكبر فادي فقد سار بخطى ثابتة تحت رعاية والدي حتى اتم دراسته في كلية الفنون الجميلة وطار بعد ذلك الى فرنسا ليكمل الماجستير ثم سافر بعدها مباشرة الى اميركا حيث استقر هناك بتشجيع من والدي رغم معارضة والدتي الضمني لذلك الامر ..لم اكن اهتم لأخي الاكبر قبل ان انهي دراستي الثانوية كما اسلفت سابقا وعندها خطت يراعي اول رسالة له، كانت مزيجا من الاعتذار والندم ...لأني ادركت اخيرا ان لي اخا اكبر وكانت هذه رسالتي... اخي فادي العزيز، سامحني ياخي الغالي،لكنني لم اكن واعية لحقيقة وجودك كأخ

اكبر لي إلا الآن بعد تجاوزي مرحلة الثانوية ، اتصدق هذا!!! الآن فقط وبخني ضميري اذ انني لم اكتب لك ابدا رسالة واحدة ..انت تكبرني كثيرا .. عشرة اعوام ليست أمرا هينا قبل ان يعود والدي الى مسقط رأسه وينجبني هنا في كربلاء، لكن ذلك لا يمنع كوني الاخت الاكبر الآن، اليس كذلك؟؟ اريد فعلا التعرف عليك وعلى زوجتك،، ارجو ان لااكون في نظرك مجرد اخت عاقه،،، سامحني ياخي... كانت رسالة مختصرة للغاية كتبتها في نهاية رسالة من أبي لأخي الاكبر فادي وكأنني اتعلق بذلك بأذيال ابي في الرسالة ذاتها.... وجاءني الرد على رسالتي برسالة رائعة خاصة لي وحدي،وضعها اخي مع رسالته لوالدي وقد كتب لي في بدايتها.. (اختي الغالية نرجس..)... وتلك كانت اجمل الكلمات منه في أول سطر.. لقد سعدت بتلك الرسالة أيما سعادة وقررت ان اكتب له باستمرار وهكذا كان ...حدثته عن ميولي ورغباتي في دخول كلية الفنون الجميلة لأنني اهوى الرسم ..حدثته عن شغفي في كتابة القصص والروايات والشعر..وارسلت له احدى تخطيطاتي المتواضعة بالقلم الرصاص فأرسل لي احدى تخطيطاته في رسالته اللاحقة بحيث أبهرتني وجعلتني أشعر بتفاهة تخطيطي مقارنة به...وأرسل لي صورة له مع زوجته العربية التي اصولها من المغرب..وكانت تدعى (منى)..مغتربة تعرف عليها في اميركا وقد قال لي انها تبعث تحياتها وحبها الي ..وشجعني بعبارات رائعة على الاستمرار في مواهبي لكنه أيد كلمات والدي التي ذكرتها له في الرسالة عن وجوب ذهابي لكلية الآداب وليس الفنون..دون ان يوضح الاسباب!! وهكذا تم الامر،،، فقد ذهبت إلى كلية الآداب واخترت اللغة الانجليزية لأنني اعشقها وسعيت للاجتهاد في دراستي دوما وهكذا كان !!! لم تنقطع بعدها تلك الرسائل التي بيني وبين اخي فتعاظمت الآصرة بيننا واخذنا نشعر بأخوتنا عبر الكلمات فوق الورق!!! كنت اعرض له مشاكلي ويعرض لي مشاكله عبر الرسائل واظل انتظر رسائله بفارغ الصبر وقد كان والدي يجلبها لي من دائرة البريد لان نظام بلدي ليس فيه صندوق بريد لكل شخص في ولايتي بالتحديد...وعلى

اية حال فأنا اتحدث عن زمن لم يكن هنالك فيه انترنت او فيسبوك او انستغرام او اي موقع للدردشة بين البلدان..لكن لطعم الرسالة نكهة لا يمكنني وصفها تعادل الف رسالة الكترونية الآن... وعلى العموم فقد مارسنا اخوتنا بذلك الشكل طويلا فما كان اروع هذا!!!! والان سأتحدث عن اختي نورس التي تصغرني بعامين... هذه الاخت تقارب عمري لكننا لم نتفاهم او ننسجم ابدا فقد كانت لها ميول تعاكس ميولي فهي تحب الموسيقى الصاخبة وانا الكلاسيكية ..هي تحب افلام العنف وانا احب الرومانسية منها... هي تحب الرقص ...وانا لا اعرفه...انا أحب الجلوس لساعات في حديقة والدي أتأمل الطبيعة دون ان أملّ...هي تحب القصص المبتذلة في قراءاتها كروايات عبير وغيرها اما انا فأحببت دوما قراءة الروايات العالمية والانسانية الهادفة...هي لم تكن تبالي بالحجاب مثلي ، بل كانت تسخر من حجابي ...كانت على طرفي نقيض مني ولم اشعر انها قد احبتني يوما لما كنا قد ترعرعنا سوية ...ولم نكن لنتحدث الا للضرورة ..مثلا _اين ثوبي الازرق يانرجس؟؟؟ _في درج نرمين!!! من هي نرمين!!! انها اختنا الصغرى ...ملاك المنزل بلا منازع ..آية من الهدوء والتواضع بحيث كنا ندعوها نسمة الدار...فلا يسمع لها صوت ولايحسّ بوجودها ابدا..كانت دوما تميل للاعتكاف في غرفتها لقراءة القرآن والصلاة فكان والدي يخاف عليها كثرة الانغماس في العبادة وكذلك كانت والدتي لكنها لم تكن تصغي لهما... بل كانت تقبل رأسيهما وتذهب الى غرفتها ما إن يحاولا التحدث عن حياتها...تغلق الباب على نفسها وتقرأ كتب الدين من مكتبة والدي والتي لم اكن امسّ منها الا النزر اليسير_وأعني بذلك كتب الدين لاغيرها ...(نسمة) تلك او نرمين بالأحرى هي أختي الصغرى والتي ورثت جمال والدتي وعينيها الخضراوتين...لكنها كانت معتزلة دوما حتى عن الاقرباء وابناء عمومتنا بالأخص،، لأنني هنا سأتحدث عن ابن عمي مرتضى الذي احب نرمين حبا نقيا طاهرا حتى النخاع... حازت نرمين من رب العالمين على نعمة الجمال الفائق، فلها عينان خضراوتان تميزت بهما عني وعن

نورس فعيناي سـوداوتان كعيني والدي تماما...اما شـفتاها فهما كحبة كرز حمراء لاتحتاج الى حمرة تتضرج بهما الدماء...اما وجنتاها البيضاوتان، فهما تفاحتان حمراوان ،لم تك شـقراء لكنّ جمالها زاد بتلك الرموش السـوداء الطويلة وهي تنسدل على عينيها الخضراوين....وذلك ما كان ولازال يجعلني اذوب حبا لها ولرقتها المفرطة... هذا عن مظهرها الخارجي أما صـفاتها الداخلية الروحية، فهي مزيج الرقة والسـذاجة والطيبة المفرطة...كنت أحبها إلى درجة عظيمة وأحب تقبيل وجنتيها كل يوم قبل ان تنام ومرة سألتني:

_لماذا تحبين تقبيل وجنتيّ؟ نظرتُ إليها وهي أمام باب غرفتها ، متسـائلة محتارة ...وقلت... _لأني أحبك حبا جما... ولم تجادلني فهي لا تستطيع مجادلة أحد عكسي انا تماما...وماكانت لها شخصية كشخصيتي المتحدية القوية...التي دفعت عميد كليتي إلى الإقدام على إرسـال أهله لخطبتي، فقد كانت ناعمة رقيقة،كنسمة هواء صغيرة...كم تصغرني...سأقول ذلك...نرمين تصغرني بستة أعوام... والان سأتحدث عن ابن عمي المسكين مرتضى...فلقد اعتاد ابناء العمومة الاجتماع في منزل أبي كل شهر ، لأنّ أبي هو العم الأكبـر في العائلة ، وله ثلاثة اخوة يصغرونه في السنّ ،ولكل واحد منهم مالا يقل عن الثلاث شبان ، والمهم ان منزلنا كان يُقلب كل شـهر بقدوم ابناء العمومة مع ابائهم واخواتهم وامهاتهم...وكانت نورس الافضل في مسالة الطبخ ورعاية الضيوف ومجاملة نساء عمومتي ومساعدة والدتي ولطالما سخرت مني امامهم بقولها :

_اذهبي إلى قصصك فأنت جيدة فيها فقط...

وهي لم تقرأ قصة واحدة لي قط!!! والمهم أن ابناء عمومتي اعتادوا اعتكاف نرمين في غرفتها بعيدا عن لغطهم واحاديثهم...لكنها فجأة ذات يوم... هبطت من غرفتها_اقول هبطت لأنها كملاك قد هبط من السـماء_ترتدي حجابها الكامل مجللة بالسواد من ربطة شعرها وحتى جلبابها الأسود وجواربها...فنظرتُ إليها بدهشة حتى كدتُ أن أُسقط ملعقة الحساء من شفتيّ

، وانا اتناول العشاء مع ابناء العمومة وبناتهم..فلقد تصورت أنها روح ما أو شئ نوراني هبط علينا من السماوات العليا...ونظرت ابناء عمومتي فوجدت كأنّ على رؤوسهم الطير ..حتى بنات عمومتي، بل حتى أمي وأبي!!! بل حتى زوجات عمومتي ، ونورس كذلك ...والتي كانت تجلس كما اعتادت بلا حجاب بين اولاد عمومتي بحجة أنهم مثل اخوة لها.. فلقد تضاءل جمالها أمام ذلك الجمال الملائكي .. لما تقدمت نرمين منا ،كان الجميع يعرفها بإسم نسمه كما اسلفت...وأعني بالجميع، اقرباءنا ...تقدمت نسمة بهدوء الراهبات ووقارهن...لتنظر إلينا بعينيها الخضراوتين نظرة حائرة كأنها تباركنا نحن الخاطئون جميعا وتغفر ذنوب اولاد عمومتي وهم يتمازحون مع نورس وبنات العمومة الاخرين وليس معي لأنني دوما ماكنت حادة الطباع لا ارضى بالمزاح كثيرا مع الرجال حتى لو كانوا بني عمومتي ودمي ولحمي...شكرا لك أيتها المخلوقة السماوية إذ منحتنا بركة النظر إلينا بعينيك الرائعتين...ولم أصدق أنها قد حركت شفتيها لتنطق كلاما انسيا:

_السلام عليكم ياذوي رحمي...لقد اوصاني الله بصلة الرحم حتى لو بالسلام وأنا اعتذر لأنني اعتكف للصلاة في غرفتي طوال الوقت لأنني لا اقبل الاختلاط مع الرجال .. وأردت فقط أن اقول لكم سلام عليكم وأعود لغرفتي.... رباه... لقد ظل الجميع واجما حتى غادرت الصالة الكبيرة حيث مدت سفرة الطعام التي اجتمعنا حولها كلنا!!! كم استمر الأمر حتى عدنا إلى رشدنا بعد تلك (الغيبوبة) التي أصابتنا!! رفعت رأسي إلى أبي..فوجدته مطرقا لا يلوي على شئ...ونظرت إلى نورس،فوجدتها منقبضة كأنها كرهت ظهور جمال نرمين الاخاذ على العكس مني إذ شعرت بالفخر أنّ لي اختا مثلها..جميلة ورقيقة ، بيضاء البشرة طويلة القوام رشيقته لها ملامح دقيقة وانف مستقيم صغير وشفتين كحبتي كرز...منذ ذلك اليوم ومرتضى يتردد على منزلنا وكأنه في دوام رسمي ...ولكنه في تلك الليلة أخذ يسألني اسئلة كثيرة عن نرمين حاول ان يجعلها غير مباشرة قدر الإمكان، دون ان يعلم أنّ أمره مفضوح امامي فقد

حرقه الشوق وقتلته اللهفة لرؤيتها ولو لمرة أخرى واحدة!!! لم يسأل نورس عنها وكأنه استقرأ قلبها دون علمها ...وكأنهُ كان يعلمُ انها لا تحب نرمين كثيرا لأنها كانت لا ترتدي الحجاب عكس نرمين التي لطالما رمقتها بنظرات الشفقة لما تراها تجلس مع ابناء عمومتها دون مراعاة للحرمة بينها وبينهم في الدعابات او في الكلام او الضحك...ولطالما كانت نرمين توبخها بقولها _ويلٌ لك ياالختاه!! وكانت نورس تنقل ذلك حرفيا لمرتضى وابناء عمومتي ولكن بطريقة تهكمية .. وذات يوم..اقتحمت على نرمين عزلتها ...إذ دخلتُ قائلة.. _هل يجوز لي قطع دقائق من وقتك؟؟ _صلة الرحم معلقة بالعرش،تقول:(من قطعني قطعه الله ومن وصلني وصله الله)...

وجلستُ على السرير بجوارها ، وهي عاكفة على كتاب ديني جديد من مكتبة أبي...

_نرمين..

_بلى!!

ورمت بالكتاب بهدوء ،وعقدت يديها،ملتفتة اليّ بشكل كليّ.. فارتبكتُ...ولم أعد أعرف كيف أكلمها...نظرتُ إلى شعرها الأسود الناعم(جدا) ، والمعقود إلى الخلف بشكل لطيف يكشف عن لامبالاة بهذه (الامور) الدنيوية_اذ انّ شدّ الشعر والاعتناء به قد يشغلها عن عبادتها،،،هذا ما فكرت به..

_أردتُ ان اطرح بعض الأسئلة عليكِ..

_"وقل ربي زدني علما"...

قالت بهدوء ،فصعقتُ...لكنني قررتُ اقتحام واقعها..

_هل أنا فاسقة في نظرك!!!

_"ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا"..

_لم تتحدثين بالقرآن فقط!!حدثيني كما أحدثك!!

_"فذكر بالقرآن من يخاف وعيد"...

_نرمين!!!

_.....

لم تجب بشـــيء فشـــعرتُ بحزن واكتئاب...قلت لها أخيرا واضـــعة يدي على كتفيها...

_رسول الله قد نهى عن الرهبانية...

هنا فقط ..رفعتْ راسـها اليّ..ونظراتها كلها قلق وتوتر...فشـعرتُ بالنصـر...اذ انني استطعتُ مسّ وتر منها لأحركه برفق وأجد الأوتار الاخرى...

_بلى ياختي الصـغرى...وأذكر لك الحادثة الآتية...فيوما ما، شـكى رجلٌ لأمير المؤمنين علي بن أبي طـالـب أحد اهل بيتـه،معتكفـا كمـا أنـتِ فـاعلـة ...في غرفته،او لنقل محرابه،لايكلم أحدا...وهو منشـــغل بالعبادة فحســـب فهرع إليه امير المؤمنين واحزري ماقاله له..

لاحظت فجأة تغير لون وجهها اذ امتقع خوفا،فنظرت الي بقلق..

_ماذا!!

وشـــعرت هنا بالســـعادة لأنها حدثتني ب"لماذا"...لا بآية من القرآن ..ولأنها ستتحدث الي كما اتحدث اليها...

_قال له... رحمة بأهلك..فرفع الرجل رأسه وقال له..أنت ياامير المؤمنين تقول هذا!!! ...قال له..

_انا لسـت مثلك..انا امير المؤمنين وقدوة المسـلمين...فقم إلى اهلك..وقلتُ لها ذلك وانا اشـــدد على مقاطع الكلمات متحكمة بنبرات صـــوتي لأحاول التأثير عليها مستغلة كل قدراتي الفنية،فوجدت الاستجابة أمامي اذ انتفضت نرمين..

_من قال لك هذا الكلام؟؟

_موجود في كل الكتب!! إذا مـا فـائـدة مـا تقرئين؟ هل اجلب لك بعض الكتب لتقرئيها؟؟؟

_ اه،، رحمـاك يـارب...احقـا هذا مـا تريـد ،، ان اخرج الى الفســـاد...ان ارى الاشرار... ان اختلط مع الفاسقين!!!يارب،يارب...

ودفنت وجهها بين يديها فاحتضـــنتها بحنو كبير..وأخذت تجهش بالبكاء فقلت لها..

_نرمين،يانســـمتي الغالية...إن الاســـلام دين عملي ولايرضـــى لك بالاعتكاف والرهبنة بهذا الشكل..بل ان الراهبات اليوم لم يعدْنَ مثلما كنّ من قبل بل أخذن يخرجن ويدرسن ويمارسن الحياة كمدرسات للأيتام ويشاركن في الأنشطة المجتمعية الهادفة لمساعدة الفقراء والايتام والمعوزين...

وإنما يمحص الله المؤمنين عندما يخرجون للحياة العملية فهنالك يبرز الشيطان مكشرا عن أنيابه ليوقعهم في الخطيئة ، فيعرف الله الفاسقين من العابدين بأعمالهم اختبارا وهو يعلم علما مسبقا أزليا بذلك، وهكذا ستجدين حلاوة الإيمان الحقة لما تكويك نار الدنيا وأنت تقاومين الاشرار يااختاه..وإلا فما اسهل ان يتعبد المرؤ دهرا في غرفته دون ان يرى أي اختبار خارجي...

رفعت نرمين هنا رأسها الي..ليفغر فاهها عن حركة تساؤلية...

_كيف،،،ياختي الكبرى؟؟

_بالإيمان، حبيبتي...فكلما قاومت اكثر ...أحبك الله أكثر....

_أقاوم!!! ماذا اقاوم؟؟؟

_تلتزمين بطاعة الله وتقاومين المغريات حولك...هذه هي المقاومة لا الاعتكاف هنا!!!!

وصدق او لا تصدق..عزيزي القارئ...فمنذ صباح اليوم التالي ، خرجت نرمين من صومعتها واخذت تختلط بنا وتتعايش معنا بشكل فعال تدريجيا....

الفصل الثاني

ولاتسل،عزيزي القارئ عن مرتضى...فقد أصبح منزلنا هو منزله، ولم يعد يطيب له مبارحته أبدا...وكان يتعلل كل مرة بعلل كاذبة ليقنع والديه بالمبيت في منزلنا وماكان جواب والدي إلا أن يقول..

_دعه ياأخي فهو منزل عمه...

وبما أنّ نرمين اخذت تخرج من صومعتها،فقد كان المسكين يتحين كل فرصة للتحدث إليها...فكان مرة يقول أنه يحب الجلوس في المطبخ،عندما تذهب نرمين لمساعدة والدتي فيه ومرة يقول..

_لا توجد غرفة اجمل من غرفة الاستقبال هذه في منزل عمي..

وذلك عندما تذهب نرمين إليها،لكنّ المسكينة ما كانت لتتحدث إلا نادرا...فقد كان خروجها،واختلاطها بنا نحن(الخاطئون) أمرا يفوق طاقتها...فما بالك بالتحدث معنا!!! فلقد كان ذلك فهمها للدين في تلك المرحلة ،عزيزي القارئ، وكنت انا كأخت كبرى لها ،اسعى جاهدة لإخراجها من مفاهيمها الخاطئة رويدا رويدا....

والمهم هو ان مرتضى أخذ يهزل يوما بعد يوم وبدأت أمه تتحدث عنه بالسوء فتغلظ له القول كلما أراد او اصرّ على البقاء في منزلنا...ومرتضى هذا،كان طالبا في كلية التربية قسم اللغة العربية، وفي السنة الثالثة، اي ما قبل الأخيرة...وبما أن العطلة لم تنتهي انذاك ،فقد بقي لابثا في منزلنا ينتظر ان تنظر له نرمين ولو مجرد نظرة واحدة...ولكنها ماكانت تبالي به ولا حتى لتعرف أنه شغوف بها فهي لم تكن تنظر إلى نظراته التي كنت انا بالمرصاد لها دوما دون علمه،فلا ادري هل أضحك عليه ام ارثى له في سري؟! وكل تلك الأحداث، كانت مادة دسمة في قصة جديدة لي كنت اكتبها في غرفتي كلما أردت النوم فيهجرني ...ولاأجد نفسي إلا مع تباشير الفجر فأتوضأ واصلي خجلا من خالقي قبيل الآذان...كان ذلك كله في العطلة الصيفية قبل الدوام...

فجأة وفي منتصف العطلة،جاءتنا رسالة من فادي لتفجعنا بخبر وفاة زوجته في حادث كاد أن يودي بحياته كذلك...لولا أن منّ الله عليه وأنجاه من الموت ، لكنه فقد طفله اذ مات ابنه مع زوجته وهو جنين في احشائها بعد تعرضها لرصاصة من معتد جبان دلف منزل اخي ليسرقه على حين غفلة وكان فادي خارج الدار، فلما صرخت زوجته برؤيتها للص، لم يمهلها ،وكل ذلك كان مسجلا بالكاميرات كما شرح لنا أخي في رسالته بقلب دامٍ... قال لنا أنه لم تعد لديه رغبة في الحياة ...كتبت له أرق العبارات وأجمل الكلمات ...لأرفع من معنوياته...ومرة أخرى، لأذكره بالله وعدم رضاه عنه إن ظل على ذلك المنوال من اعتراض على قدره...وبدأنا انا ووالدي نكتب له بشكل متتابع،وهو يرسل لنا رسائل تحمل كلمة واحدة أو كلمتين ك...شكرا لكم...او ...لاداعي للإزعاج..او ما شاكل ذلك...حتى ان نرمين كتبت له بعض المواعظ الدينية وأرفقت رسالتها برسائلنا...حتى لا يفقد ايمانه أو ثقته بربه...وكذلك فعلت أمي ونورس...كتبت له امي بأسلوبها البسيط مالا أستطيع وصفه من الكلمات الحنونة ومشاعر الامومة الصادقة،،، وأخيرا وفي نهاية العطلة الصيفية وقبل بدأ العام الدراسي الجديد...أرسل لنا فادي رسالة كلها فرح وبشرى...فقد أعلمنا فيها ،أنه قد اقترن بفتاة اميركية ، وأنها قد أسلمت قبل زواجه منها وأنها قد اعادت له بهجة الحياة وحبه لها...فأسعد قلوبنا جميعا..وصلينا آنذاك صلاة الشكر جميعنا... وذات يوم..جاءني مرتضى بعد أن سلّم على والديّ،،،زائرا منزلنا مع والديه...ليقول لي بصوت تتقطع له القلوب،وبعينين دامعتين ووجه شاحب.. _نرجس،ارجوك واتوسل إليك، لا تدعي احدا يعلم بما سأقوله الآن..لكنني محتاج جدا الى مساعدتك..استحلفك بكل عزيز عندك وغالٍ...ساعديني يابنت العم... _تعني في مسألة نرمين؟؟!

_رباه!!! لطالما فهمت كل شئ دون ان نتحدث به...شكرا لتيسير الامور لي ارجوك....

_ماذا؟!؟

_.....!!!

وتلعثم ،ونظر الي بتوتر وعصبية ممزوجين بغضب خفي..

_انـا..انـا احبهـا ،،،احبها حد الموت....أنت لا تعرفينني ...أنا عاطفي جدا..حتى وان كنت اظهر بمظهر حازم اغلب الوقت...

_أعرف هذا يامرتضى...

قلت له ذلك بهدوء فنظر اليّ بعينيه العسليتين نظرات الامتنان..

_نرجس،هل تدرك هي أنني أميل إليها!!!

_لا ..ابدا ،حسب علمي...شبه مستحيل...

_أبدا..مطلقا!!!

قال بصوت يائس،حزين متهدج...ثم شد على شعره البني بأنامل يده الطويلة القريبة للسمرة أكثر منها للبياض بفعل الشمس ....

_نرجس،،، ارجوك...ســـاعديني...ســـأموت حقـا...لااســـتطيع ان ادرس ،،،لااستطيع،،،لقد أجلت دراستي لهذا العام وسأسعى لذلك بتقرير طبي...أبي وامي قلقان جدا عليّ لأنني اتعصـــب معهما ولا اطيق الكلام مع احد...والدي يحدثني عن مســـتقبلي ويحذرني من مغبة تأجيلي لدراســـتي...لكنني أحبها يـانرجس ولا اســـتطيع ان ادرس ابدا فـأنـا لم أعرف ارق ولا أروع ولااجمل منها...

_مرتضى..ارحم والديك قليلا...

شد مرتضى على شعره بيده اليسرى وشدد الضغط على شفتيه...نظر اليّ بحزن نظرات متوسلة ..

_هلا حدثتها عني...هلا قلت لها أني سأفعل لها اي شئ تطلبه!؟

_لم لا تتقدم لخطبتها يامرتضى؟!

_ماذا؟!

نظر الي بذعر فقلت له بدهشة..

_ماذا؟!

_نرجس؟! سترفضني...لأجل عبادتها ودينها...
_كلا على العكس،،،من قال لك هذا...فقد حدثتني ذات يوم أنّ الله لا يرضى اذا ما تقدم شاب مؤمن بالله بطلب يد فتاة مؤمنة أن ترفضه تلك الفتاة بحجة أنه لايعجبها..
وفجأة ،اشرق وجهه بنور الأمل فما عاد يدري ما العمل..
_نرجس....أحق قولك هذا؟! سأتقدم لخطبتها أقسم أني سأفعل أقسم لك...
وحدث ذلك فعلا فجاءتني نرمين باكية وأحطتها بذراعي لأقبّل وجنتيها...
_نرجس، ماذا افعل ...قولي لي؟؟
_كم عمرك الآن؟؟
_عمري...ستة عشر عاما..لماذا؟!
_وانت الآن في الصف الرابع الاعدادي..أليس كذلك؟
_نعم..ولكن لم هذه الاسئلة؟
_عليك ان تقبلي ياعزيزتي..
_لماذا؟!
_لأنك فتاة كبيرة ولست بصغيرة ابدا...انت فتاة ناضجة وعليك اتخاذ القرار الصحيح!!!
_بنفسي؟!
_بلى ياختي الصغرى..
_وهل اوافق ياختاه ام لا؟؟!!!
_عليك أنتِ الاجابة على هذا السؤال..
نظرت إليها وهي حائرة... تلوي شفتيها الصغيرتين بدلال وذراعاها محيطتان برقبتي وتمنيت حينها من كل قلبي ان ترفض مرتضى لتظل بجواري...فقد شعرت بغيرة شديدة منه، فكيف له أن يأخذ جوهرة منزلنا منا وبركة الدار كلها؟ كيف له ان يسرق لؤلؤتي الفريدة مني... كيف له ان يخطف منا كنزنا الغالي هذا!!

_نرجس.. انا موافقة...
وتنهدتُ بحزن..فرفعت عينيها لتبرقا بلمعة لم الحظهما بهما قط من قبل وهمست في اذني بهدوء..
_لأني احبه..
_ماذا!!!
نظرت اليها مصعوقة..
_انت..انتِ تتحدثين عن الحبِّ؟!
_لم لا.. ألست بشرا !!
_نرمين..نسمتي ..لا تدعينني أجن..
_أنا اعرف كيف كان ينظر إلي حتى وان لم انظر اليه!!!
قالت ذلك وهي تقف فجأة مبتعدة عني لترقص في الهواء محركة ذراعيها الرقيقتين بسعادة لامثيل لها...
_وكان يحدثك ويسألك عني... مرارا وتكرارا...كان ولايزال يحبني..والله يحب الزواج المبكر فهو عصمة من الشيطان ...ثم اني..لست ادري..قد سألت الله في سري ان يجعله زوجا صالحا لي ..لي وحدي دون كل فتيات الأرض. فهو صالح وطيب القلب...
_أيتها الشيطانة!!!
صرخت بها ممازحة، فنظرت إليّ باسمة وقالت..
_لاتقولي هذا لأحد ياختي الحبيبة ،فقد قصصت عليك ذلك لأنني اعرف انك سوف تستفيدين منه كخبرة متراكمة في ذاكرتك الروائية..
_كيف تعرفين هذا؟!
نهضت ممسكة بيدها الناعمة لأقرصها برفق...فهربت ضاحكة خلف باب غرفتي..
_شكرا لك يا نرجسي الحبيبة...

وأطرقت بحياء ثم ابتعدت..فارتميت على الســـرير أحلم بســـعادة .. _وأنـا ياترى...من سيكون فارس أحلامي!!!

الفصل الثالث

لا تسل عزيزي القارئ ابدا عن نرمين عندما ارتدت ثوب الزفاف...لقد اصبحت فجأة كطير من السماء...وتمنيت لو ضممتها إليّ طويلا قبل أن تبتعد عني وهي تبكي لتضع أمي عباءة بيضاء فوقها مع حجاب أبيض للوجه...تمنيت أن تبقى معي..بينما عينا مرتضى تكادان تقفزان من محجريهما خلفها..وله الحق في ذلك فعروسه أجمل فتاة على وجه الارض في نظري ونظره....لقد بكيت...نعم...بكيت في غرفتي بعد ذهاب الجميع في سيارات العرس لتوديع العروسين وهما يذهبان الى فندق(شيراتون)في بغداد...توسلوا إلي ان اذهب معهم لكنني لم استطع...بل جلست أبكي وحدي...إذ انتابتني مشاعر لا حصر لها،متباينة متشابكة....دفعتني لإغراق وسادتي بالدموع...كم رقصت نورس أمام النساء في العرس حتى كاد خصرها ان ينفصل عن جذعها...أما أنا فلم يكن نصيبي في الحفل سوى الدموع،،،حتى لقد ظن الجميع بي الظنون وتقولوا عني أقاويل من قبيل أن الاخت الكبرى حزينة لأن قطار الزواج فاتها أو ان اختها الصغرى قد تزوجت قبلها....كم بكينا ،انا ونرمين حبيبتي،ولكم تبادلنا نظرات الوداع والحبّ...أختي الحبيبة الرائعة...شددت على الوسادة بيدي...وتمتمت شفتاي... يارب،كن معها...كن معها... وفي صباح اليوم التالي...وصلتني رسالة من فادي أن زوجه حامل وأنه سيرزق اخيرا بطفل يعوضه عن حرمانه من طفله الذي مات جنينا في رحم امه...وأسرعت بحمل الخبر إلى والديّ اللذين تهللا فرحا وقبّلاني بسعادة....والان أفقت فجأة من أحلامي ونهضت من فوق السرير...كم مضى على زواج نرمين...آه،ياالهي...خمسة أعوام..لقد أصبحَت الآن أما لطفلين الآن والثالث في طريقه الى الحياة وهي ومرتضى أسعد زوجين في الكون_ لقد انجبت خلال حياتها مع مرتضى ابن عمنا خمسة اولاد ذكور ولم ترزق بفتاة ابدا _لكن نرمين لم تكفّ عن اعتكافاتها وحبها وتقربها لرب العالمين،،،

وذلك ما خلق نوعا من المشاكل مع زوج عمي ووالد مرتضى،،،لأن العمة_أم الزوج

_لا ترتضـــي لزوج ابنهـا الجلوس في مصـــلاها طويلا دون القيـام بمهـام المنزل،،لا أقول كل عمـة، عزيزي القـارئ، لكن على العموم..كانت نرمين قد عملت بنصيحتي وتركت (الرهبنة)التي كانت عليها من قبل...لكنها كانت تتمنى ان ترزق ببنت واحدة...رغم أنّ اهل زوجها كانوا يحملونهم فوق اكتافهم حبا وكرامة لذكوريتهم التي سيحملون بها اسم عمي ووالدهم (وذلك تفكير اغلب أهل الشرق)...

نقرٌ على الباب..

_من؟!

_إنه أنا ،والدك...

كنـتُ قـد اعتكفـتُ في غرفتي،لا تعبـدا وزهـادة في الـدنيـا كنرمين،لا، وإنمـا تمردا....فوالدي قد صـفعني ، وكان من حقي أن أرفض...رغم أني اعرف قلق أمي عليّ من أن أصـبح عانسـا، على حد تعبير الناس،وخصـوصـا بعد سـفر أختي نورس الى امريكـا وزواجهـا من أحد الغربيين هنـاك، بمباركة من أخونا فادي حسـبما ورد في رسـالة منها ومنه أنه من معارفه هناك في بلد الغربة، وأخٌ توأم لأحد من سـاعده في توطين علاقاته هناك...أي انه كان اخا لصـديق فـادي بشـــكل خـاص...وكـان فـادي يعرفـه تمـامـا...وذلك ما طمأن والدي على نورس وطمأن قلب امي التي كانت دوما تخاف علينا

_نرجس، افتحي الباب..

_لا ،لن افتحها...

_سامحيني يابنتي!!

_لســـت طفلـة يـا أبت كي تضـــربني أمـام النـاس...انـا لاريد الزواج أصـــلا، لااريده...هل أنا عالة عليك إن بقيت بلا زواج؟!

_نرجس،لقد جاءت نرمين كي تراك...

_ماذا...نرمين!؟

وأسرعت الى الباب...لأقف خلفها...

_نرمين...

ناديت بريبة...سمعت صوتها الرقيق..

_نرجس افتحي الباب...انها انا...

فتحت الباب بوجل،وأدخلتُ نرمين بسرعة لأغلقها بعدها بنفس السرعة..وتعانقنا بعد لحظة قصيرة من التأمل...

_كيف أنت يا أم علي؟!

_أنا بخير...قولي لي كيف أنتِ؟!

_انا بخير أختاه..تعالي بقربي...

ومضينا نحو السرير حيث جلسنا بجوار بعضنا في مقابلة نافذة غرفتي المطلة على الحديقة والتي غطتها الستائر الفاخرة المزركشة...

_نرجس!! أحقٌ ما سمعت؟!

_لقد سمعتِه...فهو حق...

_أنا اريد أن اسمع منك...

قالت نرمين ناظرة إلى وجهي بذعر...قلت لها ،وأنا أشدّ على يدها...

_أنا لا أريد ذلك الرجل منذ البداية وأمي وأبي يريدان فقط تزويجي مهما كلف الامر !!!

_لكنه شخص مرموق يانرجس!! وله منصب عالٍ في الجامعة...

_لستِ انتِ من تتحدث عن المناصب يانسمتي!!

_أعرف هذا يانرجس ،وانا لا تهمني المناصب ،ولكن لابدّ أنّ فيه أمرا لم يعجبك أبدا...

_صراحة يانرمين، في فترة الخطوبة لم يعجبني فيه كل شئ..

_أو حقٌّ ما تقولين!؟

_أنظري يانرمين...

انتفضت بغضب ثم قلت..

_الاسلام ليس كما تتصورين.فأنا إن كنت اعرف تماما انك لا تنسجمين مع شخص ما فكيف لي أن اجبرك على الزواج منه...انا اعرف تماما أنني لا انسجم مع ذلك الانسان..صحيح انه بالنسبة لغيري ربما يكون(عريسا رائعا ولقطة على حد تعبيرهم)..لكنني كاتبة واحب الرسم وأكتب الشعر في صفحة مجلة الجامعة...اما هو،،فلا يشجعني ولو بكلمة واحدة بل على العكس، كلما أفتح هذا الموضوع معه يحوله الى الاطفال وغرفة النوم وماذا نجلب لها من فراش وأغطية وأثاث وكيف نجهز لمجئ اطفالنا،،، لا أعرف كيف أعبر لك ...لكن هل تظنين انني سأرضى بالزواج بأي انسان لمجرد كونه مسلما ...تحت شعار الدين والعرف؟

قلتُ بسخط شديد ثم ابتعدتُ نحو النافذة لأبعد الستائر عنها وأفتحها على مصراعيها...

_نرجس ياختي أَوَ ليس الاسلام يحث على إنه من جاءكم من ارتضيتم دينه وخلقه فزوجوه ،،،إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير... وأنتِ من شجعتني بنفس هذا الكلام لما تقدم مرتضى لخطبتي..

_نعم ذلك صحيح ..وأنا من شجعتُ مرتضى على طلب يدك ،لكنك نسيتِ قول رسول الله..."أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما،أي ان يحصل القبول بين الاثنين،، وأنا لم اجد هذا القبول..ألا ترين؟

_نرجس، لكن ،ماعيبه!؟

وشعرتُ أنّ صبري نفذ...فصحتُ بعصبية...

_لأنه لايلائمني... لأنه ليس أنا ليس مثلي؟!ألا تفهمين نرمين!!

_نرجس...كلنا خائفون عليكِ...

_ياالهي لا أحد يفهمني...

قلت بغضب وأنا أقبض على الستارة بيدي،،كان الحزن الشديد باديا عليّ،اقتربت نرمين مني ووضعت يدها على ذراعي..

_نرجس،،،اهدئي... لن يغصبك احدٌ على الزواج من شخص لا تريدينه...
_لكنّ الجميع يحتقر آرائي وافكاري،ومااريده لحياتي ..لكنها حياتي انا...وأنا حرة في التصرف كما يقول لي عقلي...
_نرجس، أيقبل عقلك لك أن يسميك الناس عانسا؟!
وهنا التفتّ إليها بغضب شديد حتى ظننتُ أني سأصفعها...
_نرمين.. أو تعين ما تقولين!؟
_أريدك ان تعي انتِ يااختي الحبيبة فنحن لسنا في اميركا ،انتِ ببساطة في كربلاء، مجتمع مغلق ليس له إلا القيل والقال...الناس لن ترحمك، ومن سيبقى لك ان مات والداي!؟رجل لا تحبينه أفضل من لاشئ،،، دعك من الرومانسية والخيال فلا توجد قصص حب هنا كوني واقعية..هنا في كربلاء، نادرا ما تجدين الحبّ إلا بعد الزواج..
في مجتمعنا، الناس لا ترحم عانسا...واعذريني يا أختاه، فبعدما فعلته مع خطيبك ،ستصبحين واحدة من اولئك وسوف تكرهين نفسك بسبب ذلك وأنا اخشى عليك من نظرات الناس في الجامعة وهنا ممن حولنا من الجيران...أخشى عليك من كلام الناس يااختاه!!!
نظرتُ إلى نرمين شزرا...وكدت افقد أعصابي وأصفعها...
_هل فقدتِ عقلك لتكلميني هكذا،،، لا أصدق!! ومن قال لك أنني ابحث عن الحب او اريد الزواج؟؟؟ إنّ لي حياتي وليس شرطا ان اتزوج كي أحيا بسعادة وليس شرطا ان أسعد الناس بزواج لااريده!
_نرجس،، ان السنين تمضي....وأنت لا تزالين عذراء وحيدة..ماذا ستفعلين عندما تجدين نفسك في الاربعين من عمرك بلا اولاد،ولا زوج ،ولااحد حولك يرعاك ويهتم لأمرك...ووالداي بعد عمر طويل والعمر كله لهما، لن يدوما لك...
كنت مولية ظهري إياها بينما استمرت هي بالكلام ظنا منها ان سكوتي هو سقوط حجتي...قالت بعد لأي..

_نرجس ،انت جميلة جدا...فلا تتركي نفسك ضحية قصص رومانسية لن تتحقق..

_نرمين..هل أكملتِ كلامك؟!

وصعقت نرمين،بينما نظرت لها شزرا وانا التفت بسرعة اليها..

_عن اذنك،،، اريد ان اكمل كتابة قصتي الجديدة، واحزري عن ماذا ..عن فتاة تزوجت من أحبته،،قصة رومانسية...وبامتياز..

شهقت نرمين وصاحت بذعر..

_هل تطردينني...

_انا لا اطرد احدا...انا مجرد عانس...فهل تعتبين علي فتاة عانس؟!

واخذت مكاني عند منضدة الكتابة...واخذت اكتب فعلا...لمّا سمعت صوت الباب يصفق برفق...فدفنت وجهي بين يديّ وشرعت بالبكاء..((لماذا لا يحق لي أن ارفض..لماذا... أرجوك ساعدني ياالهي))...وفجأة نظرت إلى الاوراق والى قلمي ولما رفعت رأسي،شرعت بالكتابة الى اخي فادي، وبدأت اكتب...

اخي العزيز فادي،

السلام عليك،وبعد...فإني ارغب بإطلاعك على كل ما جرى لي..وأود منك أن تجيبني على ماسأقوله لك..لقد رفضت الزواج من حسام..حسام هو الرجل الذي ذكر لك والدي انه هو من تقدم لخطبتي، وعليه،فقد ثارت ثائرة أبي ،أما لماذا رفضت الزواج منه..فذلك لأنني وجدته لا يناسبني...ابدا...لقد خدعتني كلمات الاقرباء المعسولة ورغبتي في إرضاء والديّ فانسقتُ في اللعبة...

ولكنني بعد ايام قلائل من موعد زفافي...خاطبتُ حسام هاتفيا..وتحدثتُ اليه عن رغبتي في فسخ كل شئ...وماكان بيننا سوى خاتم خطوبة حقير لم أشعر وانا ارتديه بأية مشاعر تجاه حسام...رميته له،فهو غير جدير بي...لااقول هذا غرورا ولاتعاليا..لكنني اقول ما ينبع من اعماق شعوري وقد علمتني القصص أن اعبر عما يعتمل ما في صدري بصدق...علمتني القصص ان اتجنب المصير السئ لشخصياتي لأنني العب دور البطولة معهم..

لقد تخيلتُ نفسي بطلة احدى القصص،وتصورت كم ستكون القصة تافهة فيما لو تزوجت هذا الشخص،لابد وأنك تقدر مشاعري..فلطالما فهمتني...لا تقل لي ان والديّ على حق...وأنّ عليّ الاصغاء اليهما...فانا لم أعد طفلة...ارجوك أيها الاخ الغالي ..قدر موقفي وقل لي..(انك على صواب)..اريد شخصا يقول لي هذه الكلمة...فحتى نرمين اصبحت نسخة منهم ،تفكر مثلهم!!!

لست ادري ما العمل،،اجبني بسرعة...

اختك نرجس.

ووضعتُ القلم جانبا لأسند رأسي الى يدي بهدوء...تأملتُ موقفي للحظات،عندما نهضتُ فجأة وفتحتُ باب الغرفة،لأخرج منها...كان أبي وأمي ونرمين في غرفة الجلوس عندما اقتحمت صمتهم..لأعلن امام الجميع فجأة ما أن رايتهم مجتمعين وكأن هنالك دسيسة ...

_ابي...سألحق بأختي نورس كي تنتهي كل الإشاعات..هذه أفضل طريقة كي لا يتحدث الناس عني او عنكم...اخبرهم أني قد ذهبت لإكمال دراستي...قل لهم ذلك..لكنني أودّ ان تعمل على تحضير جواز سفر لي..

_نرجس!!!

انتفض الجميع واقفين لينظروا اليّ بذهول...

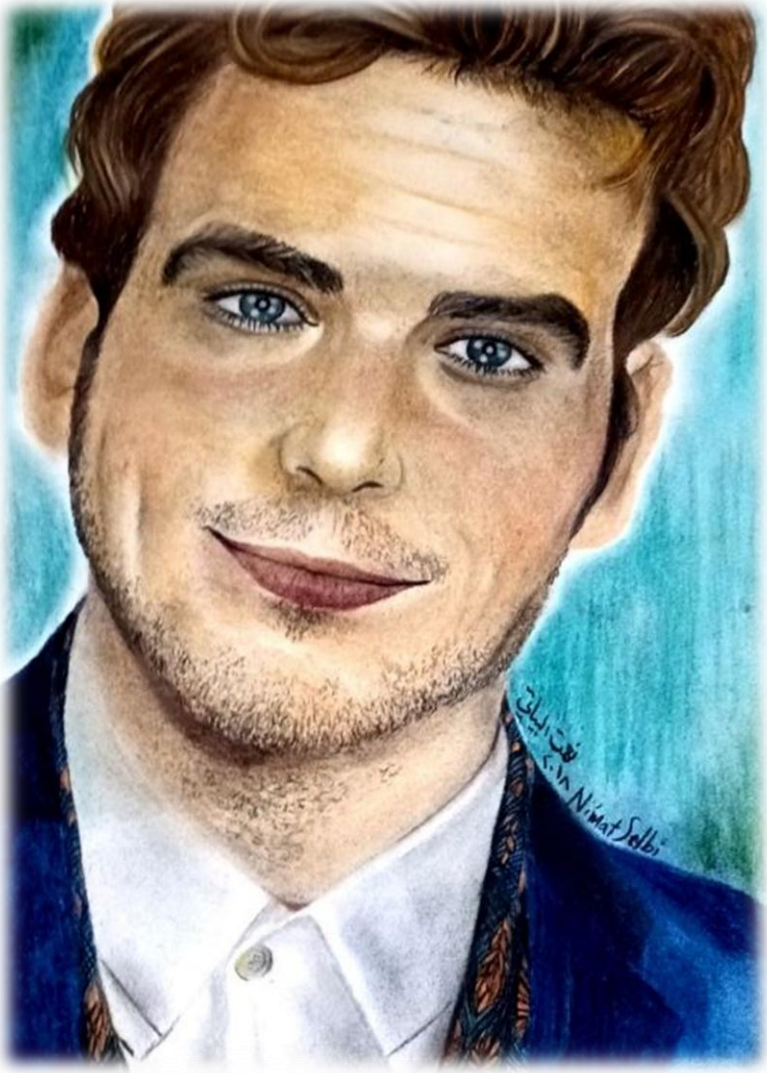
نعمت اسلبي
٢٠١٨ Nimat Salbi

الفصل الرابع

كنت في غرفتي، اعدّ أغراضـي للمغادرة الفعلية،عندما دلفت أمي إلى الغرفة، بجسدها المترهل البدين...لامرأة في الخمسينات من العمر، أنجبت أربعة أطفال بولادة غير طبيعية،واقتربت مني حزينة

_يا ابنتي...

_أماه...

جلستُ على السرير متألمة ، فجلست أمي إلى جواري متجاهلة حقيبة السفر التي فتحتها على السرير ووضعتُ فيها بعض ثيابي..

_حبيبتي نرجس ،ألست بأمك؟

_بلى ، أمي واحبك جداً...

_إذا لماذا تفعلين كل هذا بنفسك؟ وبنا ياصغيرتي!؟

_أماه...سـأرحل لسـنة أو سـنتين،حتى ينتهي كلام الناس ثم أعود..سـيقول الناس تركت الزواج لأجل دراستها..هذا أفضل مما يتقولون به عليّ الآن،انتِ تعرفين بم يتهمونني!!...تركته لأجل رجل آخر!!....هذا ما يقوله الجميع الآن...

_نرجس،أنتِ اغلى عندي من الدنيا كلها...لن افرط فيك...

_لن تفعلي...وانا لن اتغيب أكثر من عام...سأدّعي أني هناك أكمل دراستي..ثم أعود قائلة أن الأمور لم تجري كما اردت..هذا ان لم اكمل دراستي حقا هناك..لأنني عزمت على ذلك بقوة الله...نعم سأفعل...

_نرجس يابنتي تعقلي..

_أوَ لا تحبين نورس لأنها سافرت وتزوجت من رجل أجنبي...سأسافر انا ايضا لأبحث عن الرجل المناسب...

_نرجس!!!

وشعرت بالعجز أمام دموعها التي انحدرت فوق خديها المترهلين وكدت ارتمي بين ذراعيها عندما دلف ابي إلى الغرفة..

_دعيها يانجلاء،هيا يام فادي،فلتفعل ما تراه صوابا...انت على حق يابنتي،فلطالما علمتك كيف تكونين حرة في اتخاذ قراراتك...وانا الآن، اترك لك حرية الاختيار،لكن كل المسؤولية ستقع عليك أنت...

_أبي..

نظرت إلى ذلك الرجل العنيد ، الذي غزا الشيب شعره،لتترقرق الدموع في عيني...فلطالما أشعرتني معاملته تلك بالرهبة والخوف والعجز...

_آه يابي..هذه المرة لن أخاف و لن أبكي امامك لأقول لك سأعمل ما تريد يا أبت...فقد حدث لي هذا عندما اخترت لي جامعتي، وكذلك كل أموري المصيرية..حتى هذه الزيجة الفاشله،كان سبب موافقتي عليها هو انت في الاول والآخر...اما الآن، فسأقول لك..أنا لستُ بضعيفة ابدا...وأنا قوية لأتحمل مسؤولية نفسي...لقد تغيرت..عليك ان تقتنع اني لست طفلة لتعاملني بهذا الشكل وتلقي بعقدة الذنب عليّ...

_أنا لا القي بعقدة الذنب عليك...

_بلى...

صحت منتفضة،،،وعندها دلفت نرمين الغرفة ويدها فوق بطنها المنتفخة..تنظر اليّ بقلق،وخوف ودهشة...تابعتُ انا بغضب..

_صحيح انك ربيتنا على حبّ العلم ، ولكنك لم تعطنا العطف الذي نحتاجه...أرجوك...دعني أفعل شيئا،أراه صوابا...ولو لمرة في حياتي ،أعطني الثقة التي منحتها لأخي فادي، فالفتاة تحتاج ضعف الحنان الذي يحتاجه الولد...فلطالما سخرت من قصصي، حتى جعلتني أخشى مجرد عرضها على ناقد أو كاتب ما،،،رباه، بل لعلّي مصابة بعقد نفسية..انت دوما كنت تهزؤ من شِعري مثلا وانظر الآن إلى ابياتي المنشورة في مجلة الجامعة ،لكنك لم تفرح بي يوما ولم تشجعني على ذلك...ولذلك سأثبت لك انني جديرة بالفخر قدر نرمين التي تزوجت ابن أخيك، ونورس التي تزوجت في بلاد الغرب وفادي الذي أكمل دراسته وعاش هناك...لطالما ناديتني بالمتمردة يأأبت..لكن، اما ان

الاوان ان اعمل ما أراه صـــوابا...تعســـا للتقاليد،لاتحدثني عن عادات وتقاليد مجتمعنا التي بسـببها حرمتني من دخول كلية الفنون الجميلة وسـمحت لأخي بـذلـك ،لأنـه ولـد،وانـا بنـت...فقط لأجـل ذلـك...اعلم انـك ســتقول لي عيـب وعار،اعلم..

_نرجس!!! هل جننتِ لتكلمي والدك هكذا!؟

ونظرتُ الى أبي بحزن...

_دعوني احيا كما أريد ولو لمرة واحدة....

قلت هذا ثم استدرتُ نحو النافذة ووقفت صامتة بينما اقترب مني والدي...وضع فجأة يده على كتفي فشعرت بتأنيب الضمير..

التفتّ إليه باكية لأنظر إليه بامتنان..

_سامحني يأبي...

_ابنتي الحبيبة... ربما تكونين على صواب ونحن لا نفهمك... ربما..... لانفهم فنك لكنني على يقين من أنك ســتقومين بـالصـــواب وانا واثق منك ولطالما وضعت ثقتي بكنّ وهكذا ربيتكنّ على الثقة لا العكس.

وشعرتُ بسعادة خفية تداعب أحاسيسي...بينما تابع أبي...

_نرجس يـاابنتي ...ســـأســـاعدك على الوصـــول إلى منزل أختك ،ثم أتركك وأعود...عليك أنتِ أن تثبتي لنفسك أنّ ما تفعلينه هو الصواب!!

_سأفعل ياأبي ان شاء الله!!

قلت بسعادة وأنا ابتسم بهدوء فربّت أبي على كتفي...

_إنّ تفكيركِ سليم ومنطقي ، فعليكِ إكمال دراستك ولاغبار على ذلك...حتى انّ الناس سينسون بالتدريج أي شئ عن فسخ زواجك.

_لكن يا ابتِ...أولا تهتم إلا بكلام الناس!؟

_اهتم بذلك، لأن الســمعة أهم شـــئ في حياة المرء،وبها نحيا بين الناس فما يمكن ان يكون لو ساءت سمعتنا بينهم،هل استطيع رفع رأسي أو أن أسير

بوجه منشـرح وانا أعلم أن الناس يلوكون بسـمعة ابنتي ويتحدثون بالسـوء عنها...لا تكملي لا داعي فقد اتخذتِ قرارك.

_يا أبتِ، أنا لااتحداك...سامحني..(قلت والدموع تترقرق في عيني)

_أعرف هذا جيدا ..(قال متجهما وهو يتوجه نحو الباب بقامته الرشـيقة الطويلة،ثم التفت إلي وهو يقول)...

_ربما تكونين في النهاية على حق في رفضك الزواج منه..ربما!

_ابتاه..إنني على يقين من كوني على حق..

_حسن إذا...على بركة الله...سأسافر معك حتى منزل اختك..

_شكرا لك يا ابتاه..

قلت ذلك والدموع تترقرق في عيني...عندما ابتعد أبي من الغرفة...

_هل ستتركيننا إذا...انتِ كذلك يانرجس؟!

قالت أمي بألم...كانت تنهض من فوق سريري حيث كانت جالسة..

_لكنّ نرمين معك يا أماه!!!

_نرمين في منزل زوجها...سنبقى لوحدنا،انا وابوك...

_لكن يـا امـاه..كنتمـا تريـدانني أن اتزوج!!!ولمـا أفعـل..أوَ لن تكونـا لوحدكما!؟...فما الفرق الآن..اعتبريني قد تزوجت شـخصـا ما ، في محافظة بعيدة...ذلك أفضل من أتزوج شخصا أظل تعيسة معه..

_لا تحاولي إقناعي او اقناع نفسك، لم يكن في خطيبك عيب!!!

وادمعـت عينـاهـا وهي تحـاول ان تمنع الـدموع من الانسـكـاب على وجنتيها،وذرفت الدموع وهي تفتح الباب وتهرب مني بسرعة..

_نرجس،،،لم اعهدك بهذه القسوة...كفاك عنادا...فعلا من سيبقى!؟

_اظنك نسيتِ من هي الأخت الكبرى هنا، والاقل جمالا ..نعم هي أنا

قلت بحنق،فنظرت نرمين بدهشة إلي..أمسكت بيدي فأبعدتها عنها..

_انتِ جميلـة الأسـرة التي تزوجت مبكرا ،و نورس المتحررة التي تزوجت اميركيا لأنها لا تهتم بالحجاب وعرفت كيف تصيد رجلا..

_انا اعتذر منك يانرجس ،ياختي الكبرى الغالية ،لكن ذلك خطأ..
_لماذا ما تفعله نرجس كله خطأ...إنه حلمي...حرمتوني من الفن..سخرتم من كتاباتي،،،دوما انا حالمة ومخطئة...دعوني وشأني
_نرجس ..انا لاافهمك ،،،هل الفن أهم من سمعتنا وزواجك!؟
_لا احد يفهمني سوى ربي...وأنا واثقة مما أقوم به، وسأسافر غدا..
وكانت ليلة الانتظار تلك رهيبة حقا...حاولت النوم ولكن دون جدوى..الافكار تتقاذفني يمينا وشمالا وانا افكر في عقدة الذنب التي ربطني ابي بها مع أمي ونرمين وقيدوني جميعا إلى نصب خفي لااستطيع الابتعاد عنه ولا فك وثاقي..غدا سيكون موعد رحيلي من أرض الوطن..الى ارض احلامي...لطالما حلمتُ بالسفر إلى اميركا موطن الاحلام والفنون...حيث حقق اخي حلمه..غدا سأكون مع ابي في مطار بغداد الدولي..وسنغادر على متن احدى طائرات خطوط الشركة الجوية العراقية...لتحط بي بعيدا.. بين أناس اغراب،فلا اهل ولازوج ولا صديقة...ولاقريب...صحيح انني سعدتُ بداخلي بمغادرة ولايتي حيث النميمة والتقاليد البالية،،،لكنني كنت خائفة جدا من خطواتي القادمة وانا اقدم على المجهول..
واشتعلت الافكار في رأسي واخذت الرياح تعبث بسفينتي في بحار وساوس نفسي حتى امسكت رأسي ووضعت الوسادة فوقه وصحت بصوت مسموع..
_كفى ،كفى...كفّ عن التفكير..كن كعقل نورس التي نامت كحصان كبير واخذت تشخر ليلة سفرها...لماذا تعذبني!؟ كفّ عن القلق...
وأخذ جسدي ينتفض وهو يرتفع عن السرير ويهبط ثم يتمايل يمينا ويسارا حتى وثبتُ من الفراش وقمتُ إلى المطبخ حيث امتدت يدي إلى كأس من الماء اشربه لأهدأ...وعدتُ إلى غرفتي...أشعلت الضوء ، وجلست عند منضدة كتابتي،أمامي صورتي بثياب التخرج،مكبرة مؤطرة...التقطها عمي ووالد مرتضى لي في محل التصوير الخاص به ثم قام بتكبيرها وتأطيرها واهدائها لي...أمسكت بأوراق قصتي التي كنت اكتب فيها لألملمها وأضعها في حقيبة

سفري...لم استطع النوم أبدا وأمسكت بالقرآن ليهدئني قليلا وسمعت آذان الفجر فنزلت السلم لأتوضأ وأدعو الله أن يساعدني.... كان كل شئ معدا للسفر...كل شئ، ولكن..وبعد تناول الفطور، تلقى والدي مكالمة هاتفية من احد أعمامي مفادها أن موعد السفر قد تأجل فعدت الى غرفتي والارهاق قد أخذ مني مأخذا ونمت من فوري حتى الظهيرة... لما نهضت...وجدت مفاجأة جديدة..فقد جاء عمي ماجد لزيارة والدي على غير موعد مسبق،،ذلك بعد أن علم بأنّ موعد اقلاع طائرتنا قد أُجّل...كان أحمد،محمد، ومحمود، هم اولاده على التعاقب،اما احمد فقد كان في مثل عمري ولكننا دوما ماكنا غير متفقين في الآراء،ولاتعجبني نظرته عن المرأة وزواجها، ،فما كنت أحدثه لأجل ذلك الا قليلا تجنبا لحواراته المستفزة لي...وعلى أية حال،،ووقت الغداء...جلس الجميع عند مائدة الطعام حيث جلبت أطباق الغداء الذي حضرته مع أمي ونرمين..وأخذ الجميع يتحدث بينما يتناولون الطعام مع أمي وأبي ونرمين التي سألها عمي عدة أسئلة مقتضبة عن مرتضى وأطفالها ثم غيّر الحديث نحو والدي بينما كنت غير منتبهة لما يقولانه لأنني كنت منشغلة بهمومي التي جعلتني لا أسمع ولا أرى سواها... وبينما انا في سرحاني تائهة في عالم الأفكار، إذا بأحمد يوجه لي حديثه قائلا.. _إذا..قررتِ الرحيل عن الوطن..هكذا فجأة دون ان تخبرينا... نظرتُ بدهشة اليه،وقلت بسرعة..

_نعم ،لقد قررت..

نظرتً إلى احمد فوجدته ينظر إلي بتحد...وأحمد هذا،شاب في مقتبل العمر،خريج من كلية الهندسة من القسم المعماريّ..وكان رساما هاويا كما كنتُ بالضبط، وكان الوحيد في عائلته كما أنا، خلا فادي الذي لم نره في منزلنا يوما،اقصد انه الوحيد في أسرته،ممن آمن بالفن وتطوير الشخص لموهبته بمفرده...بسبب معارضة أهله كذلك على دخول كلية الفنون الجميلة كما حدث معي بالضبط وذلك ما كان يدفعني الى مناقشته في أحيان قليلة ،لأنني كما سبق وذكرت،لم أكن اميل الى التحدث مع ابناء عمومتي وممازحتهم

ومجالستهم مثل نورس،على الاطلاق،لكنني ولما ناقشته في تلك المرات القليلة ،كنتُ اجد في عقله تخلفا ورجعية،فأحلامه كلها منحصرة في الزواج والذرية والذكور تحديدا،لرفع اسم والده واستمرار ذكره...ولما كنتُ أقول له،انّ أحلامي أكبر من هذا كله،يغضب ويتعصب،ويعارضني قائلا،أن لا مكان للمرأة غير منزل زوجها.. وبنفس تلك النظرات الغاضبة سابقا ، نظر إلي عند مائدة الغداء، وقال لي وعيناه السوداوان تتطايران شررا والسخط في نبرات صوته واضح جلي.. _أيتها المتمردة!!!

_كيف تجرؤ!!!

انتفضتُ واقفة ...فقد صُعقت...إذ كيف له ومن أين تأتّى بتلك الجرأة كي يناديني هكذا امام اهله واهلي؟!

_التزم بحدود الأدب في كلامك معي...لا أسمح لك ابدا..

_حقا...أنا أيضا لا اسمح لك بتجاوز حدود الأدب والاخلاق والعادات في مجتمعنا يابنة عمي العزيز...لقد جعلتِ أسرتنا اضحوكة الناس، برفضك للزواج قبل أيام قلائل لا أعرف ماذا قلتِ لنفسك... لقد عرّضتِ اسرتنا كلها للعار بسبب تصرفك هذا وتتحدثين عن الأدب!؟

_من أنت لتتحدث معي هكذا!؟هل انت ولي امري؟!

_أنا ابن عمك ،وامنعك من الذهاب خارج البلاد...ولوحدك،،هل تفهمين؟! انا استطيع أن أنهى عليكِ الآن لأنك ستلحقين العار بنا..

_عماه؟! هلا اوقفت ولدك عند حده قبل ان أسيئ الكلام إليه..

قلت ناظرة الى والده وانا أحوّل نظراتي بين امي وابي ونرمين غير مصدقة سكوتهم الذي يحمل مؤامرة دبرت بليل...وكأنها مكيدة مشتركة!!

_كفّ عن هذا ياولدي ، لقد قلت لك انها لن توافق،،اتركها ارجوك..

لكنّ أحمد لم يصغ لوالده ، بل أمسك بذراعي وعيناه تتقدان شررا ..

_سوف تلحقين العار بأسرتنا كلها إن ذهبت لوحدك هناك بعد فعلتك!

_لماذا لم تقل هذا لنورس...هل أصبحت الآن عارا عليكم؟! لماذا أنا...

_لأنك..لأنك فخر اسرتنا دوما يانرجس...
قال احمد ذلك وهو ينظر الى دموعي التي انحدرت دون أرادة مني على وجنتيّ وانا احدثه لائذة بنفسي بعيدا عن قبضته التي آلمت ذراعي
_نورس المتهورة، غير الملتزمة ،لا تشبهك ابدا وكلنا نعرف هذا،،،وأنت تعلمين قبلنا..فهل نفرط بجوهرة مثلك!؟ نورس تليق بحياة الغرب،امّا انت فلا والف لا،،،وإن كان لابد من سفرك فدعيني اعقد قراني عليك ونسافر معا..
_كيف تجرؤ على هذا...
قلت وانا افلت ذراعي وابتعد بسرعة لمّا لانت قبضته عليّ...قلت..
_هل تقدم التضحيات لأجل اسرتنا..كلا شكرا لك ..لا اقبل بهكذا طلب فأنا لست برخيصة ابدا،لتصبح انت بطل العشيرة الاسطوري وانا العار الذي وأدته ومنعته من الظهور والخروج من البلاد؟!
_كلا يانرجس،،انت لا تفهمين..انا اريدك كزوجة لي واقولها امام عمي وابي واخوتي ووالدتك واختك اجمعين وامام كل الناس...
اقولها لك الآن ياعم..انا مااعجبتُ بفتاة سوى ابنتك ولطالما أكننت لها المشاعر حتى قبل ان يخطبها ذلك المدعي ، رئيس قسمها ولا أنكر أنني فرحت كثيرا لما ألغت الزواج في اللحظات الاخيرة...لكن خبر سفرها صدمني وقررت ان لا تفلت مني هذه المرة فجلبت ابي وجئت على وجه السرعة،،إنّ لديّ منزلا خاصا بي قد أتممت بناءه للتو ولن تعيشي فيه إلا كملكة معززة مكرمة،فما قولك ياابنة العم؟
قفزت الدموع من عينيّ وهربت الى غرفة الضيوف لأختلي بنفسي،،
لم أعرف بم أجيبه لمّا قال ذلك الكلام وانا أحمل الصحون الى المغسلة وكنت متكئة على مرفقي حينذاك وانا اصغي له _بعد ان ترك ذراعي..تبعني هناك..لم اصدق ما اسمعه وهو يهتف بصوت كله حنو وشجن وحب:
_هل تقبلين بي زوجا يانرجس ام لا؟!
_لا،،لا ..لا اريد...

هربت منه الى غرفتي بسرعة،،جاءت امي طارقة الباب لتدلف بسرعة ..كفكفت دموعي بسرعة بينما قالت والدتي وهي تتجه نحو سريري حيث رميت نفسي باكية..

_هل تسمحين لي أن احدثك يابنتي...

_بالطبع ياماه...

_لم رفضت ابن عمك!؟

_لأنه وبكل بساطة...لا ،لا،لاااااا يلائمني...لا اجد بيني وبينه أي رباط مشترك...ارجوك ياماه..احمد!!! هو اخر شخص في الكون لأفكر به زوجا...لطالما كنت اتهرب من الجلوس معه كي لا استمع لوجهة نظره المتخلفة عن المرأة،،،هذا ان كنت واياه غير زوجين،فماذا بعد الزواج...اكيد انني سأرتكب جريمة واقتل نفسي واقتله..

_يابنتي،يا حبيبة قلبي...لم لا تسألين نفسك...وتقولين لها،،حرام عليك...حرام عليك ما تفعلينه بابيك وبأمك..شابٌ تتمناه كل فتاة وعنده بيت ومال وكل المواصفات ، فماذا تريدين أكثر من هذا؟! أميرا!!!

نظرت الى امي فوجدت الدموع تسيل على وجهها وهي ترتجف غضبا وحزنا..شعرت بتأنيب الضمير وهي تبتعد عن الغرفة...سألت نفسي معاتبة (هل هي محقة وانا على خطأ!؟يالهي ما الذي يحدث)

وطُرِقت الباب فجأة فجلستُ على السرير بعد ان كنت ممددة فوقه:

_من هناك!؟

_هل تسمحين لي بالدخول؟!

كان ذلك احمد بنفسه ،فارتبكت كثيرا..

_تفضل،بالطبع...

قمت ارتب الغرفة بشكل سريع بحركات عفوية...فتحت الباب بسرعة،بعدما عدّلت الوسادة فوق سريري المنفرد ورتبت الشرشف ..

فتحت الباب وشعرت بالخجل وكان هو كذلك عندما ظلّ واقفا عند الباب ليقول بصوت خجول مرتعش..

_لقد طلب مني عمي ان اكلمك واحاول اقناعك هنا...انا اسف جدا..

_كلا،،تفضل ياأحمد..لسنا صغارا..

دلف احمد الى الغرفة وقد ترك الباب مفتوحا على مصـــرعه،واســـتحيى ان يجلس على حافة سريري،فقدمت له كرسي منضدتي...قلت له باستحياء:

_تفضل بالجلوس..

_شكرا لك..

جلس مرتبكا...جالت عيناه في انحاء غرفتي لثوانٍ فشـعرت بالإحراج...لكنني تأملت وجهه في تلك الثواني القليلة بشكل مختلف،،فقد لحظت فيه وسـامة لم اكن الحظها من قبل...فهو ابيض البشرة مثلي،اسود الشعر والعينين...رشيق القوام...طويل كوالدي وكعمي...فأنا بالكاد أصـــل كتفه طولا...ملامحه تحمل الكثير من الرقة وشيئا من الصلابة والعزم والتحدي،نعم،فوجهه يحمل وسامة لم اك قد لاحظتها من قبل وانا حانقة عليه وعلى آرائه تجاه المرأة والزواج في مجتمعنا المغلق..

_لم ترفضينني...

هتف فجأة وكأنه شعر بنظراتي التي انكسرت فجأة الى الأرض حياءا منه..وقد غضضت بصري بسرعة لما وجدني أتأمله...

_لم لا تجيبين...ماهو عيبي يانرجس يابنت عمي؟!

_حقا لايوجد فيك عيب...

_اذا لماذا؟! لم ترفضينني؟!

_لأنك ببساطة...لاتفهمني...رغم كونك تحب الرسم والفن...

_وكيف من المفروض أن أفهمك؟!

_لا ادري...لطالما تشـــاجرنا حول وجهات النظر..نحن مختلفان تماما عن بعضـــنا..انا اؤمن بطموحاتي...اما أنت فلا...أنت لا تعطي المرأة حقها من

الاحترام..بينما انا لا احتمل العيش مع رجل لا يقدرني حق قدري...أنت لا تحبني ولن تضحي لأجلي ، لبناء أسرة سعيدة..

_نرجس، من قال أني لن أضحي لأجلك!؟ من قال اني ....

قاطعته بسرعة لأقول بصوت حازم خائف متهدج...

_أنا اسفة ،، انا لم اعتد وجود الخاطبين حولي ،، أنا لست ببارعة الجمال ،، ولطالما همني إكمال دراستي فقط ولم أحب الظهور في مجالس النساء يوما مع أمي وأختي نورس ، التي كانت تتباهى بجمالها وغنجها...فهي موضع إعجاب الشباب في الحي ، ونساء الحي يشهدن بهذا وهنّ يقدمن لخطبتها دوناً عني...ولم أشعر يوما بالألم بل كنت أسعد بذلك كي اكمل دراستي العليا..انت الآن ثاني خاطب لي بعد رئيس قسمي..لو كنت تعلم!!!

_هل تعنين ان رئيس قسمك هو اول خاطب لك!؟

_بلى..أنا لم ولن انظر لأي شاب،،،لربما كان هذا هو السبب ، او لأنني اقبح اختيّ...لست ادري...فهما أجمل مني بكثير بشهادة جميع الناس ...

أدمعت عيناي،فقد كان ذلك الاعتراف صعبا رغم أني كنت وكأنما احدث نفسي بصوت مسموع..لكنه حديث مؤلم رغم كل شئ...

_نرجس، ماذا تريدين أن تقولي الآن!؟

_لاادري،لكنني اعرف الان ماريد...لقد عشت طيلة السنوات الماضية في دوامة الدراسة ، كل شئ حولي كان دراسة وعملا وفنا..لم افكر في الزواج خلال تلك الفترة أبدا..إلا كشئ بعيد سيأتي يوما ما لما أكبر...هكذا كنت أقول لنفسي ، لكنني الآن وأنا على مشارف الثلاثينات ،،سبعة وعشرون عاما ليست بالشئ اليسير لفتاة غير متزوجة...ففي مجتمعنا هذا ، كلهم ينادونني في ظهري بكلمة العانس...اعرف هذا ...لكنني لاريد الزواج..ليس هكذا..ليس هذا ماكنت أنشده في قصصي...وماكنت اريده لبطلة قصتي أن تكونه..ولقد عرفت ماريد الآن لما ألغيت زواجي...

_نرجس...أعدك أني سأضحي لأجلك دوما...وسأكون مثلما تتمنين لشخصيات قصـــصـــك وبطلتها أن تحظى بمن تســـتحق...لكن دعيني اخبرك أن الحياة الواقعية ليست قصة تكتبينها وأنّ الخيال وهم...لذلك نحن ننتقدك دوما ..لأنك خيالية حالمة ..تعيشين في عالم الأحلام...لكن ....

صـــــدقيني...أنـا افهمـك..فلطـالمـا أُعجبـت بـك يـاابنـة عمي رغم افكـارك المجنونة...أولا تصدقينني...انا كنت اناقشك لشدة اعجابي بك...

_رباه...لا تقل لي هذا...أنـا فعلا مرتبكة الآن بســـببك،،وانت تربكني بكلامك هذا...سامحني ياأحمد ياابن عمي...لكنك فاجأتني ،فأمهلني ..

_سأعطيك وقتا للتفكير ،،،لا بأس يانرجس ،،سأنتظرك...

_حتى لو سافرت؟!

(قلت بدهشـــة ناظرة اليه نظرات التوســل والعطف...بينما كانت عيناه تقولان لي، أنه لطالما أحبني دون أن ادري وانه سيفعل اي شئ لأجلي)....

_دعينا نسـافر معا...ودعيني أهديك هذا الخاتم كعربون خطوبتي لك..هلا قبلتِ يانرجسي الغالية...هلا قبلتِ...لاتقولي لا...ارجوك..

نظرت اليـه...عقلي كـان يميـل إلى الموافقـة عطفـا عليـه ورغبـة في التقـدير والحب لكنّ قلبي رفض وكـأن شـــيئـا مـا يحدث... كأن هنالك خللا في نظامي كله...كانت يده تمسك بخاتم جميل أخرجه من حيث لا ادري وهو يحاول تقديمه لي كي أقبّله..

شعرت بقشعريرة في جسدي كله بينما عيناه تبرقان ببريق خاص..

_ارجوك ياأحمد..انسني...انا لا استطيع الموافقة الآن..انت تربكني..

_وهل يستطيع قلبي نسيانك؟! نرجس !! نرجس ...انتِ لا تعلمين ولم تعلمي أبدا كم انا معجب بك منذ زمن طويل وقد كتمت ذلك..

أعلم انه لا يجوز لي الكلام هكذا لكنني تعبت من المواربة وعدم الكلام..منذ ايام الثـانويـة وانـا انتظر اكمـال دراســتك التي تتحججين بهـا..تقولين انـك اقبح اختيك،،،بل أنت اجملهما في ناظريّ...

نظرت إليه وهو ينظر إليّ نظرات المتيم الولهان...فارتبكت..

_ارجوك ياحمد...انت تربكني...دعني اسافر لأفكر بهدوء...اريد فترة ابتعد بها عن كل شئ...أعدك انني سأظل افكر في كل ماقلته..

_حســـن...لاتقولي المزيد...فكري وخذي وقتك في التفكير وســـافري ودعي اعصابك ترتاح قليلا..سأنتظر منك جوابا عن قريب...

قال هذا ونهض بسرعة ليتركني وحدي وقد أخذ الخاتم معه...

أخذت خلال اليومين الفاصلين بين موعد تأجيل إقلاع الطائرة ومغادرتها أكتب رسائل كثيرة...كتبت أحدها لنرمين، واخرى لأمي ..

كتبت رسالة لأحمد احدثه فيها انني شبه رافضة للزواج حاليا وخصوصا بعد تجربتي المريرة مع رئيس قسمي ،،لأنني لم اكن مستعدة أبدا لخوض تجربة ارتباط عاطفي في تلك الفترة بالتحديد....كتبت لصديقاتي المقربات عدة رسائل...كنت أفكر بكلمات أحمد اينما أذهب وفي كل وقت...وأتذكر نظراته المعجبة فأشعر بسعادة تدغدغ مشاعري الانثوية ،،،لكن ولسبب لا افهمه، لم يك قلبي يخفق لتلك المشاعر ولا يريدني أن أتعلق بها...اخرجت قصتي من حقيبتي كي أكمل كتابة احداثها ،لكنني لم أستطع كتابة كلمة واحدة فيها...ولاحتى حرفا واحدا...

وقررت زيارة عمتي في بغداد، قبل سفري...وبينما أنا في طريقي ،جالسة في الحافلة، أنظر الى النخيل البعيد الممتد على طول الطريق والحقول الجميلة في ريف العراق،ومنازل القصب ومياه نهر الفرات والبط وهو يسبح هنا وهناك، ونساء يغسلن ثيابهن واخريات يغسلن اوانيهنّ على الجرف،وهنا وهناك وفوق نظرتُ...حيث السماء اللامتناهية...فكرت وفكرت في الحياة كلها....يالهي!!! لماذا أرفض فكرة الزواج؟! هل ذلك لأني اخشى الزواج بحد ذاته؟! هل ذلك لأني ابحث في اعماق ذاتي عن فارس أحلامي الذي لم أصدق اني سأجده وفي نفس الوقت تمنيت في سرّي ان اعثر عليه ؟!؟ اوَ كل ذلك بسبب كتابتي للقصص ؟؟؟ وتذكرت كلمات والدتي الغاضبة وهي تقول لي ان اترك كتابة القصص لأن حياتي ستكون قصة بحد ذاتها فهززت كتفيّ معارضة دون ان أشعر وتمتمت :

(ومن منا ليست حياته قصة؟!؟)

ولكن من هو فارس احلامي بالضبط ...سألت نفسي، ولكنني لم أجد جوابا...لكنّ ماكنت واثقة منه، هو رفضي للزواج من احمد...وعدم رغبتي

للاقتران بـه...كلما فكرتُ بذلك ، كنتُ أشـــعر بالدموع تترقرق في عينيّ دون سبب وكأن قلبي يقول لي...

هل هذه هي نهايتك؟! هل نهاية قصتك ستكون مع احمد حقا؟!كلا..

لم أكن اســتطيع تخيل نفســي معه...كزوجة له،،،كنت ارفض ذلك ...حتى أن افكاره وطريقته في التعامل مع أخواته تكشف لي الكثير من شخصيته التي لا تتناسب مع شخصيتي!!!

ياقلبي...لطالما رجعتُ إليك اســتفتيك في أمور كهذه...لتقول لي أن ماافعله هو الصواب...وأنا استمع إليك الآن...في هذا الجو الصافي...في هذا الجو المليء بالحب والجمال والخيال...امام ريف بلادي قبل ان اغادره...هيا رجاءا ايتها النخلات البعيدة ، أعيدي عليّ ماقاله لي قلبي...نعم، فقد أفتاني بجواب واحد...

لا تتزوجي احمد...سوف تندمين...كوني عانسا ولاتتزوجي احمدا..

لالا يا عقل ابتعد..ويافكاري الحمقاء دعيني ولاتحاولي اقناعي بهيئة والدتي أو نرمين...فلتذهبا إلى الجحيم ياعقلي ويافكاري..

فماذا سيحصل لي ان لم اتزوج!؟ إن لي أرضا وسماءا واشجارا وهواءا... بل فوقكم جميعا رب عظيم ينظر إليّ...ويعلم ما في قلبي..إن لي علما وفنا ومنزلة علمية كأستاذة جامعية... فعندما يقول لي الناس ستبقين لوحدك، سأقول لهم ،كلا...انا مع الله، مع الطبيعة ، مع فني ، مع علمي ومكانتي العلمية ...درستُ كثيرا ،ولن أســمح لنفســي ان اكون مجرد خادمة لزوج عمي أو حتى لو كان منزلي مستقلا فلن أسمح لأحمد ان يسلبني كل ما عشت لأجله وانا اعرف افكاره تماما... هو اسوأ من خطيبي السابق....هو لا يرضى لأخته ان تتعين..

لااصدق أنه سيسمح لي بعد الزواج بالدوام... ولسوف يتحجج بحملي مثلا ، او تربية الاولاد... كلا ، كلا.. لا يمكنني ابدا وانا أتذكر كيف يصرخ بأخواته!!!

لا يمكنني إنّ اتزوجه!!! إنّ قلبي يرفضه...وبشدة...

حســن...لمّــا يقول لـي النــاس انـني على خطـأ..ســـأنظر الى الطيور والسماء...ولسوف تبتسم لي الطبيعة وتحاكيني الأشجار..حينها..سأشعر اني على صواب...لا.. لن أبالي ، لن ابالي..

ودخلت الحافلة بغداد..وقرأت عبارة (بغداد ترحب بكم)....وأخذت الحافلة تجتاز الجسـور حتى وصـلت بنا إلى مرأب الحافلات...حيث افترق الركاب؛ كلٌ إلى وجهته...وذهبتُ أنا مباشرة إلى سيارة ثانية...حيث أقلتني إلى منزل عمتي...

ولكن عمتي... من تكون ؟؟ من هي عمتي!؟

كانت امرأة عجوزا، لم تتزوج أبدا بعد موت زوجها الذي ترك لها أموالا ومنزلا فخما وهي لاتزال في عز شـبابها فتاة جميلة ورثتُ منها عينيها السـوداوين الواسـعتين وبياض وجهها الناصـع، لكنني دوما ما نظرت لنفسـي على انني اقبح من أختيّ، لأن نرمين ورثت جمـال عينيها من والدتي...اما نورس فكان تبرجها يزيدها حسنا ويظهر مفاتنها عكسي تماما وانا ازيد من حجابي خجلا وعدم قـدرة على النظر إلى اي شـــاب في الجـامعـة أو الشـــارع ، أو أي مكان...لطالما ذهبت إلى منزل عمتي ايام دراســتي في جامعة بغداد...بل كنت أســكن عنـدها...بدلا من ان أعاني من ســكن القســم الداخلي مع فتيات لا يفهمنني...ولذلك ما جعل اواصـــر علاقتنا أنا وعمتي أقوى من أختيّ اللتين لم تريا عمتي ولو لمرة واحدة في حياتهما!!!!

فعمتي كانت الاخت غير الشـقيقة لأبي... لكنني أحببتها وأحبتني..وكأنني ابنة لها من رحمها...كانت عمتي رسـامة مبدعة ، لكنْ لا أحد يعرفها..كانت ترسم لذاتها ولأجل متعتها الشـخصـية...وكذلك كان ذوقها الرائع في اقتناء اللوحات العالميـة...فمنزلهـا عبـارة عن لوحات وتحف فنية... كنت اتوقع لحظة دخولي عليها، أن أجدها ممسـكة بفرشـاتها وهي تقف أمام لوحة جديدة ،كما اعتدتُ ذلك طيلة فترة دراستي الجامعية واكمالي للماجستير هنالك قربها...لقد ورثت عنها حب الفن، ولعل أحمد ايضـا قد ورث ذلك، حتى وإن كانت أفكاره رجعية عن المرأة في داخل إطـار الزواج، لكن الفن يســري في عروقه وكان يخطط

بالقلم الرصاص تخطيطات جميلة لشخوص أسرته وأشخاص آخرين من اصدقائه ومعارفه..

عمتي تلك..كانت في الثمانينات من عمرها،،، لكنك إن رأيتها حينذاك لم تك لتصدق ذلك...فروحها المرحة ولسانها اللبق واعتناؤها بصحتها يجعلونك جميعا تعتقد أنها في منتصف الخمسينات من العمر...انت لما تتحدث معها،،،تشعر انها في مثل سنك، سواء كنت مراهقا أم رجلا في الأربعين عاما ، ، فهي تفهم جميع الأعمار وتنزل لمستوى كل الاشخاص بتواضع لامثيل له..

لم ترزق عمتي باطفال،فزوجها قد توفي بعد عام واحد من الزواج..

كان والدي دوما ما يقص علينا تلك القصة فيقول بحزن وهو يحكي:

_لقد تقدم لخطبة اختنا الكبرى هذه ووحيدة والدي من الإناث لأن جميع من أنجبت والدتي ذكور كما تعلمون يابناتي،،،أقول أنّ رجلا غنيا قد تقدم لخطبتها....غنيٌّ جدا..لكنّ عيبه الوحيد ، كان كبر سنه،فقد كان يكبر عمتكنّ ، رحمه الله، بإحدى وعشرين عاما!!!! نعم...كانت هي في الرابعة عشر آنذاك...تشبه نرجس تماما...(وكم كنت اشكر لوالدي كلماته تلك التي تعطيني نوعا من الثقة بالذات)...كانت فائقة الجمال، ،لكنّ امكنّ أجمل طبعا (ويغمز لنا لما تمر والدتي فنضحك بخجل)...لقد تقدم لها قبله الكثيرون،، لكنها لم توافق إلا عليه ولقد خيرها والدي رحمة الله على روحه الطيبة،،لأكثر من مرة،،فكانت تطرق برأسها حياءا علامة القبول...

قالت له بعد صعوبة وهي ترفع رأسها استحياءا..

_أوليسَ فنانا كما قلت يا أبتِ؟! انا اذا موافقة....

وهكذا كان الأمر...فقد تزوجته... اخذها الى دول الغرب في سفرات ونزهات متتالية...عاشت معه اجمل سنة قبل أن يتوفاه الله رحمه الله تعالى...كان رجلا كريما طيبا...وكان يحبني بالأخص،،،انا الولد الاول بعد أختي واكبر اخوتي الباقين والاخ الأقرب لعمتكنّ...لقد أخذ بيدها في عالم الفن وبدأ يعلمها ويذهب

بها إلى المتاحف العالمية والمعارض وكانت تجلب لي الهدايا بعد كل سفرة...لكن مرضا في القلب أصابه ولم يمهله...عمل العملية ومات فيها...وبقيت عمتكنّ في منزله معتكفة ولم ترضى مغادرته ولا الانتقال للعيش معنا...قالت تلك داري ولن اخرج منها إلا لقبري...

دخلتُ منزلها غير عابئة بالكلب البوليسي المربوط قرب الباب الرئيسية...فقد كان صديقي ويعرفني فما أن ناديته بأسمه حتى طأطأ رأسه وخنع مادأً ذراعيه امامه ...اخرجت مفتاحا من حقيبتي ،لأفتح الباب وأدلف المنزل...وجدتُ عمتي كعادتها ، جالسة على كرسيها ،ترسم امام مسند وعليه لوحة من القماش المخصص للرسم الزيتي بشغف وافتتان...صحتُ بسعادة وانا ابصرها..

عمتاه...انا هنا..

وجدتها ترتجف فرحا...تنهض رغم ضعفها، وهي تهتز، لكنّ روحها الشابة تجعلك تظنها قوية نشطة...خطت نحوي وصاحت بي وهي تحتضنني...

_صغيرتي...صغيرتي..نرجسي البري!!!

_لستُ نرجسة برية؟!

_آه ياصغيرتي. بل أنت نرجس بري،، لم تَمسّك يد بشرية بعد،،،عنيدة...تحيين بين أحضان الطبيعة...أنت نرجسي البري!!!

_وصف أكثر من رائع.. لا أعرف ما أقول!!! أنت فنانة قديرة وأنّى لي أن أواكب جمال عباراتك أو روعة احساسك...أنت ترين الجمال في كل شئ حولك لأنك جميلة..

_بل لأنّ كل شئ جميل حقا حولي...هذا هو الواقع...

قالت عمتي وهي تبتسم بأنفة و كبرياء ، وعيناها الحنونتان تغدقان عليّ الهبات....قالت لي وهي تمسك بيديّ...

_هيا ياصديقة عمتك...تعالي لنحتسي الشاي سوية...كنت افكر فيك قبل لحظات... لسوف تقصين عليّ كل ما حدث معك بالتفصيل....

_عمتاه!!!كوني طيبة ودعيني أقول لك لم جئت إليك!؟

_لمَ!؟قولي ...

_عمتي الغالية..جئت لأودعك..فأنا سأغادر العراق غدا...

_ماذا؟!

رفعت نظرها إلي وهي تجلس على كرسيها من جديد..

_أانت جادة...لقد قررتِ إذا..لكن لماذا...حدثيني..

_حدثت أمور كثيرة ياعمتي....

_اجلسي يانرجستي الحبيبة ...الامر يحتاج جلسة طويلة...

جلسنا سوية وقصصت عليها ما حدث لي بشكل مختصر قدر الإمكان...

_آه،،،هكذا إذا...

وضعت عمتي قدح الشاي فوق صحنه الصغير،بعد ان ارتشفت منه القليل...لتنظر إلي بسعادة وتقول بثغر باسم بصوتها المطمئن..

_حسنٌ فعلتِ أن رفضت الزواج..تلك هي ابنة أخي وابنتي..

_ماذا!؟

صحت بدهشة ومشاعر سعادة خفية تداعب احاسيسي..

_شكرا لك ياعمتاه...انت فقط من تفهمني...

_ياصغيرتي...إذهبي إلى اميركا..إلى اختك..وشاهدي العالم ...اخرجي من قوقعتك...ستعودين محملة بالخبرات...قرارك صائب جدا...لم لا يابنتي ..لمَ لا!!؟ انت طموحة ولايمكن حبس طموحك بين جدران اربع...

_آه ياعمتي...

ادمعت عيناي وانا أمسك بيدها بكلتي يديّ...

_احبك ياعمتي...

قلت هذا وأنا اطبع قبلة صغيرة فوق يدها المتشققة المتيبسة بفعل الزمن ...ورفعت رأسي الى أعلى لأتأمل ذلك الوجه الذي حفرته الاخاديد وعبثت به التجاعيد...وفعلت السنون فعلتها فيه...لكنّ مالم تستطع تغييره هو

ذلك البريق الإخاذ في تلكما العينين الجميلتين وهو يبرز من تحت كل أفعال السنين...ليعلن الشباب والحياة رغم كل شيء..

_عمتي،،شكرا لك على كل شيء...

ومن خلفها ،أبصرت صورا رائعة لفتاة في عمر الزهور...لديها نفس العينين،،فنهضت وحملت احداها..

_هذه الصورة..آه..لقد قلت لك مسبقا...هذه قد التقطها لي زوجي فارس في الدانمارك...ذهبنا هناك لشهر واحد...لقد عشت معه لعام واحد فقط ،كنا فيه أسعد زوجين وكان كل شهر يذهب بي إلى دولة مختلفة ليرفه عني...كم كان عطوفا وحنونا...كلا،،لن اوفيه حقه...حتى لو حكيت عنه كل عمري وكل صباح ومساء...كان أبا وزوجا واخا...كان كل شئ...

_عمتاه...لكنك كنتِ ايقونة من الجمال....

_آه...لقد مرت السنون بسرعة دون أن اشعر بها...ذهب الجمال وولى...ولدتُ عام ألف وتسعمئة ...لم تشأ الاقدار أن تدعني أتربى مع أخوة لي..كنت وحيدة طوال حياتي في منزل أبي..فوالدتي قد توفيت وأنا طفلة صغيرة...عشت مع أبي دون ام...وكان الرسم سلوتي الوحيدة..حتى إذا ما تزوجت وعشت سنين طويلة بعد ذلك بمفردي هنا...سمعتُ بخبر زواج أبيك وانجابه فادي الذي أحببته كثيرا وكان يلعب هنا في منزلي في صغره...

وجلست انظر صورها المؤطرة وقد التُقطت لها باللونين الأسود والأبيض...فوق رف موقد غير مستعمل منذ سنوات طويلة...وقد صمم على الطراز الانكليزي بالضبط..كان منزلها متحفا في حد ذاته..تراثا وإرثا عظيما لبغداد..ذلك أنه عاصر زمن الاحتلال البريطاني وكثيرا من احداث بلدي العراق...

_عمتي!!

صحت بدهشة وأنا أمسك مغلف صور وجدته أمامي فجأة على المنضدة المقابلة لي...

_ماذا؟؟

_مغلف صور!! حقا! أنت لم تريني صورك أبدا من قبل؟

_آه...دعيني أريك إذا...لم اكن اعرف انك لم تري صوري من قبل!!

وجلست بجواري على أريكتها الوفيرة غالية الثمن معنويا وماديا،،،ذلك أنّ عمرها الزمني لابد وأن يكون أكبر مني بكثير...

_آه...هذا هو أحد الضباط الانكليز الذي رسمت صورته في هذا المنزل...كان هذا أبان الغزو الانجليزي لبلادنا...

_عمتي...يا لوسامته!! كم انت محظوظة...

صحت بسعادة فاصطنعت عمتي الابتسام بمرارة..نظرت إليها بدهشة ...

_ماهذه الصور ياعمتي؟!

_هذه هي صورتي مع مجموعة من الرسامين والفنانين الذين عرفني زوجي عليهم وهو يعرض رسوماتي أمامهم...هذه صديقتي ساجدة،،رحمها الله(وأدمعت عيناها)...وهذا الفنان الكبير فائز ..هنا أقف مع عمك..زوجي،،رحمه الله، وهنا نحن في موسكو، بعد وفاة عمك ابان نهاية الحرب العالمية الثانية..فقد كنت أذهب للسفر دوما...كنت حينها في السابعة والأربعين..

هنا صور ما بين الاعوام ١٩٢٩ و ١٩٣٠...هنا كنت قد سافرت بمفردي إلى اميركا..كانت صورتي مع اولئك الفنانين في عامي الوحيد الذي قضيته مع المرحوم..وكان أجمل عام في عمري كله،عاملني كملكة فيه،لم أشعر كيف مرّ سريعا قبل ان يخطف الموت قلبه مني..

وتنهدت بحسرة ،لما جال سؤال فجأة ببالي ، فقررت طرحه عليها لأنني دوما ماكنت اخشى سؤالها قبل قراري السفر خارج البلاد..

_عمتاه..لطالما اردت سؤالك ،لكنني أخشى من ردة فعلك...لكنني سأغادر غدا ولذلك يجب أن لا يبقى في قلبي أو صدري شيء...

_ماذا تريدين أن تسألي؟

_هل أغلقت قلبك بعد عمي رحمه الله مع العلم انك كنت صغيرة وجميلة وثرية!! ولماذا لم تحبي او تتزوجي بعده؟!

فجأة ..وجدت الدموع تسيل من عينيها فوق خديها المجعدتين وقد حفرت السنون فيهم الاخاديد...كنت أرى نفسي في عمتي بعد اكثر من خمسين عاما.. تألمت لما رأيت فنهضت معتذرة لأتركها وحدها وأنا أشعر بالحمق كوني قد آذيت مشاعرها...

_سأذهب إلى غرفتي لأستريح...عن اذنك ياعمتي...

فكرت وأنا فوق السرير في عمتي وكيف انها عاشت طوال تلك السنوات وفية لذكرى زوجها،وفكرت أنها ربما أحبته بعد الزواج،وانها وجدت نفسها معه رغم الفارق الزمني بينهما،ورغم أنّ شيئا ما في داخلي رفض التصديق بذلك،لكن مشاعر جميلة ظلت تدغدغ احاسيسي، فكلما جئت منزل عمتي ،شعرت اني انتقل الى زمن قديم....الى التراث..الى عمق الاحداث الماضية وكأنني اعيش فلما قديما بالأبيض والأسود ....فكرت في عمتي وكيف قضت شبابها بمفردها رغم صعوبة مجتمعنا ونظرتهم المتخلفة للمرأة علاوة على مغريات كثيرة تدفع الرجال الى السعي خلفها كونها كانت جميلة وثرية ايضا..لكنني لم اكن لأجرؤ يوما عن سؤالها عن ذلك...وتذكرت دموعها عند سؤالي عن عدم زواجها بعد زوجها المتوفي، فتألمت لأنني تجرأت وسألتها عن احد خصوصياتها،فما بالك عزيزي القارئ ،ان سألتها عن عدد خاطبيها بعد وفاة زوجها، وكم شخصا طمع بها؟! وتذكرت صورة الضابط الانكليزي الوسيم...لكن ،ما الذي جاء به هنا وكيف احتفظت بصورة له! شعرت بالحيرة الشديدة وانا افكر...شعرت بالعطش فجأة فرفعت رأسي،كي أنهض، فلاحت لي صورة مؤطرة لشاب ما ...انتفضت فجأة وجلست على السرير...تلقفت الصورة وتمعنت بها جيدا...ولأني اعرف الملامح واميزها بحكم رسمي للشخوص دوما،فقد ربطت بسرعة بين تفاصيل الملامح..إنه نفس ذلك الشاب الانجليزي!! نفسه...نظرت مرة ثانية واخرى ثالثة،،،فازداد يقيني

بالأمر ...قفزت من السـرير وفتحت الدرج الخاص بمنضـدة الكتابة فوجدت رزمة من الاوراق،،،صعقت فعلا...لكن ،او ليست هذه غرفتي التي عشت فيها في منزل عمتي؟ من وضع هذه الاوراق هنا!! لكن ياالهي ..ماان انرت مصباح الغرفة حتى تبين لي انني في الغرفة الخطأ!! انتابتني رعشـة خوف وألم ،،،فهذه غرفة سـكن فيها هذا الرجل،،الذي من المحتمل ان يكون في عداد الموتى الآن...

وأخذت أبحث بين الأوراق...حتى وجدتُ طرودا كثيرة سبق وأن فُتحت..لكنها لم تستعمل كثيرا لأنها كانت لاتزال وكأنها جديدة رغم أن ورقها قد أصفرّ بفعل الزمن الطويل الذي بقيت فيه محفوظة في ذلك الدرج...كانت إحدى تلك الرسائل التي قرأتها بنهم وبسرعة تحكي الآتي..

عزيزتي الأغلى نوال..

أود أن اعلمك أنني الآن بين أحضان أسرتي.. امي وأبي وأخواتي...أستشعر دفء الأسـرة من جديد وقد انتهت أيام معاناتي ..إيام الحرب التعسـة التي لا أعرف لم خاضـتها دولتي أصـلا من الأسـاس...فأنا ألعن الحرب كل يوم وخصـوصـا لما أرى ذراعي التي بترت دون ذنب لي إلا أنني كنت جنديا مخلصا لمملكة بريطانيا العظمى!!!

حسن ..لست أكتب لك لمزيد من المعاناة ..لكنني ممتن لك من الأعماق فلولاك لكنت ميتا الآن.. لقد أحببت في الحرب شيئا واحدا فقط..هو تعرفي على أجمل فتيات الأرض واكثرهن طيبة ونقاءا..لم أسـتطع أن أقول لك أبدا ذلك في وجهك..لأنني جبان...ولأنك مهذبة خجولة للغاية...فاتخذت من مدادي وسـيلة لاعترف لك بما يكنه فؤادي تجاهك..أرجوك أن تقبلي رسائلي واتمنى أن تردي عليها ولو بكلمة واحده...سأكون عندها اسعد مخلوق على وجه الأرض...

حبيبتي نوال..نعم ..انا أحبك ..لقد تجرأت وقلتها على الورق لأن ايامي معدودة حسب ما قاله الطبيب لأسرتي..فقد سبب بتر ذراعي المتأخر (كانكرينا) سممت دمي ولااعرف كيف أحيا لحد الآن..السبب ربما هو قلبي النابض بحبك...سأظل

اتذكرك واتذكر عطفك عليّ وكيف سمحت لي بالبقاء في منزلك وأن اكون احد موضـــوعات لوحاتك..في تلك الحفلة المفردة التي أقيمت من قبل قائم مقامية حيكم لأجـل الـترحيـب بمرور جلالـة الملـك وقتهـا بـالقرب من ثكنتنـا العســكرية ...حيث رأيتك...لن أنســى نظراتك البريئة ولاجمال طلتك اللطيفة وأنت تســتقبلين زائريك بكل ود ولطافة...لم يقدم الملك لقصــرك حينها وانا اســميه قصــرا في الواقع لأنه كذلك في نظري...جاءت علية القوم من طبقات مجتمعك مع الضـباط الكبار وكنت أحد الحاضـرين لحسـن حظي لأني صـديق للكولونيل الذي كان مدعوا لحفلتك.. اشكرك من كل قلبي... فلقد استقبلتني في منزلك لما وقع الهجوم على ثكنتنا وجاء الكولونيل يحملني على ذراعيه ليلوذ بك قبل أن يغمى عليّ....ذلك أن درب المسـتشـفى كان طويلا وقد نزفت الكثير من الدم كما تعرفين مســبقا...وكم كنتِ ممرضـــة رائعة...في تلك الغرفة التي أراها جنتي في هذه الدنيا ...ياملاكي الجميل ...تمنيت أن اتحســن وان آتي واخذك معي إلى انجلترا...لنعيش بعيدا عن تقاليد مجتمعك البالية فكم تحملتِ بســببي كلامـا من النـاس وتجريحا ولم تبالي بذلك...ليس قدرنا أن نجتمع في هذه الدنيا ..ســأراك هناك في عالم أجمل وأروع فأيامي لم تعد معلومة...لكنني أحببتك من كل قلبي وهذه الرســالة الأخيرة لي ربما ..لكنني أعترف لك فيها بحبي الأبدي...أرجوك لا تنسيني.... لقد كانت ايام تعارفنا لا تتجاوز اسبوعين لأن الكولونيل نقلني بعدها إلى المستشفى ماان انتهت الثورة وامكنه نقلي دون خوف على نفســه من القتل أو عليّ من الموت...ومن هنـاك ســفّرني إلى بلادي...ياذات العشــرين ربيعا....لقد ســرقت قلبي في أقل من عشــرين يوما...وإلى الأبد...

كانت الرســالة طويلة جدا..وقد شــعرت بالأعياء وانا الهث خلف تلك الكلمات المليئة بالشجن والشغف في آن معا...بحثت عن رسائل أخرى...كانت رسائل مختصـرة ..يحكي بها عن بلاده وعن أسـرته...وعما عاناه خلال رحلته عائدا إلى وطنه وكم كان مشــتاقا لرؤية عمتي...وجدت نفســي اذرف الدموع دون

وعي مني ...شـــعرت بقلبي يعتصـــر وشـــعرت بالحزن الشـــديد لأجل عمتي وعرفت لماذا أغلقت قليها إلى الأبد.. هبطت إلى الطابق السفلي بعد قيلولة قلقة لأجـد عـمـتـي تـحضـــر مـائـدة الـغـداء...هـرعـتُ إلـيـهـا..

_عمتي...دعي عنك هذا العناء...

_على العكس...إنه ليس عناءا..فهذه متعتي...متعتي ياطفلتي..

_عمتاه ...كم أحبك!!!

واحطت رقبتها بذراعي..لأضـع رأسـي فوق صـدرها ...ذهلت عمتي ..لكنها أحاطت ظهري بذراعيها المسنتين اللتين كانتا ذات يوم أرقّ ذراعين ..

_ما بك ياصغيرتي؟؟

_أنا أحبك!!!

_آه... وارتسمت ابتسامة لطيفة على شفتيها المتحجرتين...

_هيا اجلسي لأجلب الطعام..

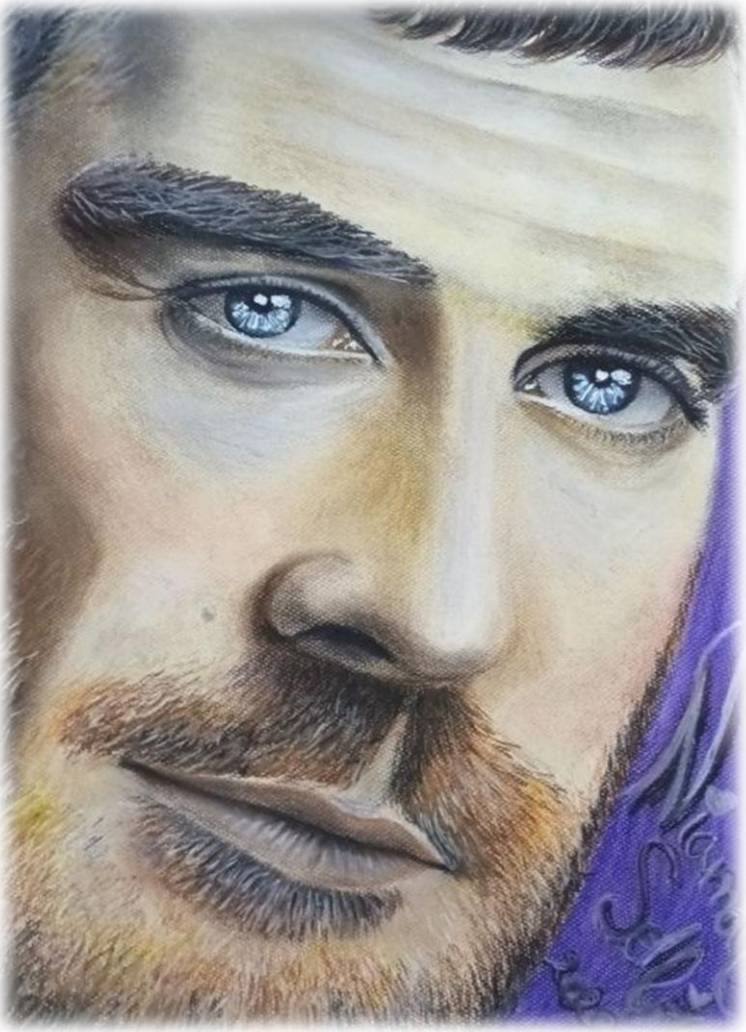

الفصل السادس.

ودعت عمتي في اليوم التالي لأذهب إلى منزلي وهناك كتبت رسالة إلى احمد واعطيتها إلى نرمين...كي تسلمها لأحمد ما أن أغادر ارض الوطن على متن الطائرة...وبدأت اعدّ نفسي للسفر، كي لا يكون الأمر صعبا عليّ...ولكي أحقق هذا..غادرت منزل أبي عدة مرات..إلى بيوت أعمامي الثلاث والقريبة عليّ لأودعهم وكان أجمل شئ وداعي لبنات أعمامي لمّا حضرن اغلبهن إلى منزلنا بعدما اعلنت عن موعد سفري في منزل عمي الأول قربا لمنزلنا وثم منزل عمي الثاني والذي يكون والد مرتضى..ولم اذهب لمنزل والد احمد(عمي الثالث)...لكنني اخبرتهم عند عتبة الباب لأني كنت اتجنب رؤية احمد قدر الإمكان فقامت بنات عمي الثالث واخوات احمد بالمجئ لرؤيتي...جلسنا سوية وتذكرنا أيامنا واوقاتنا معا واخذنا تارة نضحك وتارة نبكي... وتمنت بنات عمي لي كل السعادة والتوفيق ....ولما تداركنا الوقت...كان لزاما عليّ تحضير نفسي للسفر وما بقي على موعد سفري سوى ساعات...فجلست مع نرمين وطفليها وجلست مع أمي وتحدثنا ثم بكينا واحتضنتهما وانا اقول :

_ماذا؟؟؟ انا لن ابقى للأبد هناك...سأعود قريبا...

تحدثت مع نرمين عن ذكريات الطفولة ووالدتي تحدثني كيف كانت سعيدة جدا وقت ولادتي مع أبي لأنهما رزقا بفتاة بعد فادي بعد وقت طويل..

نظرت إليهم جميعا و الدموع تترقرق في عينيّ ...سوف أترك تلك الوجوه الحبيبة....وأغادر تلك القلوب النقية ...ولسوف أبكيهم طويلا وأتحسر على لحظات كنت فيها معهم حتى ولو كنت اتشاجر مع نورس أو اتخاصم مع أبي أو اعارض رأي امي في مسألة ما...وشعرت وانا احمل حقيبة يدي الصغيرة ووالدي يحمل حقيبة سفري أنّ روحي تنفصل عن جسدي وتظل تحوم حول أسرتي...تخيلتها تفعل هذا فتأتي امي تقبّلها وتذهب إلى نرمين تحتضنها..وتتمنى لجنينها أن يأتي سالما معافى وأن تكون هي بخير.. وتذهب

إلى طفليها فتقبّلهما...كانت نرمين شبه صامته وهي تقاوم الدموع التي تلح عليها انسكابا من المآقي...شعرت أنها تحترق من الداخل وتبكي لأجلي في قرارة نفسها...فلطالما كنا نعمَ الاختين...وماكان لنا إلا بعضنا...أما نورس فلم تكن لي سوى شخص نرجسي دوما ما يسقط أخطاءه على الآخرين ويحاول الانتقاص منهم كي يبعد الانتقاد عن شخصه كما يظن في قرارة نفسه.. كنت مع نرمين اختي..أجمل ثنائي في الكون...وأروع اختين في الوجود...

وذهبت مع والدي بعدما وقفت فوق ممر الحديقة الخارجي...أنظر أسرتي الحبيبة...بكت أمي وبكت نرمين بدموع منفجرة ...إحتضنتها واحتضنت امي وقلت لهما بصوت يملؤه الشجن..

_ارجوك اماه ..ادعي لي بالتوفيق...أرجوك يانرمين ..اعتني بنفسك ...راسليني دوما..احبكم جميعا..مع السلامة ياحبتي..

قلت ذلك وانا اقبّل طفلي نرمين من خديهما والتفت بسرعة إلى والدي كي أهرب من ذلك الوداع المؤلم...

قالت لي امي فجأة بصوت باك حزين...

_نرجس...

لا اله الا الله...

التفتّ وقد قفزت الدموع من عيني..

_محمد رسول الله..

وصلت إلى المطار انا وأبي...واصبحنا في الطائرة بعد فترة دون أن اصدق أبدا أن ما يحصل لي هو الواقع...كنت شبه منومة مغناطيسيا ولكن ما أن أقلعت الطائرة وانا أشاهد السماء عبر النافذة المجاورة لي حتى انتابني خوف شديد...مشاعر مختلطة من رهبة وخوف من المجهول لم أستطع التخلص منها إلا بالنظر حولي ومحاولة شغل فكري بمن يجلس قبلي أو بمحاذاتي...كنت أفكر كثيرا فيما فعلت وقررت في ذاتي...هل ما أفعله صواب؟؟ ماذا انا فاعلة في بلاد الكفرة_على حد تعبيري وقتها؟؟...

ماذا سأفعل مع الفاسقين على حد تعبير نرمين؟؟ هل سأقدر على العيش مثلما كنت في بلدي...هل ســأكون قويـة واحافظ على ديني في بلاد قد اشــتهرت بالفســاد باســم الحرية والتحرر؟؟ كم كنت خائفة في تلك اللحظات مترددة!! وسألت نفسي ألف مره:(ماذا تفعلين؟؟ كيف تتركين بلدك!!)

مرت نصـف سـاعة أو أكثر كنت اتصـفح فيها من حولي لأشـغل نفسـي عن التفكير لأرى بمحاذاتنا أنا ووالدي حيث جلسنا فوق كرسيين متلاصقين : شابا وفتاة اجنبيين كما خمنت من ملامحهما وطريقة لبســهما يجلســان على ذينك المقعدين المتجاورين...كان الشــاب كما خمنت في نهـاية العشــرينات من العمر...يمسك كتابا يتظاهر بقراءته لكنني لم أر أنّ عينيه تقرآن شيئا....أخذتُ اتسلى بالنظر اليهما بين الحين والآخر متخذة والدي جدارا حصينا لأنظر خلفه وهو يغط في النوم وجريـدتـه فوق وجهـه وبين يـديـه...كـان الخوف والقلق يتآكلانني لما سلّيت نفسـي بمنظر الفتاة الملاصـق للنافذة من الجهة المقابلة لي وبموازاتي والتي كـانـت تجلس بجوار الشــاب....ظننتهـا قريبتـه لأنّ لون شـعرها الذهبي الناعم وهو يتدلى أسـفل قبعتها البيضـاء كان كلون شـعر ذلك الاجنبي الذي جذبتني ملامح وجهه المرسـومة بعناية وكأنها رسـمت بريشـة فنان..كان كأولئك الذين اعتدت رسـمهم من مجلات (البوردا) والموديلات...بل أوسـم ممن كنت ارسـمهم..كانت الفتاة ترتدي قميصـا أصـفر وسـترة بيضـاء وبنطال جينز ازرق كذاك الذي يرتديه الشاب خلا أنّ الأخير ارتدى كنزة زرقاء فاتحة تبرز فيها فتحة من الأعلى على شـكل رقم سـبعة...أما كمّي الكنزة فكانا مفتوحين من فوق الزندين ليبرزا عضلات قوية لذلك الشـاب الذي كان يحاول ابعاد الملل عنـه كما يبدو بمحـاولتـه قراءة ذلك الكتاب...كنت أنظر الى النافذة بين الحين والآخر...قررت عدم النظر مجددا لأني خشيت افتضـاح أمري..ماذا سيقول الشاب عني في نفسه الآن..حدثت نفسي بغضب....قرعت نفسي كثيرا لأنني شعرت أن الشاب قد شاهدني اراقبه!!

اصغيت إلى أفكاري وانا أنظر عبر النافذة :

"هل أنت سعيدة الآن.. سامحني ياحمد ..لقد كتبت له أن يكون حرا ويتزوج لأنني لن اعود سريعا قبل ان اثبت نفسي في بلاد الخارج .... أنني احرره من أي عهد او خطوبة او وعد. ولكن ياترى... هل هذا ماارادته يا نرجس..لكن لماذا تشعرين بالذعر ولماذا هذا الخوف في قلبك ..لمَ قررت اصلا المجئ هنا..من سيكون عضيدا لك..اختك نورس التي لم تكن تطيقك وانت في دار ابيك فما بالك الآن وانتما في بلاد الغربة ؟؟؟

..أناس تحجرت قلوبهم..ليس لهم مبادئ ولا يعترفون بالدين ولايؤمن اغلبهم بوجود رب يراقب افعالنا ...هل انت جادة فيما عزمت...ثم أنك تحدّيت والدك ويجب عليك إثبات نفسك له"...

شعرت كأن سكينا حادة تعمل في قلبي ثقبا وتوغل فيه حفرا ...شعور بالخواء والخوف رهيب ليس له مثيل...والتفتّ دون شعور مني نحو الشاب لأشغل نفسي عن التفكير ...قلت لنفسي..

"كفاك يانرجس ارحميني...ولكن ماذا سأفعل في ولاية فرجينيا حيث تعيش اختي وحيث انت ذاهبة؟؟ ولكن هل يحتاجون اختصاصي كأستاذة للأدب الانكليزي وهم لديهم خبرات وكفاءات من الأساتذة تفوقني بألف مرة...لابد أن أجد وسيلة ما وأعمل هنا في بلاد الغربة...يجب أن اثبت لأبي أنني لست فاشلة...لكن ماذا لو فشلت؟؟ حسن ..سأعود مهما كان الأمر حينها...كفاك تفكيرا يانرجس..كفى...نعم فوطني لن يلفظني بمجرد سفري بعيدا عنه!!! حسن اذا .. هل سأرى امي ثانية ووجه نرمين وطفليها الحبيبين وطفلها الذي ستنجبه والذي اثبتت تحاليل السونار أنه ذكر أيضا!!! أرجوك يارب...كن معي فأنا ضعيفة حقا ولا اعرف ماذا أفعل ..دلني يارب على الصواب إنني بين يديك وتحت رعايتك...سخر لي ملائكتك والصالحين من عبادك وابعد عني شر الأشرار يارب امين"..

تمتمت تلك الكلمات وكأني اتلو صلاة وكفيّ ملتصقان ببعضهما وهما موجّهان إلى وجهي...كانت دموع قليلة قد خرجت من عيني لمّا وجدت حينما فتحتهما

شـــخصـــا يراقبني باهتمام بالغ ..رباه...لقد كان ذلك الشـــاب الجالس بمحاذاة مقعدي من الجهة الأخرى!!!
نظرتُ إلى ذلك الرجل بدهشة وبينت له ذلك بنظرات عيني كي أُشعره بالخجل فيشيح بنظراته عني لكنه لم يفعل ذلك ...أحسست بسخط خفي فتعمدت تجاهله والانشغال بالنظر إلى جريدة والدي...كم كنتُ أمقت الوقحين...نسيت كل شئ عن وسامته وشعرت بالاحتقار له...انتشلت الصحيفة من بين يدي والدي فنهض من نومه وشعرت بالأسف لأجله لأنني اقلقت نومته...لكن كان عليّ أن الوذ به لأتخلص من نظرات الشاب
_اه يابنتي ..أين وصلنا!!! ألم نصل بعد؟؟
_كلا يابت... لا اعتقد ذلك فهم لم يعلنوا عن وصولنا بعد...
وفجأة نادى ابي على المضيفة بعدما قرأتُ علامات الانزعاج على محياه.
_حضرة المضيفة..لو سمحت...
_بم اخدمك..
وأشار لها كي تقترب منه فهمس لها شيئا ما وهزّت رأسها مبتسمة...رفعت رأسها لتشير له وهي تقول بصوت رقيق :
_تفضل معي لو سمحت يا سيد...من هنا...سوف ارشدك إلى المكان بكل سرور...
ورفع والدي حزام الأمان لينهض خلف المضيفة...تركني والدي بمفردي...قال لي بسرعة..
_عن اذنك ... سأعود سريعا يابنتي...
_اجل يا أبتِ..خذ وقتك ...
وفجأة وجدت ذلك الشاب ينهض من مكانه ولشدة دهشتي وجدته أمام مقعدي يقول لي بلكنة أميركية طلقة ..
_هل تسمحين لي بالجلوس...

رفعت رأســـي باتجاه.. ياالهي!!! كانت وســـامته مفرطة فلم أعرف بم أجيب ولعله قد قرأ ارتباك نظراتي واعجابي بشـــكله لأنه ابتســـم بشـــكل جميل جدا...لااعرف كيف أصف ابتسامته فهي ساحرة فعلا وكدت اقسم أنه قد سحر بها الكثير من الفتيات ...رفع حزام الأمان وشـــده على خاصـــرته وهو يجلس بجواري دون انتظار استئذان !!!

_مع الاسف انك لا تعرفين الانكليزية..صح؟؟ أنت عربية ...حسن..

نظر اليّ بـارتبـاك قليل ثم قـال وهو ينظر لعينيّ المدهوشـــتين لجرأتـه..وتمتم بشكل مضحك بالعربية..

_صباح الخير...كيف حالك؟؟؟

حاولت السـيطرة على ضـحكتي التي انطلقت دون شـعور سـخرية من طريقة نطقه لتلك الكلمـات...التفتّ نحو النـافذة محـاولـة تفـادي الضـــحـك ولما عدت بوجهي إليه وجدته غاضبا نوعا ما وهو يهتف بالعربية بشكل مضحك أيضا ..

_علام الضحك؟؟؟

_عد إلى مقعدك!! أنا لم ادعك للجلوس بقربي وهذا المقعد محجوز ...

_لأبيك!!! صح؟؟؟

قالها باهتمام فحاولت أن أكيده..وأتلاعب به وأغيضه...علّه يتركني..

_كلا بل هو زوجي !!!

_ماذا!!! لااصدق...

_وما دخلك انت؟؟؟

تحدى نظراتي بنظرات أكثر تحديا وقال بصوت حازم ..وبعربية مضحكة..

_سمعته يقول لك سأذهب يابنتي..فلماذا تكذبين؟؟؟ يمكنه الجلوس بقرب تلك الفتـاة لأنني مللت الجلوس مع فزاعـة...طيلـة الوقت واجمـة والطريق طويـل حتى ولايتي فرجينيا...

_ظننتها قريبتك!!! أو صديقتك ربما...(قلت بتوجس)

تمتمت بدهشه فاتسعت عيناه لترتسم ابتسامة ساحرة اخرى على شفتيه الرفيعتين ...

_كلا ليست قريبتي ولا صديقتي..وليس لي صديقة حاليا...ولست متزوجا لو يهمك الأمر...(همس في جملته الأخيرة برقة لي)...

_ولما يهمني الأمر ؟؟

قلت بغضب باللغة الانكليزية (ففضحت نفسي)_لأنني دوما لمّا كنت اغضب أو اريد قول شئ في بلادي ومسقط رأسي بسخط وغضب... اقوله باللغة الانكليزية كي اتوارى من الآخرين ...وكنت في اللاشعور أفعلها دوما....عندما قلت جملتي تلك .. بان عليه الغضب أكثر من قبل لكنه الآن كان غضبا ممزوجا بالدهشة ..

_اذا انت تعرفين الانجليزية؟؟؟

_نعم..أنا استاذة ادب انكليزي...هل ذلك يهمك بشئ ؟؟؟

قلت ذلك تفاخرا كي اتخلص منه فقد ظننته شخصا جاهلا من اولئك الأمريكان الذين يعتنون فقط بوسامتهم ولا همّ لهم سوى مظهرهم الخارجي ...وقلت ذلك بتباهٍ حتى يفقد اهتمامه بي ويرحل..فصاح بفرح..

_نعم...ذلك يزيدني فرحا..فقد وجدت من أحدّثه خلال الرحلة خصوصا وهو في نفس تخصصي ...يا لها من صدفة جميلة!! هل تؤمنين بالصدف

قال ذلك فجأة وهو يبتسم نفس تلك الابتسامة المدهشة فأسقط ما في يدي

_كلا ..غير صحيح !!! هل انت استاذ ادب انجليزي؟ ؟

نظر إلي باعتداد وقال بفخر ..

_طبعا انا كذلك ...وفي جامعة واشنطن ..هل تريدين اختباري..حدثيني عن كبرياء وهوى أو رائعة شارلوت برونتي أو لنتحدث عن تشارلز ديكنز...مواضيع شيقة أليس كذلك ؟

توسعت عيناي دهشة ...لم أعرف بم اجيب.. و شعر بارتباكي فبانت نظرة الانتصار في عينيه...

تداركت ارتباكي..

_إذا....ما الذي يفعله أستاذ ادب انجليزي في العراق؟؟؟

كنت قد لاحظت ملامحه وهو قريب مني ..كيف رسمت بقوة هنا وهناك ..أنفه مستقيم حاد وعيناه عسليتان ماكرتان ...اهدابهما شقراء..حاجباه الوقحان امتدا بقوة فوق عينيه ...شفتاه متناسقتان بشكل بديع فوق كتلة بياض وجهه الناصع بحيث خلتني سمراء أمامه..شعره الاشقر جدا فيه خصلات بيضاء من شدة شقاره...قد صففه بشكل متقن وعناية فائقة تدفع المرء للإعتراف له بقوة الشخصية والسيطرة المبالغ فيها...أما ذراعاه القويتان فربما كان لاعبا للأثقال لا استاذا جامعيا كما قال عندما يراه المرء للوهلة الأولى ولو ان الأخير لا يمنع الأول بأي حال أن يكون الاثنين معا.. قال باعتداد بعد كلامي...

_انا احب الشرق ..هذا كبداية ...لكنني جئت لغرض آخر...لأجل توأمي الذي يعمل في إدارة مطعم افتتحه مؤخرا مع فتاة عراقية تعرّف عليها قبل فترة وقد ارسلني كي أوثق في وزارة الخارجية والسفر في بلادكم بعض المتمسكات..واجلب لها بعض الوثائق من السفارة وأمور أخرى لا تهمك أيضا!!!

قال جملته الأخيرة بتحد ناظرا إلى عيني مباشرة فشعرت بارتباك شديد وشعرت أنه قد احس بلذة النصر للمرة الثانية...

تألمت كثيرا وبان ذلك في نظراتي فلانت نظراته وقال لي بصوت رقيق..يسحر أي أنثى في الكون..

_هل انت ذاهبة الى فرجينيا ايضا؟؟

_نعم ...وماذا عنك ؟؟

_ماذا عني ؟؟ طبعا ذاهب إلى هناك؟؟

_ألم تقل انك استاذ في جامعة واشنطن..ماذا تفعل في فرجينيا إذا؟ ؟

_أها...صحيح ..ملاحظتك دقيقة فعلا..أنا ازور اخي واعطيه مستمسكات فتاته العراقية التي طلب مني السفر مكانه لأجلها.. هل ارضيت فضولك عني ام تريدين معرفة المزيد؟؟

احتقن وجهي غضبا بينما لاح النصر في عينيه للمرة الثالثة...قلت له بحنق وانا اشير بيدي الى مقعده وقد نفذ صبري..

_سيدي ..عد إلى مقعدك لو سمحت...

قلتها بشكل قطعي وقد استبد بي الغضب ..نظر اليّ بغضب واتسعت عيناه ليقول بشكل قاطع ...

_هل تعلمين أنك وقحة جدا؟؟

_انا الوقحة..أم الذي ترك مقعده ليجلس دون استئذان هنا مكان والدي!!!

_اه حقا...لم أكن أعلم ذلك عندما كادت عيناك أن تخرجا من محجريهما وانت تنظرين إليّ من خلف جريدة والدك ...هل تنكرين ذلك...أنا كنت أنظر اليك دون أن تعلمي وأشعر بنظراتك!!!

واحتقن وجهي غضبا وتوردت وجنتاي خجلا...وللمرة الرابعة انتصر عليّ ولم أعرف كيف اجيبه لكن دموعا اندفعت دون ارادتي لان الموقف كان صعبا عليّ للغاية.. لانت قسمات وجهه فجأة وقال لي بصوت حانٍ للغاية تذوب له قلوب العذارى..

_اسف جدا ...انستي...أم اقول مدام ...

قال بتوجس وهو ينظر إلى اصبع يدي اليسرى وانا امسح دموع عيني وكان خاتم زواج نرمين حول بنصره لأنها اعطتني اياه كذكرى منها ولمّا رفضته بكت وقالت إنها لا تملك أغلى منه لتهديه لأغلى من عندها وهي انا...نظرت الى نظراته التي تبدلت خوفا وشكا فجأة وشعرت بلذة نصر خفية وكأنني مهمة بالنسبة إليه ودغدغت مشاعري الانثوية تلك النظرات الحائرة من عينيه العسليتين...

_لن أخبرك!!! فأنا وقحة وذلك ليس من شأنك...

قلت وانا اكفكف دموعي فأخرج منديلا من جيب بنطاله ناولني اياه وهو يقول متداركا..

_على أية حال ..أنا لايهمني كونك آنسة ام سيدة...اهم شئ هو قضاء الوقت ريثما تحط الطائرة في الولاية التي يسكن فيها اخي التوأم...فتلك الفتاة قربي هناك مصابة بالخرس عكسك تماما...

قال مبتسما بمكر..ولا ادري كيف ابتسمت وكأنه ألقى نكتة علي...أخذت امسح دموعي بمنديله دون شعور بما أفعل ، لما رجع والدي فحدثه بالأميركية معتذرا أنه قد جلس مكانه فقال له والدي بلكنة اميركية ضعيفة أن لابأس بذلك وأنه سيجلس مكانه فذهلت لما فعله...

التفت الشاب الأميركي إليّ وهو يبتسم ابتسامته الساحرة تلك وقال بصوت رقيق..

_ألن اتشرف بمعرفة اسمك..انستي أو سيدتي الكريمة؟؟؟ اسمي رالف ..رالف والتر...استاذ ادب انكليزي كما قلت لك سابقا وعمري هو تسع وعشرون عاما..متزوج وعندي ثلاث أطفال...وهم توائم أيضا!!!

"ألم يقل أنه لا يملك صديقة وليس على علاقة بإحداهن؟؟؟"قلت في نفسي بسرعة وحنق وانا اجيبه مجاملة لأن اسلوبه اخجلني...

_انا نرجس ....استاذة ادب انجليزي في جامعة بغداد...لديّ درجة ماجستير في الأدب الانجليزي...

_نعم...اكملي ...لو سمحتِ...

_ماذا اكمل؟؟

_تشرفت بمعرفتك ..لكنني لم أعرف كم عمرك وهل انت متزوجة مثلي وكم طفلا لديك؟ ؟؟ ألم اقل لك كم طفلا لدي؟؟؟

_نعم..واذكر انك قلت قبلها انك غير مرتبط فلم اعد اعرف ماهو الصدق من كلامك المراوغ هذا؟؟

_حسنا لقد كذبت فعلا ولقد عرفت ذلك..قلت اني متزوج كي لاأحرجك إن كنت متزوجة وتخشين قول ذلك لشاب وسيم مثلي أليس كذلك ؟؟

قالها وهو يغمز بعينه لي مبتسما فاستشطت غضبا وكدت ارميه بجريدة والدي في وجهه...

_ما هذا الغرور؟؟؟ كم انت مغرور؟؟؟ كلا ..لن أقول لك أن كنت متزوجة ام لا..ليس من شأنك أبدا ياسيد....وعد إلى مقعدك لو سمحت!!!!

_حسن اذا ...حظا سعيدا يا سيدتي المتزوجة من المجهول...سلامي لزوجك....

قال ذلك وهو يلتفت إلى والدي من الجهة الموازية له...إذ ناوله جريدته بعد أن أخذها بحركة مسرحية من بين انامليه..

_لو سمحت لي بمناولتي كتابي سيدي الكريم..هاك جريدتك التي أرسلتها ابنتك.....الآنسه ام السيدة..لااعرف...بماذا اناديها سيدي؟

_لالا..شكرا لك ..هاك كتابك ..

هتف والدي وعقب على كلامه..

_انسه نرجس نعم ..كلا ..ليست بسيدة..ليس بعد..شكرا لك...

وأُسقط مافي يدي..صحت به بعصبية...

_هل ارتحت الآن..حقا!!

نظر إلى عيني مباشرة بشكل جعلني اغض الطرف مباشرة خجلا من نظراته وقال مبتسما بمكر.. وهو ينتصر عليّ مرة أخرى...

_جدا...جدا آنسه نرجس..تشرفت بمعرفتك...

_هه...هل يمكن أن تذهب الآن...أنا لااجالس رجلا اجنبيا عني ولااتحدث مع الاغراب وان كنت تظن أن رحلتك ستكون سريعة بقضاء الوقت معي ..فأنت مخطئ جدا...دعني أقول لك هذا...

كنت قد تعجبت من تصرف والدي و قد ارتضى أن يجلس رجل غريب بجواري ..وفكرت...هل كان ليرضى ذلك في العراق ؟ هل كان العيب إذا محصورا في بلادي فقط والخطأ وماعلمنا عليه طوال حياتنا انا وأخواتي في

العراق فحسب؟؟ بقيت افكر لثواني..عندما فاجأني الشاب بصوته وهو ينهض هاتفا بصوت متهدّج حانق..

_أنت فعلا وقحة...عن اذنك..لا أريد تعكير مزاجي أكثر...

_من أنت ياهذا لتقول لي مثل هذا الكلام؟ ؟ لا أسمح لك...ولو قلت كلمة أخرى فسأنادي المضيفة كي تغير مقعدي وسأعمل فضيحة هنا...

_حقا!!! ماهذا يا ربي؟؟؟ أنت غير معقولة ياآنسه!! لكن حقا انا اعذرك...سوف تذهبين إلى فرجينيا ولسوف تتغيرين..فلو كانت هذه زيارتك الأولى لأمريكا فدعيني اقول لك...يوما ما ستذكرين موقفنا هذا ولسوف تشكرينني على تحمل وقاحتك معي...وقاحتك الشديدة أيضا!!!

_بل دعني أقول لك يا سيد ....

_والتر...اسمي هو رالف والتر آنسة نرجس....

قالها وابتسم بتفاخر ثم استدار ليذهب نحو مقعده لكنّ والدي كان نائما فشعرت بالإحراج الشديد خصوصا لمّا التفت عائدا إلى مقعد والدي وجلس دون أن يكلمني وفتح كتابه بعد أن ربط حزام الأمان وتظاهر أنه يقرأ في الكتاب فالتفتّ نحو النافذة وزفرت متنفسة الصعداء... قررت ان لا التفت إليه أبدا مطلقا... بعد نصف ساعة من الصمت الرهيب ..شعرت بحركة غريبة فالتفتّ لأرى الشاب قد رمى الكتاب بقربي وهو يهتف بغضب..

_حسن ..لقد انتصرتِ عليّ...اعترف لك...لا استطيع أن ابقى صامتا هكذا طوال الوقت...هلا تكرمت وتحدثت معي ياآنسه نرجس!!!

نظرت إليه بدهشه وانا اقول له بنظراتي أني لا اقبل ذلك...فاستسلمتْ نظراته وتحولت إلى نظرات متوسلة...

_حسن...لنتحدث عنك قليلا...ما سبب تشريفك زيارة بلادي وولاية اهلي بالتحديد ياآنسه نرجس؟؟ هلا سمحت بالإجابة على سؤالي؟؟ لربما اساعدك بشئ..أنا ذاهب لزيارة توأمي واسرتي هناك..لربما يكون طريقنا واحدا..ربما اقولها..أو أنني ربما أستطيع مساعدتك بشئ وانت ذاهبة للمرة الأولى كما

أستطيع أن أقول من طريقة كلامك وارتباكك من السفر وتذبذب مشاعرك كل حين...اولست محقا ...

اتسعت عيناي دهشة مما يقول...لست أدري لماذا يصر على مضايقتي رغم صدّي المستمر له...تعجبت في سري..وشعرت بالحنق الشديد عليه لأنني شعرت أنه بلا كرامة فكلما أبعدته بكلامي أراه لا يتكلم.. وكأنه في تحد...لم أجبه بشئ ...أدرت وجهي نحو النافذة مرة اخرى بعد ان قلت له

_انا مجرد وقحة...لاتتكلم معي...لكن ليكن في علمك شيء واحد (قلتها وقد غالبتني الدموع وبان ذلك عليّ جليا ولاحظتُ ذلك من نظراته الحانية التي تذيب القلوب)...أنا عراقية مسلمة ولست مثل نساء بلادك ولربما تراني وقحة في اسلوبي معك لأنك لم تعتد صدا أو تجنبا من أحدى الفتيات يوما ما وربما اعذرك في هذا لكن ليكن في علمك (قلتها مرتين لشدة انفعالي)...أنا لم اتحدث هكذا مع رجل من قبل ووالدي قد رباني على تجنب الحديث قدر الإمكان مع الرجال وعدم مجالستهم وحيث تربيت أنا...فهذا الشيء شبه محرم ولولا كوني استاذة جامعية لرأيتني أكثر خجلا ولما سمحت لك اصلا بالجلوس هنا...أنا..أنا هنا للمرة الأولى أغادر بلادي وكنت أنظر تجاهك كي أسلّي نفسي من أفكاري التي تتقاذفني يمينا وشمالا ولم اقصد التطفل عليك وانا اعتذر عن أي تصرف ظننت به اني اتكبر عليك او ..أو أنني وقحة فيه.. (كدت انفجر بالبكاء)..واشحت بوجهي لأغالب دموعي...

فقال فجأة وبسرعة ليتدارك دموعي..

_حسن...هل يمكن أن نبدأ مجددا ..آسف جدا ياآنسه ...سنتعرف من جديد..أنا رالف والتر...استاذ ادب انكليزي في جامعة واشنطن احب الشرق واحب كل شئ يتعلق به واحب الآثار العراقية القديمة وكل شئ أصيل ونقي ...أحب النقاء...كنقاء روحك الذي المسه الآن...ولذلك انا أتحمل نزق طباعك معي...لأني اعرف الآن انك تخجلين جدا...اعتذر لصراحتي الشديدة هذه معك لكن اسلوبك معي دفعني لهذا الكلام ولاادري ما الذي يحدث لي وانت تدفعينني

للتفوه بهذا الكلام..... رباه....كفى يا رالف...اعتذر حقا...اعتبريني لم أقل شيئا...

رباه..لقد لامس أوتار قلبي وكانت نبرة صوته صادقة جدا وكأنه يتوسل لي كي أسامحه... لا ادري لماذا التفتّ إليه لما رأيته قد اشاح بوجهه صوب أبي وكأنه يريده أن يستيقظ كي يهرب مني بسرعة ..وجدتني اقول له فجأة... وقد شعرت بإحراج الصمت بيننا...

_انا ذاهبة الى فرجينيا لزيارة اختي المتزوجة حديثا هناك...ولست أدري إن كنت سأعمل أو سأكمل دراسة الدكتوراه...أنا في حيرة من أمري ولسوف أقرر لما اصل بإذن الله تعالى...

_حقا!!!

نظر إلي بسعادة لاتضاهى وعيناه تكادان تقفزان من محجريهما فرحا..

_انستي انا الذي اعتذر...حقا اعتذر منك لاقتحامي خصوصيتك وعادات بلادك ..أنا افهم الآن...فعلا انا كنت اعرف قليلا عن ذلك لكن لم اتوقع ان تكوني هكذا ..اقصد ...لااعرف..ظننت لما كنت تنظرين الي اقصد دون قصد منك طبعا لربما فضولا..اسف...ما الذي اتفوه به..رالف كفى...أنا كلما تحدثت معك سأتسبب بمشكلة...(وتبسمت لكلامه فتبسم ضاحكا)....على كل حال..أنا حقا آسف...وللتعويض عليك ...هل تقبلين هذه البطاقة مني...فيها رقم هاتفي وعنواني ان احتجت اي شيء..اي شيء..(وشدد على كلماته) .. حقا سأكون بخدمتك وسعيدا جدا لأقصى حد بمساعدتك...حقا اقولها لك يانرجس..

"رباه!!!قال نرجس...رباه..لقد شدد على كلمتي أي شئ مرتين وبنبرة صادقة وحنونة جدا...كفى يا نرجس...لاتنغري بذلك!! فهو زير نساء اكيدا"

_شكرا لك....

وجدتني اتلقف البطاقة من بين انامله الطويلة بينما ابتسم ابتسامته الساحرة..فابتسمت دون وعي مني...قلت فجأة لأتدارك ذلك التواصل (اللذيذ) بالعينين والذي أربكني جدا..

_شـكرا جزيلا لك...سـأتذكر ذلك إن احتجت فعلا لذلك ..لكنني على الأكثر لن افعل لأنني ذاهبة الى منزل اختي التي افتتحت مطعما للتو واكيد أنها ستساعدني لكن لو وجدتها مشغولة مع زوجها وغير قادرة على مساعدتي بشيء فأنا ممتنة لك حقا حينها وسأطلب مساعدتك...شكرا لك سيد والتر...

قلت برقة وامتنان وصحت بنفسي ..."ماذا يحدث لك يانرجس"...

_ناديني رالف رجاءا كما ناديتك بنرجس!!! أليس ذلك أفضل من كل الرسميات...

رغم وقاحته واقتحامه خصوصيتي ومساحتي الخاصة بي..لكنني كنت سعيدة جدا بما جرى بيني وبينه ..لست أدري اي مشاعر دغدغت انوثتي...بل وجدتني لا أريد حقا أن تنتهي الرحلة وبنفس الوقت كنت اودها أن تنتهي لأنني شعرت وكأنني عصيت ربي جهارا!!!

بقينا نتحدث عن الأدب الانجليزي وعن القصص التي احبها ووجدته يحبها أيضا ووجدته يحب نفس الأفلام التي كنت قد شاهدتها من تلك القصص وغيرها إذ أخذنا الحديث إلى مواضيع شيقة أحبها وأحب الكلام عنها حقا...تفاجأت بكونه يجب نفس الممثلين ونفس الأفلام فانطلقت بالحديث وكان هو سعيدا حقا حينها وكأنه انتصر فعلا هذه المرة ولكن انتصاره كان ممزوجا مع انتصار خاص بي انا شخصيا...فلأول مرة أجد من يوافقني ميولي الأدبية وقراءاتي القصصية ووجدتني اقول له فجأة اني احاول كتابة القصص منذ مراهقتي فتوسعت عيناه اعجابا وتشجيعا وبقينا نتحدث طوال الرحلة عن الروايات والكتابة الروائية...

يالهي كانت تلك المحادثة أجمل ما يمكن في حياتي كلها...فلما وصلت ارض المطار في ولاية فرجينيا وودعت السيد والتر وانا أنظر لطول قامته وجمال طلته...شعرت وكأنه قد اختطف قلبي من بين أضلعي...لست أدري اهو شعور بالسعادة ام بالحزن لأني لن أراه مجددا ربما (وربما أراه بعد وقت طويل جدا أو ربما أراه صدفة) ...وبنفس الوقت شعور كبير قد انتابني بالسعادة أنني قد تكلمت معه ونلت ولوقسطا بسيطا من إعجابه...وتركت أفكاري الحمقاء للبحث عن اختي التي كان من المفروض ان تنتظرني في أرض المطار..وجدناها انا ووالدي بعد فترة من الزمن بين حشد من الناس الذين ينتظرون اهاليهم الوافدين وبعضهم يحملون لافتات للتعريف عن أنفسهم...كانت نورس تحمل لافتة كبيرة فيها اسمي بالعربية فعرفتها عن طريق اللافتة وإلا فمنظرها وهي ترتدي ذلك الجينز الضيق جدا والكنزة الملتصقة على جسدها والمفتوحة العنق من فوق ..اقول...أن لبسها ذاك لم يك ليجعلني اعرفها وهي تقف بين الاجانب وكأنها واحدة منهم ..حتى ولو بعد ألف سنة!!!

هرعت نحوي تقبلني وتحتضنني وشعرت بالسعادة لمرآها فهي أختي رغم كل شيء ورغم اختلافنا...من دمي ولحمي ..شهقت بالبكاء وهي تحتضن والدي...نظرت اليها بحنان وحب وحاولت استحضار لحظات جميلة بيننا لما كنا في الوطن...لم أجد ذكرى جميلة بيننا تجمعنا وشعرت ببرود كبرد الشتاء في قلبي لكنني تظاهرت بالحب ووقفت قربها أنظر لها وهي تسأل والدي عن أختي نرمين وعن أمي بالأخص وعن احوالنا هناك ثم التفتت إلي عامدة إثارة موضوعي أمام ابي...لتعود إلى نورس التي اعرفها..

_دعونا من هذا الكلام فنرجس حساسة جدا ولاتقبل الانتقاد...هيا بنا إلى منزلي يا والدي لأريكما إياه عسى أن يعجب اختي الحبيبة في هذه الفترة التي ستمضيها معي....هيا بنا... قالت ذلك وهو تتلقف حقيبة سفري من بين يدي والدي لتظهر نفسها بمظهر الطيبة والمتعاونة...ركبت في سيارة جيب مفتوحة

بعد أن وضـــعت حقيبتي في الخلف وركب والـدي بجوارهـا وانـا في المقعد الخلفي...ذهبنا عبر الشـوارع الجميلة المضيئة بمصابيح ذات إنارة عالية نحو منزل نورس وهي تهتف بنـا أن نرى جمـال ولايـة فرجينيـا حيث تعيش...فعلا كنت منبهرة بالأضـواء وكل شـئ حولي حتى وصـلنا المنزل فهبطت بسـرعة وهي تركض ونـادت وهي تفتح البـاب بينمـا أقف انـا خلفها مع والدي ... _لقد وصـــلت يـا حبيبي روكس... دلفت إلى المنزل الذي كان جميلا رغم صـــغر مســاحته مقارنة بمنزل أسـرتي الحبيبة...كانت الصـالة اول غرفة دلفنا اليها وهي مفتوحة على المطبخ حيث ظهر روكس الذي صـدمت برؤيته وصـحت بصوت عال..

_ماذا...رالف!!!

وقفت نورس تنظر اليّ بدهشـــة مع ذلك الرجل وكان والدي واجما وكأن على رأسـه الطير..لما ظهر شـخص آخر..نسخة أخرى من ذلك الشاب وهو يمسح يديه بمنديل ويلبس صـدرية المطبخ وظهرت الدهشـــة في عينيه لما نظر إلي بعدما كان يتحدث وهو قادم نحونا قبل أن يرفع رأسه باتجاهنا..

_هل سمعت أحدا ينادي بإسمي؟؟؟

وشهق بدهشة

_نرجس!!! ماذا تفعلين هنا؟؟؟

_كنت أريد سؤالك نفس الشيء!!!

_عماذا تتكلمين يانرجس؟؟؟

هتفت نورس وهي تحتضن روكس أمامنا دون مواربة....فصاح الاخير بأخيه التوأم ملتفتا إليه..وكان يقف خلفه مباشرة...

_هل تعرفان بعضكما حقا...ماهذه الصدفة ؟؟

_فعلا إنها صـدفة ياأخي روكس...عزيزتي نورس..لقد تشـرفت بمعرفة اختك في الطائرة فقد كنا على مقعدين متجاورين وتحدثنا طوال الرحلة دون أن أعلم أنـها اختك رغم أنها قد قالت شـــيئا عن ذهابها للمرة الأولى هنا لزيارة اختها

المتزوجة حديثا.. هل رأيت يانرجس ايماني بالصـــدفة!!! قال جملته ما قبل الأخيرة مشـــددا على كلمة متزوجة وهو يضـــرب كتف توأمه الذي ابتســـم بسخرية لسبب لم أفهمه...واسرعت نورس بالقول متداركة...وكأنها تريد أن تغير الموضوع بسرعة....

_حقا كنتما على مقعدين متجاورين!!! لكن أين كان والدي ياترى؟

قالت بريبة فهتف والدي بســرعة متداركا كي يجنبني الإحراج..وقد فهم جملة نورس الأخيرة بالانكليزية...فأجاب بإنجليزية ضعيفة...

_كنت انا قربها حتى نهضـــت للذهاب إلى دورة المياه ولما عدت وجدت هذا الســـيد جالســـا مكاني وعندما أراد النهوض قلت له أن يبقى...ظننت أنه كان ضجرا من الجلوس بصمت مع تلك الفتاة الأميركية التي كانت قربه....

_بالضبط ياسيدي!!

هتف رالف بحماســـة عندما أعلن عن شـــمه لرائحة الفرن وقد نضـــج الطعام الذي كان يعده..

_عن اذنكم ..كنـت أعـد وصـــفتي الخـاصـــة بـالـدجـاج وأرجو أن تعجبك يانرجس..فأنت لاتعلمين هواياتي المتعددة...أنا طباخ ماهر...

قال ذلك وهو يقبّل اصبعي ابهامه وسبابته بطريقة مسرحية دفعتني للضحك بسعادة وكنت فعلا سعيدة برؤيته...

لم أصدق وانا اتمدد فوق الفراش الذي وفرته اختي لي في الطابق العلوي في غرفة أنيقة لطيفة صـــنعت اغلبها من خشـــب البلوط ..اقول..لم أصـــدق تلك الصـــدفة الجميلة التي جمعتني مع ذلك الشـــاب الذي تبين أنـه توأم زوج اختي...كنت أخشـــى أن لااراه مجددا فإذا بي أجده أمامي وكذلك أجده طباخا ماهرا جلس بقربي عند العشـــاء وأخذ يناولني الطعام ويتحدث عن الأطباق الغربية بينما تحدثت نورس عن مطعمها الجديد الذي افتتحته مع روكس زوجها...وكم من الصعاب واجهت في أول انتقالها هنا وكيف انها تعرفت على روكس عن طريق رالف الذي تبين أنه صديق قديم لفادي اخونا الأكبر والذي

كانت له اليد العليا في مساعدته على الاستقرار بعد هجرته إلى أميركا عقب انتقاله من لوس أنجلوس بعد وفاة زوجته الأولى إلى ولاية واشنطن....حيث يسكن فادي الآن... قالت نورس بصوت مفعم بالحب ودون أن تخجل من وجود ابي...

_فقد وقعنا بحب بعضنا ما أن رأيته..أليس كذلك ياحبيبي...

قالت ذلك وهي تنظر إلى روكس الذي نظر إليها مبتسما ابتسامة والتر الساحرة ذاتها فلم ألمها في سري أن احبته سريعا وشكرت الله في سري أيضا أنّ له نسخة أخرى وأنها لم تحب رالف الذي يشاركني آرائي في القصص والروايات الأجنبية والأدب الإنكليزي... وهنا هتفت بسؤال مفاجئ جعل نورس تدهش عند سماعه..

_وهل روكس استاذ جامعي مثل السيد والتر؟؟

وهنا توقف روكس عن مضغ الطعام في فمه لثواني قبل أن ينفجر بالضحك....وهو يهتف قائلا....

_انا.... استاذ جامعي..كلا كلا...أنا لم افلح يوما في دراستي...تركت الدراسة كلها إلى نسختي الثانية... ....قال ذلك غامزا رالف الذي نظر إليّ بخجل من تصرف أخيه وحاول تدارك الموقف بقوله وهو يصب لي الماء_وكان قد ناولني قبلها بثواني صحنا فيه قطعة دجاج مقلية...

_لكن نورس حدثتنا عنك من قبل وحذرتنا من تعصبك في الدين ...

_حقا؟؟؟

نظرت إلى اختي بدهشة وغضب نوعا ما..عندما عقب رالف على كلماته:

_لكنني وجدت اختك يانورس جد مثقفة واعجبني التزامها بدينها ومبادئها...

_حقا... ذلك من الجيد جدا لكما..لقد أسعدتني كلماتك...

هتفت بضحكة مفتعلة شبه هستيرية..لكن كلماته ظلت تتردد في بالي وانا مستلقية على سريري الجديد لتدغدغ مشاعري فأبتسم دون ارادة مني...وتذكرت ملاحظة روكس وهو يحاول الرد على توأمه..

_لكن زوجتي أجمل بكثير من اختها التي تخفي جمالها بحجابها.. اليس كذلك؟؟ ما قولك ياتوأمي...خصوصا وانت خبير في النساء(غمزه)..

وهنا نظر رالف إلي وكأنه يعتذر عن وقاحة أخيه مرة أخرى وبسرعة اجابه متداركا..

_وهل يذهب جمال زهرة النرجس عندما تغطيها الثلوج ..ستظل نرجسا بريا...وسيظل جمالها في الداخل مخفيا لأنه جمال طبيعي غير مصطنع..

_الله...ما هذا يارالف...نعرف انك رسام لكنني لم اعرف انك شاعر ايضا ...

هتفت نورس وهي تصرّ على أسنانها وكأنها تخفي غيضا مكتوما...واردفت معقبة...

_حسنا اذا...لقد وافق القدر غطاءه..نرجس أيضا رسامة مثل اخي الاكبر فادي...أنا لم أقل لك هذا أليس كذلك ياروكس؟؟؟

_حقا...هل ترسمين؟؟؟

هتف رالف غير مصدق لما هتفت به نورس وهي تفتخر..

_وتكتب الشعر أيضا....إنها كاتبة أيضا ...متعددة المواهب في الواقع و كنت احسدها دوما على مواهبها تلك!!!

نظرت إلى نورس غير مصدقة ما تقوله عني وكيف أنها امتدحتني هكذا وشعرت بالامتنان لها وقلت في سري..لربما قد غيرتها الغربة....لكن سعادتي كانت فعلا بنظرات الإعجاب التي ظهرت في عيني رالف...وبقيت افكر في تلك اللحظات الجميلة التي جمعتنا على العشاء سوية بينما والدي لم يفهم كثيرا مما كنا نقوله لأنه يعرف القليل من الانجليزية إذ أنه كان استاذ لغة ألمانية ....وبقيت افكر بتلك المشاعر الشاعرية الجميلة عندما هجم النوم عليّ من شدة التعب...

في صباح اليوم التالي ...ولما هبطت إلى الطابق السفلي وجدت اختي في المطبخ فذهبت لأساعدها..نظرت الي نورس وارتسمت ابتسامة رائعة على محياها..

_مرحبا صباح الخير والعافيه...هل نمت جيدا عندنا..ارجو ان تكون الغرفة قد اعجبتك؟؟

_انها غرفة جميلة للغاية يااختاه...شكرا لك حقا...حقا يانورس انا اشكرك..

نظرت الي نورس بدهشة وهي تصب الشاي لي وتؤشر بيدها الأخرى كي اجلس عند المائدة...

_علام تشكريني؟

_على كل شئ..استضافتك لي...كرمك معي ...مديحك لي أمام توأم زوجك...حقا انا ممتنة..

_اه...رالف...أنا اشم رائحه إعجاب في الموضوع..

قالت ذلك فتوردت وجنتاي وصحت بها بغضب مشوب بالخجل..

_كلا طبعا.. ماهذا الكلام ...

_حسن ...لا بأس انا اعتذر منك..لكنني سأضطر لتركك لألحق زوجي في المطعم لأنني انتظرت نهوضك حتى اذهب فلن اتركك في أول يوم في منزلي مع رالف لوحدكما...(قالت ذلك وهي تنظر إلي من طرف خفي وكأنها تتعمد ذلك الكلام) ...خصوصا وان والدي لايزال نائما.. اه تذكرت لقد نبهني أن اوقظه لأجل موعد الطائرة المغادرة إلى العراق...

_ماذا؟؟؟ بهذه السرعة؟؟؟

_نعم ...للأسف...حسن اذا...سأتركك لأذهب للمطعم..

_ماذا...هل سيغادر بهذه السرعة...

شعرت بخواء داخلي وكأن صقيعا أصاب قلبي..هل سأبقى بمفردي هنا؟؟؟ كيف سأعيش بعيدا عن اهلي يا رباه ....

_نورس كيف تحملت الغربة...ساعدك الله..أنا الآن اريد ان أبكي...

وادمعت عيناي عندما نظرت نورس إلي بحزن وهتفت..

_فعلا كلامك....لقد عانيت كثيرا ولولا فادي الذي عرفني على رالف وعن طريقه أحببت روكس وعشت معه ..لما استطعت التأقلم هنا...في عالم غريب

تماما عن عالمنا..فمهما كنت متحررة عندكم هناك (وقهقهت بسخرية)...سترين اني اكثر امرأة ساذجة هنا مقارنة بنساء الغرب...ساعدك الله انت ياالختاه..إن كنت تريدين البقاء هنا ..كيف ستواجهين هذا المجتمع مع حجابك هذا؟؟؟ نظرت إليها بحنق وقلت لها بتحد..

_بالإيمان سأحيا هنا كما عشت هناك من قبل..

ضحكت نورس بصوت عال ثم التفتت وهي تخرج صحنا من الزيتون مع الجبن لأجلي وضعته فوق المائدة...

_حسن اذا ...هل ..اعجبتك غرفة رالف التي افرغناها لأجلك البارحة ...حقا أنت تستحقين ذلك ياالختاه...فلطالما يأتي رالف هنا ويمكث عندنا ليرسم أو يقضي بعض الوقت عند زيارته لأهله الذين لايبعدون كثيرا عن منزلي... هتفت وهي تنظر إلي مبتسمة بمكر..فاحمرت وجنتاي ... "رباه...اذا هي غرفة توأم زوجها؟؟!!!" استأذنت نورس لتذهب الى عملها في المطعم الذي لا يبعد كثيرا عن منزلها ودعتني لزيارته يوما لمّا تستتب الأمور عندي في ولايتها الجديدة ...المهم أني بعد تناولي الفطور ذهبت الى غرفتي وكانت نورس قد أكدت علي أن اوقظ ابي قبيل الظهيرة ليستعد للسفر لان طائرة العودة إلى العراق قد تم حجز تذكرتها منذ الامس لتقلع في المساء ... في غرفتي الجديدة تأملت النافذة الجميلة وهي تطل على حديقة منزل اختي... تلك الحديقة الصغيرة في الأسفل عند مدخل منزلها...كان السرير وثيرا وقد نمت بهناء فوقه بالأمس كطفلة صغيرة...فتحت النافذة لأطل على المنظر البديع...ولأتنشق ذلك الهواء النقي...وشعرت بسعادة تدغدغ قلبي ...كان منظر البيوت المتراصفة الصغيرة والكبيرة يمتد أمام ناظري على امتداد الشارع أمام منزل اختي الجديد...كانت الأشجار بين المنازل والورد في الحدائق أمامها منظرا خلابا...كان هنالك شابان يتحدثان أمام المنزل المقابل...سعدت اني لم اخلع حجابي لأنني لابد وان اكون عرضة للنظر حتى ولو من بعيد وقد تعلمت منذ صغري الحفاظ على حجابي أكثر من دروسي ..كانت خلفي خزانة من

خشـب الصـنوبر (كما عرفت من صـانعها فيما بعد فأنا حينها لم أكن اعرف انواع الخشب)...وكانت نقوشها بديعة....نظرت في الغرفة لأجد منضدة كتابة وكرسـيا وطاولة زينة وكان هنالك كرسـيان منخفضـين ...هنالك كرسـيان بمسـندين لكل واحد منهما أمام طاولة دائرية....فوقها زهرية وضـعت فيها زهور جميلة وكأنها قد وضعت احتفالا بقدومي وقلت في نفسي... "كم أصبحت نورس لطيفة !!! هل كنتُ مخطئة في حقها عمري كله...لربما تغيرت بسـبب الغربة...لست أدري؟؟" نظرت صورتي في مرآة منضدة الزينة التي صنعت بنفس نوع خشـب الخزانـة...فجأة انتابني حزن وانقباض في قلبي لم أفهم سببه..وقلت بصوت عال وانا أحدث نفسي..

_من المفروض ان تسعدي يانرجس ؟؟؟

_وهل انت غير سعيدة الآن ؟؟

سمعت صوتا من خلفي فالتفت مذعورة...

_كيف تجرؤ على الدخول هكذا..لقد.. لقد افزعتني...

صحت بدهشة وانا أضع يدي على قلبي فدلف رالف يحمل لوحة خلفه ..هتف بي..

_اسف لأني لم أصدر صوتا لكنني وجدت الباب مفتوحا ولذلك لم أنقره...وكنت اريد أن إريك رسمي في الواقع بما انك رسامة كما عرفت بالأمس!!!

شعرت بالخجل وهتفت بسرعة..

_رسامة!!! كلا ...مجرد هاوية للفن والرسم ..و...رباه...هذه اختي..

صحت بدهشة وانا أرى لوحة رائعة رسم رالف فيها اختي..كانت لوحة بديعة بالألوان الزيتية...

_لقد طلب مني روكس رسـم اختك هدية لها...إنها مفاجأة...لعيد ميلادها القادم عن قريب ..

_رباه ..انت فنان حقيقي..أنا مندهشه..لااعرف ماقول!!!

شـــعرت أنه قد انتشـــى فرحا بكلامي....فجلس بســـرعة فوق ســـريري وهو يهتف ..

_اذا ..ألن تريني دفتر تخطيطاتك؟؟؟ لأرى مستواك في الرسم؟؟؟

_لا تجلس على سريري..

صحت بصوت عال دون وعي مني ففزع رالف ووثب ناهضا...

_ماذا حدث... لماذا صحت بي ...ماذا لو جلست هنا؟؟

_اعتذر لك..لكنني افضّل الجلوس على الكرسي...

قلت وقد احمرت وجنتاي ...فتقدم رالف نحو الكرســـي قرب المنضـــدة حيث الزهور الجميلة وجلس إلى المنضدة وهو يهتف..

_حســـن ..ارجو ان يكون الســـرير مريحا...واتمنى انك نمت جيدا بالأمس.. واتمنى ان يكون عملي في صنع السرير قد نال رضاك!!!

_نعم..شكرا لك سيد والتر..

...(عملي في صنع السرير!!)..هتفت في سري باحتجاج ودهشة !!!

_سيد والتر؟؟؟ ألم نتفق ان تناديني رالف!!!

_نعم...نعم..لكنني مرتبكة جدا.... اعتذر...

ابتسم رالف نفس تلك الابتسامة التي تجعلني لا اعرف ماقول.. جلست على الكرسي المنخفض كي اكون اخفض منه فأشعر باتزان نفسي نوعا ما..لأن ارتباكي كان شديدا_وكي اخرج دفتر رسوماتي من حقيبة سفري التي لم افرغ محتوياتها بعد..

_هل تحتاجين مساعدة في إفراغ حقيبتك؟ سأكون سعيدا لو طلبت ذلك!!!

شعرت بالخجل من لطف تعامله وقلت له بسرعة..

_كلا شـــكرا لـــك ...ســـوف افرغهـــا اليوم على مهلي.. فقـــد كنـــت متعبـــة بـــالأمس...شـــكرا لأنـــك أعطيتني غرفتـــك .. لقـــد قـــالـــت لي نورس أنهـــا غرفتك ...لكن ...اين مكثت بالأمس اذا؟؟؟كان والدي في الغرفة الســـفلية في غرفة الضيوف...هل نمت هناك ...

_كلا ....نمت في الصالة فوق الاريكة...
قال بلا مبالاة فاحمرت وجنتاي خجلا...
كان قد قال ذلك دون أن ينظر إلي فشكرت الله انه لم ير احمرار وجهي وهو يقلب في صفحات دفتر رسوماتي الذي تلقفه بسرعة من بين أناملي ...
كان يتمتم وعلامات الدهشة ظاهرة في عينيه..
_لقد صنعت هذا السرير مع أخي وأحمد الله انك قد ارتحت في النوم بالأمس فقد كنت مجهدة...
_انت من صنعه؟؟؟
قلت بدهشة فرفع عينيه العسليتين لينظر اليّ بسعادة...وهتف وهو يشعر بالفخر..
_حسن ..كل اخشاب هذه الغرفة من صنعي فأنا موهوب بالفطرة بصناعة النجارة.... ألم اقل لك أنّ عندي مواهب متعددة..في الحقيقة ..لقد ورثنا وتعلمنا هذه الحرفة من والدي ..فهو نجار اصلا...
قال ذلك وهو يغمز بعينه لي (شعرت أن من طبيعته فعل ذلك كتوأمه كما لاحظت)...فأطرقت خجلا ولاحظ هو ذلك فغير موضوع الكلام ليقول لي بصوت رقيق..متداركا ارتباكي وخجلي الشديدين...
_انت رسامة موهوبة وانا مستعد لتعليمك اي شئ ...تحتاجين خبرة وصقلا لموهبتك لا غير...انت كالزهرة البرية..بل أنت كهذه الزهور التي وضعتها بالأمس مساءا قبل أن تحضري مع والدك لأنني ركبت سيارة أجرة وجئت بسرعة لمنزل اخي..ولو كنت أعلم ان طريقك هو طرقي لما تركتك تأتين بمفردك مع والدك حتى ولو اوصلتك اختك!!! حقا أقول لك...هذه الزهور البرية تحتاج رعاية كي تزهر في الاصيص...لذلك سميت بالنرجس البري...لأنها تعيش بمفردها في الطبيعة أما لو قطفناها فيجب علينا أن نرعاها حتى لا تذبل...أن نرعاها رعاية خاصة..صدقيني...
_رباه.. انت من وضعها؟؟ ظننتها اختي..

_انا احب الزراعة و زرعت عدة زهور في مقدمة منزل اخي الذي بنيناه سوية انا واياه...إنه في الواقع منزلنا انا وروكس لكنني قررت أن أكون مجرد ضيف عليهم بعد تعرف توأمي بأختك ..لا بد وأنك تفهمين قصـــدي...قال وهو يغمز مرة أخرى بعينه اليســرى(وكأنها عادة مشــتركة بينه وبين توأمه كما خمنت من قبل)..."لعلها عادة لايستطيع تركها"...قلت لنفسي وانا ابرر له...ففي بلدي من يفعل ذلك يعتبر غير مهذب أبدا وخصــوصــا أمام الفتيات فما بالك لو كان استاذا جامعيا!!!

تغاضيت الطرف عن ذلك وقلت هاتفة به....محاولة تفادي ارتباكي ...

_النرجس هو معنى اسمي في العربية لو كنت تعلم...

_حقا...واو ...اسم جميل حقا.. لم أكن أعلم أن معنى اسمك جميل هكذا!!

_ومامعنى اسم رالف بالانكليزية؟؟؟

قلت لأغير الحديث وحتى لا يتخذ الأمر حجة فيوجه لي غزلا مبطنا...ذلك اني شــعرت بالفزع من حديثي واندفاعي بالتحدث معه ومجيئه لغرفتي وجلوســه هكذا دون رخصــة ولكوني وحدي معه في غرفتي حتى ولو كانت باب الغرفة مشــرعة.. كان كل ذلك صــعبا جدا علي ...أنا التي تربيت طوال عمري على العيب والحرام ..وجدت كل هذا اصلا لا شيء هنا فهو قد جلس مباشرة على ســريري كمســألة عادية...قلت لنفســي وانا أنظر إليه بذهول بينما كان يقلب دفتري فرفع رأسه بسرعة ممازحا..

_هل عدتِ لتأمل وجهي!! ماذا؟؟ هل سترسميننني ؟؟؟ ام انك معجبة بي؟

_لم تخبرني عن معنى اسمك؟؟؟

قلت متداركة بعصبية فلاحظ ذلك بذكائه المتقد فأغلق الدفتر وهو يقول:

_لماذا تبالغين في ارتداء جلباب طويل وما هذا الغطاء حول رأســك...أنا حقا اشعر بالفضول لااكثر...ولما ذهبت إلى بلادك وجدت نساءا مثل نورس اختك ونساءا مثلك واخريات يرتدين ما تدعى بال...ماذا تدعونه..ذلك الرداء الأسود حول المرأة ..يغطي جسدها كله..

_العبايه...
_اه...نعم...أبايا...
قالها بلكنة مضحكة فضحكتُ دون ارادة مني ونهضت بعصبية لأنني شعرت أنه يوجه انتقادات لحجابي..فذهب خوفي وترددي وانطلقت هاتفة
_انا تعلمت طوال عمري أن الفتاة يجب عليها ستر مفاتنها أمام الرجل الاجنبي عنها ..واقصد بالأجنبي ..من لم يكن والدها أو اخاها أو ما يعادل ذلك من المحارم عليها ...لأن ذلك يؤدي إلى الفساد والحرام...
_ ولماذا...الا تنزعجين من هذا الغطاء على شعرك؟؟
_كلا...لا انزعج أبدا..
_لكنك فتاة في مقتبل العمر والشباب .. وانت جميلة كجمال آلهة عشتار القديمة بعينيها السوداوين الواسعتين...فلماذا تتحجب الفتاة الجميلة ولاتعرض جمالها للآخرين كزهرة النرجس الجميلة هذه...لمَ ياترى...
شعرت بغضب شديد وتمنيت لو أنني اصفعه على شدة وقاحته..انتِ جميله..قالها في وجهي...(كيف سمحت لنفسك يانرجس أن تتدني لهذا المستوى؟؟)...
قلت بنبرة غاضبة محاولة السيطرة على انفعالي قدر الامكان...
_لأنها ستكون عرضة للناظرين من ضعفاء النفوس وستكون لقمة سائغة بأفواه المتطفلين...ولن تكون لها كرامة أو قيمة عند نفسها وستتعرض للتحرش من المرضى نفسيا ثم أنها إن تبرجت وأظهرت مفاتنها فلن يرغب بها رجل يريد الزواج منها فعلا ...بل سيرغب بها من يريد التسلية فقط....الا تتفق معي بذلك؟
قلت بتشكك في جملتي الاخيرة وانا أنظر تجاهه بينما كان ينظر إليّ باهتمام مستمعا لوجهة نظري باحترام وتقدير جعلاني أهدأ من فورة دمي تلك...
_ارجو ان لااكون قد اغضبتك ثانية يانرجس..اعذريني...تلك مبادئك وانا احترمك جدا لأنك ملتزمة بها...أما عن رأيي في الموضوع فلست أرى أن

جميع الرجال شياطين لا يتزوجون ...ولاارى جميع الفتيات مجرد عارضات لأنفسهن لأجل الاغراء ..لا ..من حق الفتاة أن تُظهر شعرها حالها حال الرجل...وذلك شأنه كونه حيوانا دنيئا إن حاول التحرش بها...لقد تربيت انا هكذا ...وكما ترين...سوف تنصدمين بالكثير من الاختلافات بالثقافة هنا بين بلدك وبين ولايتي هنا حيث ترعرعت...على كل حال...أنت انسانة راقية يانرجس وانا لااريد ازعاجك أبدا...

_شكرا لك..

قلت باقتضاب وانا أنظر الى زهور النرجس في المزهرية واتذكر التشبيه الذي قاله هو عنها...ساد صمت ثقيل بيننا لدقيقتين ..قطعه صوته وهو يقول فجأة ...

_هل نشرت شيئا من كتاباتك يانرجس؟

_ماذا؟؟؟

نظرت إليه بامتنان..فقد كان بارعا في تغيير المواضيع...

_كلا...لم أفعل بعد ...

_ولماذا ياترى...

_عدة اسباب...اولها لأني لم أعرض قصصي لناقد فني من قبل ...وثانيا لأن الطباعة مكلفة في بلادي ويجب أن تتم على نفقتي الشخصية أو على نفقة الدولة إن فزت بجائزة مسابقة أدبية ما لست أدري متى تكون لأنني دوما ما انشغلت بدراستي وثم عملي كأستاذة جامعية...وحقا لم أجد ناقدا أعرض قصصي له..أو لأنني ليس لدي معارف في هذا الحقل..نعم ..يملك والدي معارف عديدين ولكنه...(وقلتها بألم وحزن)... لايؤمن بموهبتي هذه ولم أجده يشجعني يوما عليها ...(قلت جملتي الاخيرتين وكأنني اتحدث مع نفسي)...

وجدت رالف يقف قربي فجأة وهو يهتف بي ماداً يديه باتجاهي ...

_هل يمكنني قراءة إحدى قصصك إن كنت قد جلبت أيا منها معك!!!

_ماذا؟؟؟

نظرت إليه غير مصدقة...
اغمض عينيه مؤشرا بالإيجاب ..وسألني بسرعة..
_كم قصة كتبت وكم رواية...وهل هي باللغة الانكليزية ..لأنني لااعرف العربية جيدا كما تعلمين(وغمز مجددا)...
ارتبكت حينها وذهبت نحو حقيبة سفري..كنت قد جلبت جميع قصصي ورواياتي فهي أعز ما املكه..شكرت الله في سري لأنني كتبت رواية واحدة باللغة الانكليزية على سبيل التجربة أول نيلي رسالة الماجستير لأتحدى مهارتي اللغوية.....
ناولته اياها وانا انحني نحو حقيبتي بعد أن أخرجت خمس قصص وثلاث روايات...شهق رالف وهو يهتف ..
_هل هذه كلها قصصك؟؟
_نعم...لم اكتب كثيرا..أليس كذلك؟؟؟
_هل تمزحين؟؟؟ أنت موهوبة بالفطرة ....
_أقرأها أولا فربما لا تعجبك...
_اووه... كوني على ثقة أني سأحرص على قراءتها.. وبأسرع وقت ممكن...أنا أعشق الروايات والقصص ....تلك هي إحدى هواياتي...
قال ذلك وهو يقلبها بين يديه فشعرت بارتباك ولكن سعادة خفية داعبت وجداني...كان أول شخص في العالم يهتم لكتاباتي...
_حسن ..عن اذنك...لقد أخذتُ كثيرا من وقتك...
_رالف!!!
ناديت من بعده..
_ماذا....(التفت إليّ بقامته الطويلة)..
_شكرا لك...

نظر إليّ ممتنا وابتسم محتضنا الرواية بين قبضتيه وكأنها شئ ثمين واستدار بعد لحظات وخرج ...سمعت فجأة صوت والدي ينادي نورس من الطابق السفلي فتذكرتُ ماقالته نورس لي...

هبطت إلى الطابق السفلي وقبّلت والدي وذهبت معه إلى المطبخ لأقدم له الطعام..أخرجت ما وجدت في ثلاجة منزل روكس واختي ...قلت لأبي..

_ارجو ان تكون قد نمت جيدا بالأمس ياأبت..

_حمدا لله...سوف ارحل اليوم مساءا..

_نعم ..لقد اخبرتني نورس...لكن ...لمَ ترحل سريعا..

_نرجس ...لقد تركت امك لوحدها وأنا وعدتك ان اوصلك إلى اختك... وانا الآن قد اطمأننت عليك...زوجها رجل طيب ومن محاسن الصدف تأخر رحلتنا فقد تعرفنا على توأمه وكما يبدو فهو قد يمكنه أن يسهل لك أمور دراستك العليا في جامعته...بالتوفيق يابنتي ولاتنسي هدفك...

_شكرا لك يابت...سأفعل ان شاء الله ...

وودعت والدي عند المساء انا ونورس مع الدموع والحسرات وشعرت انّ مشاعر نورس صادقة حقا وهي تبكي وتحتضن والدي كل حين وتنشج بالبكاء و تقول له ان يقبل والدتي الف مرة نيابة عنها...وكذلك فعلت انا لكنني لم احتضن أبي اكثر من مرة واحدة فقد خجلت ان افعل ذلك أمام رالف وتوأمه اللذين كانا ينتظران انتهاء تلك المراسيم كي يوصلاه إلى المطار فقد كان روكس يحمل حقيبته بينما رالف يجلس خلف المقود ...

عندما ذهب ابي التفتّ إلى نورس واحتضنتها وبكيت فاحتضنتني وبكت ..

_لم يعد لي من اهلي سواك ياتورس..أرجوك لا تتركيني بمفردي هنا ...

_حبيبتي الغالية..وانا ايضا ليس لي أحد سواك من اهلي هنا...أنت فقط...لا ولن أتركك...أرجوك لا تخافي ..سوف نكون سوية دوما ولن أتركك أبدا..

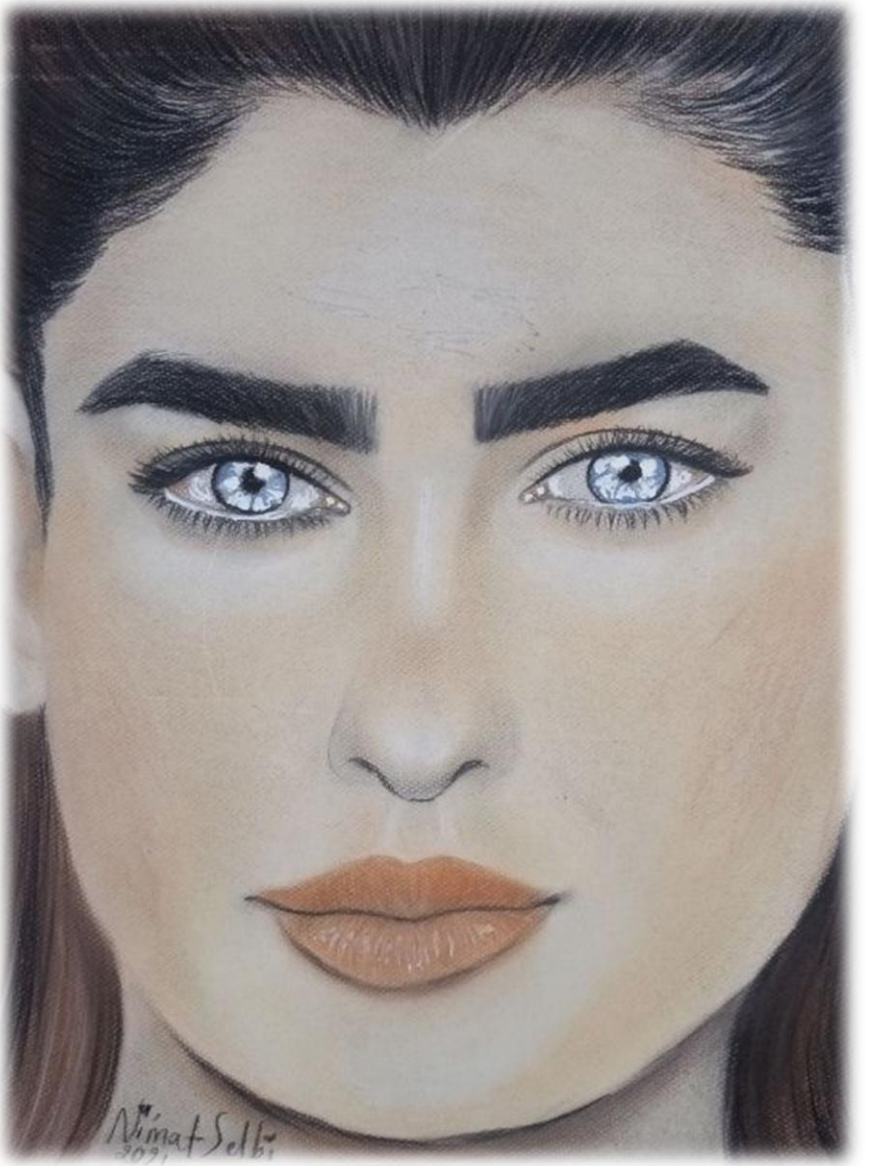
Nimat Selbi
2021

الفصل الثامن

كنت قد استيقظت مبكرا في صباح اليوم التالي فنهضت نحو النافذة لأفتحها وانظر عبر النافذة إلى حديقة الزهور الصغيرة ...حيث وجدت رالف يقتطف بعض الزهور....جلست على مقعد المنضدة المنخفض أمام طاولة الزينة وصففت شعري وارتديت حجابي وجلبابا استخرجت من الخزانة بعد أن رتبت ثيابي فيها بالأمس فقط بعد رحيل والدي...اخترت جلبابا ازرق اللون وربطة ذات لون افتح من لون السماء كانت تتناسب مع الجلباب ورتبتها بشكل جيد حول وجهي المدور الأبيض اللون..نظرت الى شكلي قليلا...تذكرت كلمات رالف عن الحجاب وعن كوني جميلة وكيف أنني احجب جمالي بذلك التشدد المبالغ فيه...جزء مني صدّقه وجزء كبير مني رفض كل ما قاله...هززت رأسي بألم وقلت ...

_مجرد هراء..

_هل ادخل ...ما هو الهراء....

سمعت صوتا بعد أن امتدت يد بكم قميص أبيض لتنقر الباب التي كانت غير مقفلة...لاحظت عدم قفلي لها فلُمت نفسي في سري...

برز رالف من خلف الباب بسرعة لما ناديت بصوت مسموع أن يدخل..

كانت بين يديه مجموعة من زهور النرجس وزهور أخرى اقتطفها من الحديقة الخاصة بمنزل أخيه...تحرك نحو الاصيص بسرعة وقال لي بصوت ذي جرس رنان..

_صباحك ورد كوَرد النرجس يا نرجس...

هتف بي فاحمرت وجنتاي...

_صباح الخير....

قلت باقتضاب ....أخذت الحظ كيف يعتني بالزهور ويصففها سوية...نظر إليّ بقلق..

_لكن ....أنا أرى انك لم تغيري ماء الاصيص؟؟؟ سوف تذبل بهذا الشكل يجب أن تعتني بالزهور دوما...

_سأذهب لأبدل ماءها...

قلت وأنا احاول تلقف الزهرية لمّا وجدته يحملها من بين انامليِ وقد لامست بعض انامله انامليِ ذاتها فسرت قشعريرة في جسدي كله...كنت متأكدة انه لم يهتم مثلما تأثرت انا...فأنا مجرد فتاة ساذجة لم تكلم إلا قليلا من الرجال وكان معظمهم اولاد عمومتها وبشكل رسمي أيضا...وفقط تحدثت مع خطيبها الذي لم تكن تحمل في قلبها اية مشاعر تجاهه كتلك التي بدأت تتلمسها تجاه رالف...دون توقف....وبدون أن تعرف السبب...كانت مشاعر قوية دفاقة لاتتوقف أبدا أبدا....

قال لي وهو يبتسم ابتسامته الساحرة....

_كلا...أنا أسرع منك...ارتاحي انتِ فقد نهضتِ للتو كما أرى...هل أعجبك تصميم الحمام المرفق لغرفتي...كانت فكرتي انا عندما اسسنا المنزل انا وروكس...

قال ذلك وغمز بسعادة فلم اعرف بم أجيبه...

جاء بسرعة حاملا زهرية جديدة وبدأ يرتب الزهور باعتناء شديد واهتمام وكأنه طفل صغير يعتني بلعبته..كان مركزا كل انتباهه على تلك الزهور وجعل زهور النرجس هي البارزة ولست أدري أعمداً فعل ذلك ام بدون شعور؟؟؟

سألني فجأة وهو يعتني بالزهور ويرتبها واحدة واحدة..والتفت إلي بنصف جسده وهو ينظرني من الجانب بينما انامله لاتزال ممسكة بالورد.

_مارأيك بأخذك في جولة حول مدينتي لتري أماكن لم تريها من قبل فتكون الهاما فنيا لك لكتابة رواية جديدة بالانكليزية هنا ؟؟؟ هه...أليست أفكاري عبقرية؟؟؟

نظر إلي من طرف عينيه نظرته الساحرة تلك فحرت جوابا...

_أين نذهب...أنا لا أخرج مع رجال اجانب غرباء عني ...
_هل تعتبريني حتى الآن غريبا؟؟؟ حســـن...يمكنك أن تقولي لنورس فنذهب لزيـارة اهلي للتعرف عليهم ...مـارأيـك...إن كنـت ترفضـــين المجئ بمفردك معي...لأنني ربما..وربما..حسن ..ربما سألتهمك...
قال ذلك وهو يقوم بحركة مسـرحية ضـاحكا فشـعرت بالحماقة من تصـرفاته ومن كلامي ولم أعد أعرف ماذا أقول او كيف اتصـرف معه...واسـقط ما في يدي عندما دلفت نورس فجأة وهي تهتف ..
_رباه ...كنت اسأل أين أنتِ ولم تأخرتِ في النهوض اليوم...لكنني أرى السبب الآن...أنا اعذرك يا أختاه ..حقا أنا أفعل ذلك...(ضحكت عن عمد)
قالت ذلك وهي تنظر إلى رالف الذي ابتسم وهو يهز رأسه بسخرية...
_نرجس ليســت كذلك يـانورس ...أنـا الـذي جئت لها بالزهور...وانا ســبب تـأخيرهـا...لا تحـاولي أن توصـــلي رســـالـة أخرى بتلميحـاتـك هذه يـا فتـاة توأمي...(كانت تلك الكلمات الأخيرة مبهمة المعنى بالنسبة لي حينها)...
_لكنْ... ما هذه الرسائل؟؟؟
هتفت نورس وهي تنظر إلى منضـــدة الكتابة_لتغير الموضـــوع_حيث نثرت رســـائلي التي حملتها معي كذكرى جميلـة من اخي فادي.. كنت قد أخذت كل شـــئ عزيز علـى قلبي معي_إلا امي وابي ونرمين فـانشـــقّ قلبي إلى نصفين...ولست أدري كيف كنت احيى بقلب مقسوم إلى نصفين؟؟
_نورس ...إنـها رسائل فادي القديمة لي ...كنت أريد تجميعها...
_هل كنتما تتراسلان؟؟
سأل رالف باهتمام فأجبت باقتضاب...
_نعم...
_اه...كانت مجنونـة رســائل...هذه الخيالية الحالمة..دوما ما تعيش عالم الخيال وتكتب القصـص والرسـائل وكانت شـبه مغيبة عنا وهي في وسـطنا...تحب العزلة اغلب الاحيان..

هتفت نورس بشكل مسرحي كوميدي...شعرتُ بالحزن والغضب منها وتذكرت كلمات رالف عن كيف أنها قد حدثته واخاه عني بشكل مختلف عما رآه مني..
أردت التحدث للدفاع عن نفسي لمّا هتف رالف بنورس قائلا...
_إنّ الذي يحب التأمل والعزلة شـــخص راق حقا في تفكيره لأنه مختلف عن بقية الناس ولذلك يحتاج دوما إلى جلســـات مع نفســـه ليعيد ترتيب أفكاره في خضم حياة يقاسي فيها من أناس لا يفهمون تفرده...
صعقت لذلك الكلام وزفرت بارتياح...شعرت أنه قد وجه صفعة لنورس التي ضحكت بسخرية وهتفت وهي تضرب كتف رالف بيدها دون خجل..
_اه...فلسفة الفنانين...نسيت انك مجنون مثلها نوعا ما...
_افتخر بجنوني هذا....شكرا لك...
_ حسن...أنا قد حضّرت الفطور لك يانرجس ...هذا اليوم فقط...فكوني نشيطة وتعلمي كيف تحضرين فطورك في الغد لأنني يجب أن أذهب مبكرا مع روكس إلى المطعم... فنحن بحاجة ماســـة للمال الآن ويجب أن نكســـب زبائن أكثر ويحتاج ذلك عملا مضـــاعفا.. وروكس لايســـتطيع القيام بذلك لوحده...عن اذنكما...
تركتنا وهي تنظر إلينا بسخرية وتهز كتفيها بينما كنت على وشك أن أقول لها اني مستعدة لمساعدتها إن علمتني ما افعل!! لكنها لم تترك لي مجالا للكلام....
_هل تقبلين إن رسمتك؟؟؟
هتف رالف فجأة بينما كنت اتأمل في موقف اختي وانا أنظر من النافذة إلى البيوت المقابلة لمنزلها...دهشتُ وحرت جوابا..
_ام أن ذلك أيضا حرام في دينك يانرجس؟؟ لا أقولها سخرية انا اسأل فقط
_كلا...ليس حراما لو أردت الجواب...
قلت بسرعة بينما أردت تغيير الموضوع لأنني ارتبكت كثيرا....
(يريد أن يرســـمني!!!رباه هل هو معجب بي حقا ام أنني اتخيل ذلك...كفى يانرجس)...هتفت بنفسي بذعر...حاولت تغيير الموضوع فقلت له....

_إن حديقتك هذه رائعة...
_هل رأيتها؟؟؟؟
_نعم...لمّا ودعت أبي بالأمس جلست أنظر إليها...فعلا إنّ من زرعها واعتنى بها لابد وان يكون فنانا ...إنها قد رتبت بأنامل فنان...حقا أقول!
قلت ذلك وانا أنظر عبر الشباك إلى الحديقة...فسمعت رالف يقول فجأة....
_هل اعتبر ذلك غزلا مبطنا لشخصي الفنان...
_ماذا؟؟؟
قلت بعصبية والتفتّ إليه غاضبة...من هو ليتحدث معي هكذا...أنا التي لم اسمح لأي شاب في الجامعة أن يقترب مني لشدة التزامي واحتشامي وكان الجميع يهابني ويخشى التكلم معي أكثر مما تسمح به الضرورة الأكاديمية من أسئلة واجوبة عن المواد...أنا نرجس...يقول لي شاب ما حتى وإن كان وسيما...انني اتغزل به...كلا...يجب أن اوقفه عند حده..كفى...بلغ السيل الزبا...
_انت حقا وقح...قلتها مسبقا وسأكررها...من انت لتقول لي هذا الكلام..أنا لااغازل الرجال أبدا....ليست نرجس من تغازل احدا ولاتسمح لنفسها أن يغازلها احد ولست أدري كيف سمحت لنفسي أن أقف معك واتكلم في غرفتي بمفردي معك ...كل ذلك خطأ فلو سمحت اخرج من غرفتي...
_حقا...حقا هي غرفتك التي بنيتها أنا وصنعت كل شئ فيها بيديّ هاتين...وهي غرفتي في الأصل...وحقا أنا لن اعذرك هذه المرة لأنك أنت الوقحة حقا ولاتستحقين هذه الزهور التي قطفتها لأجلك منذ الصباح...
قال ذلك وبضربة واحدة من قبضته أسقط الزهرية وكسرها فتناثرت الزهور الجميلة على أرضية غرفتي....وصاح بعصبية خفت منه معها أن يرميني بشئ بيده فيحطم رأسي به خصوصا وهو بعضلاته وقوته تلك يمكنه بضربة واحده أن يهشم لي وجهي ..
_انتِ مريضة نفسيا ...بل أنت معقدة....من أنت كي لا تسمحي أو تسمحي للرجال بمحادثتك ..هل انت ملكة جمال العالم؟ هل تظنين أني أبالي إن كلمتني

ام لم تكلميني...فلتذهبي إلى الجحيم...حاولت بكل الطرق أن افهمك لكنك كما قالت نورس حقا...منغلقة على نفسك وانطوائية ومجرد فتاة تعيش في الأوهام...نعم...هذه انت فاعرفي مع من تتحدثين...أنا الذي تتمنى الفتيات في الجامعة نظرة مني....تقولين لي أن اخرج من غرفتك التي هي اصلا غرفتي وقد كنت مضيافا لأجل خاطر اختك ولخاطر أخي فقط لا لأجلك أبدا....

قال ذلك باحتقار وغضب شديدين لم أره بهما من قبل فشعرت بدوار شديد ورأيت غمامة بيضاء فوق عينيّ وأصبت بغثيان شديد وشعرت أن راسي قد ارتطم بشيء ما ولم أعرف ماذا جرى لي قبل أن اسمع صوته وهو ينادي بإسمي بقلق شديد...

فتحت عيني وانا بين ذراعيه على أثر ضربات متابعة على خديّ.. رفعت عينيّ إلى الأعلى لأجد عينين عسليتين جميلتين تنظران إليّ بقلق شديد وحنو...

_أين أنا..

أخذت اردد....

_ماذا حصل؟؟؟

_انا الذي اريد سؤالك ماذا حصل ...لقد التفتّ لأجد انك قد سقطت على الأرض وارتطم راسك بالمنضدة....حمدا لله انك لم تصابي بنزيف في رأسك...هل انت بخير..يجب أن أحملك إلى المستشفى..

وتذكرت الزهور ..شعرت بحنق شديد وكراهية تجاهه...كم هم قاسون..كل الرجال لا قلب لديهم!!! كلا...تذكرت كلماته عني وتذكرت ماقاله على لسان اختي التي ظننتها قد تغيرت...

_كم امقتك!!! ابتعد عني...لا أريد رؤيتك..

اتسعت عيناه بدهشة...لكنه لم يتركني ..بل حملني بذراعيه القويتين نحو السرير وانا اصيح به واصرخ ...

_كيف تجرؤ.. كيف تجرؤ على حملي..أيها ال.....

_كفى ..يجب أن ترتاحي ..

قال ذلك وهو يحل رباط غطاء شعري من أسفل رقبتي كي اتنفس بحرية...خرجت خصلات من شعري أمامه وثم سقط حجاب رأسي عنه فأشحت بوجهي وبكيت ....لقد رأيت كيف تغيرت نظراته فجأة لما رآني!

_انا فعلت ذلك لأجل تنفسك...نفسُك متقطع... أرجوك سأخرج الآن .. حاولي أن تهدئي...أرجوك.. أنا...أرجوك اهدئي...هلا هدأتِ...

_أهدأ...أيها الحيوان المتوحش!!! لقد..لقد ...رميت الزهور..لقد كسرت المزهرية...لقد قتلت تلك الزهور الجميلة ..

_رباه يانرجس!!! هل فقدت وعيك لأني رميت زهور المزهرية؟؟ سأجلب لك مئات الزهور بدلا عنها...كفى فأنا...انا أشعر بالحقارة أمام دموعك..أرجوك لاتبكي...

_اخرج ..لااريد رؤيتك.. لااريد ازعاجك...لا أريد أن اسمع صوتك ...

قلت ذلك وانا اتذكر كلماته عني ..عندما دلفت نورس فجأة للغرفة التي كانت بابها مشرعة وهي تحمل حقيبة يدها مستعدة للخروج...هتفت مصعوقة بصوت عال متهدج (وكأنها تخاف علي حقا!!)...

_أختاه!!! ماذا جرى....هل انت بخير ..ما بها يارالف ...تركتكما قبل ربع ساعه وانتما في أروع حال...والآن ماذا ارى؟؟ لم الزهرية مكسورة...ماذا حصل؟؟؟

_سأخرج الآن يانورس ...إنها كلها لك ..تستطيعين سؤالها عما جرى... اعتذر منك يانرجس ....أنا في الأسفل يانورس إن احتجت مساعدة لأجلها.. سأبقى قليلا واغادر ....

_حسن يارالف!!!

هتفت نورس بدهشة بينما خرج رالف وكنت لاأزال مشيحة بوجهي عنه لما سمعت صوت إغلاق الباب ...

_هل يمكن أن اعرف ماذا جرى بينكما؟؟؟؟

لم التفت لها ...فقد كرهتها في تلك اللحظات بنفس كراهيتي له..

قلت لها دون أن أنظر إليها بصوت حازم....

_لن أمكث دقيقة واحدة هنا....اعطني الهاتف بسرعة واتصلي بأخي فادي ....هلا فعلت ام اقوم انا ..

قلت بلهجة آمرة تعرفها نورس جيدا لمّا اغضب كثيرا واقرر أمرا لا رجوع فيه.... _رباه...هاك الهاتف..لكن ماذا جرى....

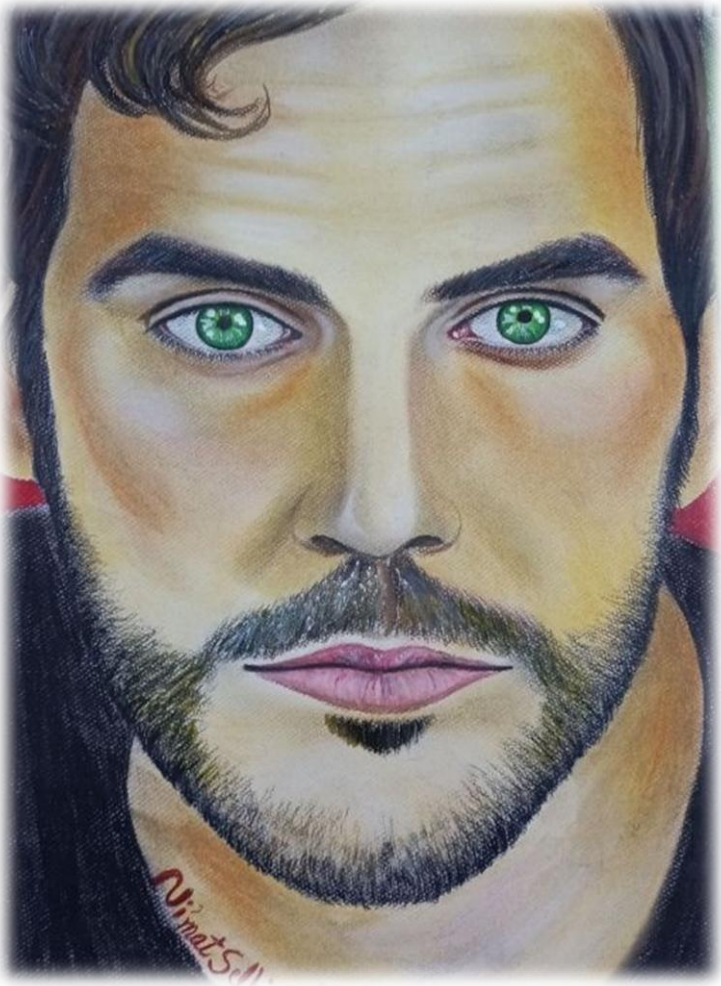

الفصل التاسع

كنت أبكي طيلة الطريق إلى المطار...أندب حظي و اتحدث حديثا سلبيا مع ذاتي أقرعها فيه واجلد ذاتي...ولكنني وانا أودع اختي واقفة عند عتبة دارها وروكس واقف قربها بشعره الاشقر الطويل الذي يميزه عن رالف ويجعلني أفرق بينه وبين نسخته...أقول...لاحت مني نظرة إلى غرفتي في الطابق العلوي او بالأحرى غرفة رالف التي بناها بيديه كما قال وصنع اخشابها بنفسه مع توأمه فقد عرفت أن والده كان نجارا اصلا وانهما قد تعلما حرفة النجارة منه لكنهما لم يعملا بها لأن شركات النجارة اكتسحت السوق ولم يعد لتلك الصناعات اليدوية الجميلة ربح يذكر إلا ما ندر ...المهم أني لحظت ضوء الغرفة يطفأ ولحظت حركة واضحة خلف الستارة رغم انطفاء الضوء..خفق قلبي بذعر...عرفت انه هو...التفت نحو سيارة روكس حيث حمل حقيبة سفري وحيث ركبت ليوصلني إلى المطار بعد أن قبلت اختي بسرعة وشهقت بدموع الوداع رغم أنها لم تذرف دمعة لأجلي..ونظرت إلى الغرفة بسرعة فشعرت بوجوده وأنه يراقبني من فوق لأن الستارة كانت مزاحة عن النافذة... وفي سيارة روكس حيث جلست قرب مقعد السائق مرغمة لأنني كنت أشعر بالخجل دوما من الركوب قرب رجل طول عمري...نظر روكس إلي وهو يسوق وشعره الاشقر الناعم قد سقط فوق كتفيه ...كم كان يشبه رالف يا ربي!!!لقد كان نسخة فعلية منه ... ولكن ، بشعر طويل!!!

_انا اعتذر منك بالنيابة عن اخي رالف يانرجس ...أنا لاأعلم ماذا دهاه..لكن يمكنك أن تثقي بكلماتي...إنه توأمي وأكثر شخص في العالم يفهمه ويعرف مشاعره هو انا....بل نحن مرتبطان روحيا...صدقي أو لاتصدقي.. فأنا الآن أشعر به ...أشعر لمّا يكون سعيدا جدا...وأشعر به لما يكون حزينا... هل تعرفين كيف أشعر الآن يانرجس؟؟؟

_كيف تشعر؟؟؟؟

قلت باقتضاب ولم اتوقع جوابا قاله فجأة وهو ينظر أمامه إلى الطريق...

_إنّ قلبي يؤلمني ..روحي تُعتصـــر...مـاذا فعلتِ بـأخي؟؟؟ حقا أنا لم أره بهذا الحـال من قبل...ونحن قد ترعرعنـا معا ولن نترك بعضـــنـا أبدا..ونعرف عن بعضـنا كل العلاقات التي خضـناها مع الفتيات سـويا..انتهاءا بعلاقتي الآن مع اختك نورس والتي لا تشـــبهك أبدا...وانا اقول لك عن يقين...لم أر اخي هكذا من قبل ابدا؟!!!

لم أســتطع فهم مقصـــده الحقيقي..هل هو يمدحني ام يذمني.. لكنه التفت إلي فجأة ليقول لي بصوت عميق رخيم...

_لكنني أتأسـف حقا عن أي تصـرف أو سـوء فهم حدث من قبل توأمي...لقد حدثته وكان غاضبا جدا دون أن يظهر ذلك على وجهه فأنا كما قلت لك..أحفظه عن ظهر غيب ...وأشـــعر بما يشـــعر به...لقد قال لي انه ســـيرحل غدا إلى واشـــنطن حيث عملـه ولن يعود إلى هنـا لأجلك...لكنك رحلت ولم تتركي لـه فرصـــــة كـي يخـلـي المـنـزل لأجلـك...لأن وجـوده يضـــــايقـك كـمـا قال...لكنه..وصدقيني...اقسم لك أنه يحترمك جدا جدا يانرجس!!

_ليس ذلك صـحيحا سـيد والتر...إنه منزلك ..وليس من حقي أن اسـكن غرفة أخيك واشـترط رحيله كذلك...أنا ممتنة لحسـن ضـيافتك حقا واعتذر أيضـا عن أي سوء فهم حدث بيني وبين توأمك...وشكرا لك على كلماتك

قلت بشـكل رسـمي للغاية دون أن أنظر إلى روكس الذي صـمت عن الكلام ووجم طوال الطريق دون أن ينبس بعد ذلك ببنت شـــفـة حتى وصـــلنـا إلى المطار..حتى أنه لم يلتفت إلي بعد ذلك أبدا..(وكان ذلك افضل لي بألف مرة كي لا اتذكر وجـه توأمـه واتذكر مـاحصـــل بيني وبينـه)....بعد إجراءات الجواز والتفتيش والروتين المعتاد في المطار...وبعد أن تشكرت من السيد والتر الذي بقي معي ولم يتركني حتى ذهبت إلى طيارتي التي ستذهب بي إلى اخي والذي شـــدد روكس على عنوانه وكتبه لي على ورقة وظل يوصـــيني حتى لا أظلّ الطريق أن اتصـــل به على رقمه الذي كتبه أيضـــا على الورقة من اي هاتف

عمومي في الشارع إن احتجت إلى أي شئ...أقول...لما جلست فوق مقعدي في الطائرة...بكيت كثيرا... وأخذت أبكي وابكي...فلطالما لم يفهمني أحد حتى نرمين التي كانت أقرب الناس إلي...وانا لم اعتد أبدا أن أحكي مشاكلي لأي بشر وكنت دوما ما اشكي همومي إلى ربي في مصلاي أو احكي مع نفسي وأنا اتأمل الطبيعة في حديقة منزلي ...فتجاربي وخبرات حياتي كلها مستقاة من الأفلام والكتب التي قرأتها..أنا الفتاة الخيالية التي لم تعرف من الحياة سوى البيت والمدرسة والجامعة...لم اختلط بمجالس النساء ولم أكن اجلس مع اولاد عمومتي وبناتهم كثيرا إلا لمساعدة والدتي في تحضير الطعام وكانت العزلة عنهم أجمل عندي من التواجد معهم ولطالما هربت منهم بحجة الدراسة التي احببتها كي لا اجتمع كثيرا في مجالس الثرثرة والغيبة التي كنت أتعجب كيف لنورس أن تحبها كثيرا وتتأقلم وتشارك فيها و معها...اذكر اني شكوت ولمرة واحدة لأختي الغالية نرمين عن مصاعبي في الحياة وفلسفتي عنها وما أواجه من صعوبة في طباعة القصص وكيف أنه لا أحد لي ليوجهني أو يدعمني ..وكيف اني اخاف ان افتتح الموضوع مع والدي كي لا يصدني أو يجرحني بكلامه عن كوني أعيش في الخيال أو أن علي أن اترك أجمل شئ أحببته في حياتي..الا وهو الكتابة...لم يكن والدي يعترض على رسمي بل بالعكس...لطالما شجعني عليه...أما القصص فلست ادري لمَ كان الجميع يصدني عنها ...لربما لأنني كنت دوما عندما اكتب قصة ما ..أعيش في شبه غيبوبة عن الجميع..ولا أشعر بالوقت الذي اقضيه لوحدي في غرفتي..اكتب واكتب دونما توقف...فلطالما تحدث عني الاقارب وكأنني كائن غريب ...كلما سألوا عني تحدثت نورس أو علقت إحدى بنات عمومتي ضاحكة...وهي تتكلم بتهكم تحت مسمى المزاح معي دوما...

_دعوها ..فهي في عالمها الخيالي تعيش!!!

ولكن ..مادراهم ما لذة الكتابة ؟؟؟ اولئك الجهلة جميعا حتى لو كانوا يحملون الشهادات!!!!

ولكن...اول شـــخص يشـــجعني وأرى في عينيـه الاهتمـام كـان هو...نعم هو نفســـه ...ونفســـه هو ايضـــا الآن..من جعلني أكره نفســـي ..من وصـــفني بالمعقدة...من قال لي أنني يجب أن اتعالج نفسيا لأنني شبه مجنونة...وإنني قد تركـت خطيبي بســـبب عقـدي النفســـيـة...لقـد قـالهـا لي نعم ..حتى ولو ضمنيا...رباه...مريضة انا!! نعم...انا ابعد الرجال دوما بتصرفاتي الغبية!!!! أنا لست كنورس المتحررة. سحقا لي...أنا معقدة !

حســنٌ...نشــجتُ بصــوت متقطع مســموع وأنا اكفكف دموعي بأناملي التي نظرت إليهـا بفزع...كـان خـاتم نرمين لا يزال في يدي..وتذكرت كلمات نورس وهي ترفع يدي باتجاه رالف الجالس قبالتي على المائدة في إحدى المرات التي جلسنا سويا فيها على العشاء...وقالت بصوت مندهش:

_رباه..هل هذا خاتم خطوبتك!!!!

نعم ..كان ينظر إليّ وقتها باهتمام رغم ان عينينا لما التقتا ، انكسرت نظراتهما سـريعا..نعم ...لقد اسـتذكرت الموقف جيدا في تلك اللحظات والطائرة تقلع في الســماء ... لم أكن أتوهم ذلك....لكن كان عليّ أن اجلس مع نفســي لمراجعة مواقفي الســابقة معه...وكنت في تلك العجالة غير قادرة! وكأنني في ســباق لاهث خلف شئ مجهول!!

تذكرت اني قد نظرت مباشرة نحو رالف الذي حرك نظارة عينيه السوداوتين واللتين زادتا جمال عينيـه جمـالا_وكـان يرتديهمـا فقط وقت القراءة_فوجدته ينظر مباشـــرة إلي...تظاهر بعدها أنه منشـــغل بتلك الجريدة التي كان يقرؤها وهو يحتســـي القهوة بعد اتمامه وجبة عشـــاءه....وتذكرت نظراته..وتذكرت كلماته ..زاد بكائي ونشـيجي... وفجأة سـمعت صـوته...سـمعت صـوته فقلت لنفســي كفى خيالات...لكنّ ذلك الخيال كان واقعا متجســدا بمنديل امتد إلي من خلف مقعدي..التفت فإذا بي ابصـر عينيه تنظران إلي..تلكما العينان!!! رحماك يـارب....كـان جـالســـا خلفي ...فمـا أن رأى دموع عينيّ حتى نهض بقـامتـه الطويلة واستأذن المضيفة التي مرت بجوار مقعده أن يجلس بقربي ...سألت

المرأة التي تجلس بجواري إن كانت تمانع فلم ترفض ثم سألتني هل هو قريبك حقا ؟؟ فأجبتها أنه من معارفي ولم أشأ أن أكون(وقحة) مرة أخرى في نظره....لأنني كنت قد فقدت دفاعاتي في تلك اللحظات..وتمت العملية في ثوان..وتبادل المقعدان.. جلس إلى جواري وشد حزام الأمان وناولني المنديل وهو يقول بصوت حنون دافئ...أحببته حينها وكرهته في آن معا

_نرجس..أنا حقا آسف...كفى بكاءا...

لم أجبه وقررت الانتقام منه بالتجاهل المطلق...كنت ناقمة عليه حقا....

_رباه..خذي المنديل مني...ستغرقين الطائرة بدموع عينيك الجميلتين..

شعرت برغبة في الضحك وسعدت بكلماته تلك...كان يعرف تماما كيف يتلاعب بمشاعر الفتيات..طبعا فهو(دون جوان) بلا منازع...لكنني قررت تجاهله عمدا...كان كبريائي مجروحا بشدة.. وانا لما اعاتب شخصا فأنا أفعل ذلك لان هنالك أملا في إصلاحه..أما لمّا احتقره...فلا كلام لي معه أبدا...ولطالما مارست التجاهل ردا على تصرفات نورس معي في منزل والدي وكلماتها الجارحة لي في مواقف كثيرة والتي استمرت حتى بعد سفري لها واقامتي معها بدليل ما قالته عني لرالف وتوأمه...وعلى لسان رالف نفسه...

_نرجس..أرجوك...أرجوك سامحيني...هيا لنعد غدا إلى منزل أخي...إنه منزلي معه في الواقع فلا تتحرجي من شئ لأنني أعلم أنك لا تريدين المكوث مع اختك بعد ما سمعته من كلام قالته عنك لي ..أعلم أنني تفوهت بكلام جارح...لقد جرحت مشاعرك.. لست أدري لماذا نتشاجر دوما..ولست أدري لمَ تدفعينني لتفوه كلام اتندم عليه بعد ثوان..أنت يانرجس... لا أعرف بم اصفك...حسن تكلمي عني بالسوء...أنا استحق كل كلام سيء...لقد اهنت براءتك وانا اعتذر منك لأنني لا افهمك...لا ..لم اعتد أن تكلمني فتاة كما تتحدثين معي...أنت تعجبينني جدا...بأفكارك وثقافتك لكنك في نفس الوقت تدفعينني إلى التفوه بكلام جارح كلما تحدثنا ...كلام لا أعرف كيف لفظته...نرجس ...ردي علي...لا تعذبيني!!

ولم أرُد ..بل التفت بكليتي نحو النافذة...فجأة وجدت ذراعا تحيط كتفي فأردت أن اضربه لو حاول أن يقوم بحركة صبيانية ليثبت رجولته مثلا!
لكنني وجدت المنديل أمام عينيّ بين انامله الطويلة وقد أحاط كتفيّ بذراعه ليعطيني اياه...همس بصوت مسموع..ولكنه حنون ورقيق جدا..
_خذيه...وإلا فإنني سأحتضنك هنا أمام الجميع واقبّلك رغما عنك...
شهقت بفزع...وأخذت المنديل خوفا من الفضيحة ...رباه...هو قادر فعلا على ذلك!!!! من سيحاسبه!!! هل انا في العراق كي اصرخ أو استنجد بأهل الغيرة والمروءة!!!
أخذت المنديل وعرفت أنّه انتصر عليّ كرّة أخرى.. لكنني قررت تجاهله أكثر لأنني نقمت عليه أكثر لوقاحته التي ظهرت حقا لتظهر جانبه الحيواني المقيت... الجانب المخفي خلف ذلك القناع اللطيف من اللطف..
_فتاة مطيعة...
همس بصوت رقيق...
_طبعا انا لن اقبّلك إلا برغبتك...كنت امزح معك..لكنك كنت ستدفعينني لفعلها إن بقيت على عنادك هذا...وراسك المتحجر...رباه ..عدتُ إلى التفوه بكلام لا أريد قوله...انسي ما قلته...
كنت قد قررت أن انادي المضيفة إن حاول فعل اية حركة مجددا..لكنه ابعد ذراعه عن كتفي لما رآى عدم استجابتي له..فهو نرجسي الهوى مهما كان يبدي تواضعا وكبرياءُ رجولته أكبر من أن يتدنى لي...
_نرجس..الن تكلميني إذا....
وارتمى بكتفيه إلى الوراء على مقعده وزفر بحسرة....لم تكن الرحلة طويلة بين الولايتين...فبين فرجينيا وواشنطن حيث يعيش اخي حاليا بعد انتقاله من لوس أنجلوس بعد وفاة زوجته الاولى ما يقارب الساعة وقد انتهت سريعا بعد ذلك الجدار الصامت بيني وبينه وبعد حركاته المسرحية في بداية الإقلاع...وبعد بكائي وافكاري الكثيرة المتراكمة المتلاطمة...

هبطت الطائرة وخرجنا انا ورالف نتسابق كفرسي رهان..اركض بحقيبتي خلفي وهو يركض خلفي ليسبقني...كان يحدثني وكأنني أود الانتحار وهو يحاول منعي من ذلك...ولمّا يسبقني يقف لأصل إليه ثم لمّا اسبقه بسبب الزحام والمسافرين الذين يحولون بيننا يظل يلاحقني...حاول اخذ الحقيبة عني كي يساعدني لكنني رفضت...اخذ يكلمني لما كنا نتساوى في خطواتنا...دون أن ينظر إلي...

_انظري يانرجس...سأحجز في فندق قريب لليلة واحدة غرفتين منفصلتين ولا داعي لأن تُقلقي أخاك...وليس هنالك من داع لتمكثي معه...هل سترتاحين مع زوجة أخيك...اشك في ذلك...فأنت ذات مزاج خاص ولم تتفاهمي مع اختك التي نشأت معك في منزل واحد..فكيف بك مع زوجة أخيك؟؟؟أنا أقول ذلك لأجلك ولأحميك من نفسك...انظري كيف أفكر لأجلك أكثر مما تهتمين لنفسك!!! قفي قليلا...كم انت عنيدة...حسن ...لقد أتعبتني حقا...نرجس انتظري أرجوك...

اخذ يلهث خلفي وهو يحاول ملاحقتي عندما ظلّلته باندماجي مع مجموعة مسافرين دخلت في وسطهم عمدا...ناداني بصوت غاضب لاهث بينما انا استمتع بانتقامي منه...

_نرجس...مارأيك أن نحجز غرفة واحدة..لأنني فعلا سأجن إن لم تكوني معي هذه الليلة....أرجوك..كفى عنادا!!!

وهنا توقفت فصعق هو ...التفتّ إليه ونظرت إليه نظرة احتقار شديدة من أعلى رأسه حتى اخمص قدمه...ثم قلت له بصوت متهدّج حازم..

_في أحلامك!!!! فقط في أحلامك المنحرفة!!!

وغذيت الخطى وانا اركض لآخذ سيارة أجرة توقفت بسرعة لي..رميت حقيبتي بسرعة وجلست في المقعد الخلفي وانا الهث...

_اذهب بي بسرعة إلى هذا العنوان...لو سمحت...

_حاضر سيدتي..

هتف السـائق وهو ينظرني عبر مرآتـه الامـاميـة لمّـا تفـاجـأت بيد تنقر نـافذة السـيارة من جهتي...وجه رالف طلّ عليّ فجأة خلفها وهو يصـيح بي ان افتح لـه النـافذة...وكرر الطرق بقوة أكبر.... فصـحت بالسـائق بصـوت حازم خائف متهدج وأنا ارتعش من الداخل رغم أني حاولت قدر الامكان أو أبدو قوية من الخارج ...

_أرجوك..انطلق بسرعة ..أرجوك..

_حاضر سيدتي.....

نظرت وجه رالف الغاضـب بالتفاتة بسـيطة مني لأنني لم أكن اريد ان يراني أنظر إليه...لكنني فعلا كنت ارتعش خوفا منه...أخذت ألعنه في سري وصـحت في قلبي وانا اكفكف دموعا نزلت رغما عني...

" ربـاه...الحيوان!!!كـان مراده هو هذا منـذ البدايـة!!!! كـان يجـب أن أدرك هذا..فعلا انا اعيش في الخيال..حمقاء ..حمقاء يانرجس"...

أخذت أنظر إلى الشـــارع الممتد طوال الطريق إلى منزل أخي فـادي ببنـايـاتـه الشـاهقة واضوائه البراقة فوق العمارات والتي تسلب الانظار والالباب...كانت ولاية واشـــنطن ذات بنايات شـــاهقة وعمارات طويلة وأجواء ســـاطعة في الشـــوارع في الليل...شـــعرت أنني قد فقدت دفـاعـاتي كلهـا...تمتمت مع نفسي...تمتمت وانـأ أبكي وأذرف الدموع...

"لماذا تركت بلادي...ماذا تفعلين هنا؟؟؟ سوف تسقطين في الرذيلة ولن ينقذك أحد...فلا أحد هنا يبالي بما يحدث لك"...وشـــعرت بنوع من الحنين لذكريات مجالس النميمة بين بنات عمومتي...فهي على الأقل تُشـعرك بالانتماء لشـــئ ما...لا أن تشعر انك بلا سند من أي أحد....غريبا فريدا تبحث عن ذاتك كقشـة في عباب بحر عميق....

كان اللقاء جميلا بيني وبين اخي الاكبر فادي...لكن...هل من المعقول أن يكون لقاؤنا أقل حرارة من رسائلنا التي تبادلناها عمرا بين دولتين متباعدتين!!!
تعرفت على زوجة فادي التي قدمني الأخير إليها وهو يفتخر بذكر اسمي:
_ماري... هذه هي نرجس عائلتنا التي جاءت إلينا من العراق!!!
_اهلا وسـهلا بك...لقد حدثني فادي عنك كثيرا.. سـررت بمعرفتك جدا في الواقع....أنت أجمل مما وصفك اخوك حقا...(شعرت بالسعادة لكلامها)...
ومدت يدها لتصافحني بحرارة فشعرت بالسعادة لذلك الاستقبال في بيت اخي الاكبر...كانت ليلتي هادئة إذ أويت إلى فراشـي بعد أن لاعبتُ ابنة اخي وابنه وكنت سعيدة بتلك الأجواء اللطيفة من الألفة والتي أنستني أفكاري المتلاطمة عن رالف وما حدث لي معه...شكرت الله في سري وشكرتُ لفادي عدم سؤاله عن سـبب قدومي إليه رغم أنني لمّا وصـلت تلقى فادي مكالمة هاتفية من نورس كانت فيها تطمئن على وصـولي إليه..ولمّا طلبتِ التحدث إلي سـألتني عن رالف وقالت بصوت قلق...
_إن رالف قد غادر بعدك بفترة قليلة ونحن قلقان عليه لأنه لا يجيب على هاتف شقته في واشنطن..فهل تعرفين عنه شيئا لو سمحت...لان روكس يشعر بمشاعر أخيه التوأم وهو يشعر أنه ليس على ما يرام وهو قلق للغاية عليه...حقا أقول لك أن روكس قلق جدا على توأمه...
قلت لها حينها بصوت شبه غاضب..
_نعم..قولي لـه أن لا يقلق فقد كان معي في نفس الطائرة.. ولاادري أين ذهب...وخصوصا...(وخفضت صوتي كي لا يسمع فادي) وأنه قد فشل في محاولته البائسـة أن يحجز غرفة لي وله في فندق كي يثنيني عن الذهاب لمنزل فادي حتى أعود إلى منزلك فيما بعد...
قلت بحنق ففوجئت بجوابها وبالاميركية وكأنها تتعمد أن تُفهم روكس ما حدث..

_رباه...لقد عرفت أنه معجب بك..هل قال لك هذا!!! قال لك انه يريد أن يحجز غرفة لك وله في الفندق!!! رالف لا يفعلها في العادة ...لربما يحبك يانرجس !!! رالف يطلب هكذا طلب ....رالف ليس سهل المنال يا أختاه! فالفتيات هنّ من يركضن وراءه ولا يركض هو خلف الفتيات أبدا!

_حبّته الافاعي ... أحقٌ كلامك !! أولا تسأليني ماهو شعوري أو كيف له أن يفعل ذلك معي !!! لست افهمك !!!! لقد أصبحتِ.... لااريد الكلام بهذا الأمر يانورس ...أنا متعبة فهل تريدين شيئا اخر؟؟ مع السلامة...

وهنا اخذ فادي السماعة من يدي وتحدث مع نورس قليلا قبل أن يقفل الهاتف...

كنت فوق سريري افكر فيما مر عليّ في تلك البلاد منذ وطأت قدماي تلك الأرض...لكنني شعرت بقلبي يخفق بشدة وانا اتذكر كلمات رالف لي ...

فكرت مع نفسي...تكلمت مع ربي بصوت مسموع ويدي فوق صدري...كنت أشعر بالذعر في أعماقي...فأنا قد اعترفت لنفسي أنني معجبة بذلك الشاب الذي فيه كل مواصفات الرجل الذي كنت أريده أن يكون شريك حياتي...فهو فنان واستاذ جامعي ومثقف....وأهم شئ فيه أنه يفهمني ويقدر موهبتي وكتاباتي!!! وهو يحب ما أحبه!!!

(ماذا أريد بعد ذلك؟؟ وعلاوة على هذا وذاك ...فهو وسيم جدا...وبشكل يجذبني حقا وانا على يقين أنه يجذب فتيات كثيرات ...رباه!!! هنا المشكلة الكبرى..هنا المشكلة التي تجعلني أتألم دوما....فهو قادر على الإيقاع بأية فتاة...فهو بحركة من عينيه يستطيع أن يجذب الكثير من الفتيات كفراشات ليلية تحوم حول الضياء الساطع ثم تسقط ميتة في الصباح....اجل فحبّه مميت...لأنه لا يحب أحدا...هو يحب نفسه..ولا يحبك أنت لأنك أنت....بل لأنك تتمنعين عن السقوط في حبائل جاذبيته وقد قالها ووضحها لك اكثر من مرة ياحمقاء..حتى ظهرت حقيقته هذه الليلة...هو مجرد حيوان يريد شهوته لاغير ولسوف يتركك كما ترك من هي احلى واجمل منك الف مرة.... لمّا نال منها مبتغاه...أو ليسوا

جميعا هكذا؟؟؟ ولكنني لا أستطيع أن اخالف ديني أيضا حتى لو كان معجبا بي...نرجس..إنه معجب بك... الا ترين نظراته ..لربما يحبك حقا...لربما لو لنت له قليلا فهو سيتزوجك.. كما تزوجت اختك بتوأمه..لم تزوجها؟؟ لأنها ليست معقدة مثلك...لأنها منفتحة ومتحررة..أما انت..فدوما ما تصدين الآخرين عن دربك..أيتها المريضة نفسيا..المعقدة المتزمتة دينيا...نعم ...هو لن ينظر إليك بعد هذا وسيتركك لما يمل من متابعتك...شاب مثله...تتمنى أجمل فتيات أميركيات كثيرات نظرة منه...فهو وسيم ومفتول العضلات وطويل ومثقف!!! رباه..وايضا فنان...أين ستجدين هكذا مواصفات أيتها الحمقاء؟؟؟ وتصدينه دوما...لكن..لكن أين الله من كل هذا ؟؟ أين مخافة الله التي تعلمتها منذ صغري؟؟ كيف لي أن اسمح للشيطان أن يلعب لعبته معي..هل تركت خطيبي في العراق لأقع في الحرام هنا!!! لكن يانرجس لكن.. من قال انك ستقعين في الحرام؟؟ قليل من اللين لن يضر فلا تنكري انك معجبة به.. لا تنكري انك في قرارة نفسك تتمنينه زوجا لك..لا تنكري غيرتك من نورس وانت ترينها تلف ذراعيها حول عنق روكس توأمه وتتمنين في سرك أن تكوني انت كذلك مع رالف!!! رباه ماذا أقول وكيف لي أن أقول..حرام ..حرام..كفى أيتها الفاسقة..كفى ...لن اقبل كلمة واحدة..ستحترقين في جهنم.. أنتِ وافكارك الحمقاء...كفى..إنه اختبار كبير من الله لي ويجب أن انجح فيه ..لطالما كنت الاذكى والاشطر في المدرسة الثانوية..فهل سأكون كذلك في الحياة الصعبة هذه؟؟ رباه..مدّني بالعون من عندك...أرجوك يارب..)

نهضت لأفتح القرآن الذي كنت اضعه قرب رأسي دوما عندما أريد أن أنام...وأخذت أقرأ منه بعض الآيات ليطمئن قلبي فهدأت قليلا ورجعت إلى نفسي التي شعرت أني قد فقدتها...ولكنّ جرس الهاتف في الغرفة التي خصصها فادي لي رنّ فجأة ...شعرت بالذعر ولكنني قررت رفع السماعة لأنني ظننت انه اخي او زوجته يتصلان من الصالة بي لأمر مهم ...

_مرحبا!! من ...

_.....

لم اسمع جوابا....بقيت انتظر لثوان وأردت إغلاق السماعة لكنني سمعت صوت اغنية ما....أصغيت..فإذا بي اسمع اغنية لأم كلثوم...اصغيت أكثر:

_قابلني والأشواق في عينيه... سلّم...(موسيقى) سلّم وخذ ايدي بإيديه..(موسيقى)..وهمسلي قاللي الحق عليه...نسيت ساعتها بعدنا ليه...بين دموع عيني اللي ما نامت ليالي...بابتسامه من عيونو نسّهالي...أمرّ عذاب واحلى عتاب (موسيقى)...عذاب الحب للأحباب...

أردت إغلاق السماعة وأخذت اردد بصوت مرتجف...

_من هناك.. من؟؟ سأغلق الخط...

كانت الأغنية لاتزال تبث كلماتها ...الموسيقى لاتزال تتردد عبر السماعة

_مقدرتش اصبر يوم على بعدو...ده الصبر عايز صبر لوحدو...(موسيقى)....

مقدرش على بعد حبيبي ...ده انا ليّه مين..أنا ليّه مين إلا حبيبي...

_إن لم تتكلم ..سأقفل...من انت؟؟؟ تكلم ....سأقفل الآن أيها الوقح ...

_رالف...ألم تحزري؟؟((قالها بحسرة وزفرة ألم عميقة))

شهقت بذعر...كنت اعتقد أنه اي شخص سواه...صديق لفادي مثلا ...احد معارف ماري...وإلا فأنا لم يخطر ببالي أن رالف سيتصل بمنزل اخي في ساعة متأخرة كتلك!!!

_نرجس...ردي عليّ...

أغلقت السماعة بسرعة وأخذت اتنفس بصعوبة وقلبي يخفق بشدة...

رن جرس الهاتف مرارا...رن ورنّ...فجأة سمعت صوت فادي ينادي عليّ من الأسفل أن اجيبي على الهاتف لأنه اتصال لي فلم أجب...طُرقت باب غرفتي ...ذعرت وانا اسمع فادي يناديني..

_نرجس...نرجس..هل نمت يا عزيزتي...

أسرعت نحو السرير ورفعت الغطاء فوق راسي وتظاهرت بالنوم...فتح باب الغرفة وسمعت فادي وهو يرفع السماعة في غرفتي ويتحدث مع رالف...

_نعم...لقد دلفتُ غرفتها التي كنت أضعها لك لما تأتي عندي...نعم ..إنها نفسها فليس لي غرفة ضيوف أخرى...نعم...إنها نائمة...حسن...تصبح على خير يا صديقي العزيز...شكرا لك ...اجل اجل ...هل تريد أن أخبرها شيئا ما...اها...نعم ..نعم...لا بأس..حسن...مع السلامة...

سمعت صوت الباب يغلق فرفعت الغطاء عن رأسي وتنفست الصعداء...بقيت افكر واتذكر كلمات الأغنية...لقد اختارها بعناية..كم هو ثعلب ماكر!!! بكيت بحزن...لست أدري لماذا بكيت...كنت فرحة وحزينة في آن معا...فهو يهتم لي ويلاحقني ..لكنه لا يريدني في الحلال..كلا... فهو مثلهم..مثل الحيوانات الذين يمارسون الرذيلة ويرمون الفتيات بعدها دون التفات لهنّ...أنا لن اتدنى لذلك المستوى أبدا أبدا أبدا...لن أكون مجرد رقم في حياته...نجوم السماء أقرب له...فلتمت يا قلبي الآن..بقيت افكر فيما جرى لي...رباه..حتى هنا أجد رالف يتبعني في وجوده....غرفته...غرفته في منزل روكس...وهنا انام في نفس الغرفة التي يمكث فيها في منزل أخي!!! بقيت افكر وأفكر حتى زحف النوم على عيني المتعبتين ووجدتني نائمة دون أن أشعر....

بقيت في منزل أخي عدة أيام شعرت بالحميمية فيها مع طفليه وهما يلعبان معي وكنت ارعاهما في وقت دوام والدتهما التي كانت تبحث عن مربية جديدة وقت وصولي لمنزل اخي فجئتها كإنقاذ من السماء حتى تجد من ترعى طفليها...أما فادي فكان يقيم معارض فنية مستمرة ليربح منها النقود وكان مشغولا دوما في مرسمه الخاص في المنزل .....كان يرسم كثيرا جدا....ولم اك التقي به إلا نادرا...ودوما ما كان يقيم معارض للوحاته....ولقد دعاني في إحدى المرات ونحن نتناول العشاء معا.. قائلا بصوت رنان فرح...

_حسن..يجب أن تخرجي قليلا ياالختاه وتري الحياة الواقعية في أميركا كي تستطيعي كتابة قصة عنها...أنت لم تخرجي أبدا إلا للحديقة المقابلة لمنزلنا مع الطفلين...نرجس!! يجب أن تختلطي بالناس هنا!!!

زفرت وانا أنظر إليه بذهول..

_كنت في الواقع اريد ان أحدثك عن هذا الأمر بالذات ..فأنا اريد ان تبحث لي عن عمل...ويا ليتك تستطيع ان تقدم لي طلبا للعمل في اختصاصي الجامعي....لأنني استاذة ادب انجليزي...وكما تعلم انا لا اعرف شيئا أكثر من التدريس!!!

_رباه...ذلك أمر رائع..أنا كنت أريد التحدث معك في هذا الأمر لكنني خشيت أن تكون نفسيتك متعبة من مسألة فسخ خطبتك وزواجك تلك.....ولذلك فقد ترددت كثيرا في أن افتتح الموضوع معك!!!

_كلا ياأخي..أنا فتاة مستقلة ماديا منذ أصبحت أستاذة جامعية ولا أحب ان اظل مصدر عالة على احد حتى لو كان اخي ولااقصد شيئا مشينا لكنني اعرف صعوبة الحياة هنا والمستوى المعيشي الغالي جدا.....

قلت ذلك وانا أخشى أن يغضب مني أخي لكنني وجدت وجهه يتهلل فرحا

_حسن اذا ياالختاه ..أنت في قمة الروعة والجمال والعقل الفريد ولطالما تفاخرت بك أمام زوجتي وهي تعلم الآن أنني كنت محقا....أليس كذلك ياحبيبتي الغالية!!! ما رأيك براحة عقل أختي الرائعة هذه؟؟؟

قال فادي وهو يضحك مع زوجته الأميركية التي ابتسمت باقتضاب وقالت

_طبعا...هي انسانة راقية التفكير وعلى العموم فلو لم تستطع إيجاد وظيفة لها في الجامعة يمكننا أن نعيّنها هنا بدل المربية وستكون أكثر أمانا لنا وفائدة في كل الحالات ..الا تعتقد هذا يافادي...

وشعرت بالإهانة حينها رغم ان زوجته لم تشعر بأي شئ ..لأن الأمر عندها شئ عادي أما انا..أن اعمل مربية لطفلي اخي فقد كان شيئا مهينا حقا.. ولذلك انتفضت فشعر فادي بي وقال بسرعة متداركا..

_كلا ....فنرجس ترعى الطفلين لأجلنا وليس لأجل النقود... يا ماري..

_انا افترض في حالة تم رفض طلب تعيينها في الجامعة ...أنت تعلم أن هذه المسألة ليست بهينة أبدا...هنالك آلاف المهاجرين الذين يتمنون مقعدا في الجامعة فلا يجدون ...والمسألة سوف تطول ..ولذلك اقترحت ما قلته!! فأنت لا

تريد أن تظل تصرف عليها وعلى طفلين ومنزل كامل بلوحاتك هذه ومعارضك التي لا تجلب الكثير من النقود يا عزيزي!!! وأنت اصلا في دين كبير لصديقك رالف لاتزال تسدده كل وقت وكل حين!

وهنا أسقط في يدي وشعرت أنها محقة في كل ما تقوله...يجب أن أعمل

_ثم إنها لم تحصل على الجنسية الأميركية بعد... تلك مسألة أخرى يجب أن تضعها في الحسبان إن كانت تريد المكوث هنا طويلا..

_لقد قدمت جميع أوراقها للسفارة لتنظر في أمر منحها الجنسية الاميركية لتتسهل جميع أمورها هنا بعدها...وهي مسألة وقت قبل أن تقرر ذلك وليس ذاك بيت القصيد الآن...سوف نرى في مسألة التعيين في الجامعة...عزيزتي..هي أختي وسأظل أصرف عليها حتى تجد عملا...

قال ذلك وهو يتناول طعامه وقد شعرت أن على رأسه الطير...شعرت حينها أنني غريبة عن تلك الأسرة وأنّ عليّ إيجاد وظيفة ما سريعا...

كان معرضه سيقام بعد أيام ولذلك كان مشغولا مجددا ليحضر لوحاته المشاركة فيه ..لكنه هذه المرة كان يصرّعلى ذهابي أكثر من مرة ومرة كلما جلسنا سويا...ولما كنت اسأله عن السبب ، يتذرع بحجة الخروج والترويح عن النفس وفكرة أن أرى معرضا من معارضه ولو لمرة واحدة...

ولما ذهبنا سوية انا وإياه في ليلة الافتتاح ..شعرت بالسعادة والفخر وانا ادلف قاعة واسعة في مبنى عمارة كبيرة طويلة شاهقة.. قال لي بسرعة وهو يتوجه إلى لوحاته المعلقة على الجدران الواسعة...

_نرجس..يجب أن أتركك الآن لأنني سأنشغل بقص الشريط أمام الحضور والتعريف عن لوحاتي أمامهم فهل ستكونين بخير وحدك...

قال ذلك وهو على عجالة من أمره لأن مسؤول اعماله كان يشدّه من يده ليذهب به بسرعة نحو الحضور .. قلت له بصوت متهدّج حاولت أن اجعله واثقا قدر الإمكان...

_لتذهب ياأخي..سأكون هناك اصفق لك وقت افتتاحك للمعرض...

بقيت أنظر الى اللوحات وكانت القاعة شـبه فارغة لما بدأ الحضـور بالوفود رويدا رويدا ...لم أر اخي بعد ذلك لأن الحضور ازدادوا عددا وأصبحت وحيدة بينهم وخشـيت أن أضـيع وسـط الزحام ولاأرى اخي وقت الافتتاح... كنت فخورة بلوحاته الجميلة الواقعية والتعبيرية على حد سواء....شعرت أنني أمام فنان حقيقي...لكن ما ادهشني حقا ...ما ادهشني فعلا....وقوفي أمام لوحة لفتاة تشبهني كثيرا وإلى اقصى حد....ترتدي الحجاب وسترة زرقاء فاتحة وقميصا ابيض فضفاضا قد صنع في أعلاه شريط على شكل وردة من القماش تتدلى أسفل الحجاب الأزرق اللون...كانت تحمل في يدها زهرة نرجس بري..اقتربت من اللوحة لأقرأ الإسـم...كنت فضـولية فعلا لأعرف من رسـم هذه الفتاة التي تشـبهني كثيرا...ولما اقتربت شـهقت ذعرا....(هل معقول ما قرأت الآن؟ ؟ إنه اسمه هو ...ر.والتر ...من غيره ...أمن المعقول أنه هو؟؟؟)...

_هل اعجبتك؟؟؟...حاولت قدر الامكان أن اجعلها شـبيهة بك كما اسـعفتني ذاكرتي وكما أرفدني خيالي الفني ...فهل كان خيالي جميلا ام لا؟؟؟

سقط قلبي ذعرا ودهشة ....كان صوته...هو هو ..رباه...

_رالف!!!

_مرحبا يا نرجس...أنا أعلم أنك غاضـبة مني جدا..ولم اتجرأ أن أدخل منزل أخيك حتى ترضـي عني...ولذلك حاولت أن اعوض عن خطئي وحماقتي وتهوري معك بهذه اللوحة علّها تعجبك كهدية متواضـعة في افتتاح معرض اخيك المشترك معي...لقد اعتكفت عدة أيام لأكملها لأجلك!

_رباه...أهو معرض مشترك!!!

_ليس بالضبط ..لكن يمكنك أن تسميه هكذا!!!

ضـحك ضـحكة مفتعلة ثم نظر اليّ بشـكل خاص ليرى ردة فعلي على اللوحة...كنت مصعوقة ..ولم ادري ما افعل...إنه فعلا يسحر الفتيات..

_ماذا أقول. أنت فنان حقيقي!!!

_شكرا لك يانرجس ..شكرا لأنها اعجبتك...شكرا لك يا نرجس ...

_رالف يا رجل..أين أنت..اولا يجدر بمن دفع ثمن هذه القاعة كلها أن يحضر قص الشريط الأحمر...لقد سأل فادي عنك وهو يعرّف عن المعرض على أنه قد أقيم تحت رعايتك...

بقيت مندهشة وأسقط ما في يدي...شعرت أنني حقيرة جدا...فكرت مع نفسي في لحظات وتذكرت كلمات نورس أن رالف كان سبب تعرفها على روكس وأنها التقت به لما ذهبت إلى فادي فوجدته صديقا قديما كان له الفضل واليد العليا بعد الله سبحانه في استقرار اخي الاكبر في ولاية واشنطن..لكنني ولشدة غبائي لم أفهم أن السبب الاكبر والفضل الأعظم كان ماديا بالطبع أو أنني فهمت بشكل ضمني ولم أعرف أنه يرعى معارض اخي الفنية فتكون كل الأمور المادية لرالف ولأخي الأمور الفنية ثم يتعهد اخي بنسبة كبيرة من مبيعاته لسد فضل رالف عليه حتى ولو على مراحل وهو مازال مدينا له كما فهمت من اخي شخصيا من خلال محاورته مع زوجته..لكنني في تلك اللحظات تأملت الشخص الذي هتف برالف فوجدته ينظر إليّ باهتمام بعدما وجد أن رالف قد أعطاه ظهره غير مبال به وهزّ كتفيه مجددا...

_لا بأس يامارك...لقد افتتح المعرض وانتهى الموضوع.. اتركني الآن...

_لكن..هل ستظل موليا اياي ظهرك ولن تعرّفني على صاحبة هذه اللوحة التي تقف أمامها والتي كما يبدو لي أنك قد رسمتها باحترافية مشهودة لك دوما...هيا عرفني بهذه الفتاة الجميلة ياصديقي العزيز...

وهنا التفت رالف بعد أن أدار عينيه بضجر ...

_حسن يا مارك ... هذه هي الآنسة نرجس أخت فادي ...آنسه نرجس..هذا مارك صديقي العزيز...احد أصدقائي...هو عازف كمان في جوقة موسيقية...

_تشرفت بمعرفتك آنسة نرجس...لم أكن أعرف أنّ لفادي أختا!!!

_ولم لا يكون له سيدي؟ ؟

هتفت بدهشة فغمز رالف بعينه لصديقه باسما وقال بفرح..

_فعلا ..لم لا يكون له...سؤالك ذكي جدا!!!

_حسنا من هو الغبي هنا؟؟

هتف رجل من خلف كتف مارك الذي كان ينظر إليّ بفضول بعينيه الخضراوين وهو يضع انامل يده الطويلة بين خصلات شعره البرتقالي ليتفادى الإحراج الذي حدث بينما يده الأخرى في جيب بنطاله الأزرق والذي كان بلون سترته الزرقاء الطويلة التي تضم تحت قماشها قميصا أبيض اللون مخططا باللونين الأزرق والأسود.. كانت سترته قصيرة عكس سترة ذلك السيد الذي ظهر فجأة خلف كتفه بشعره الطويل الناعم الأسود وعينيه الزرقاوتين اللتين تعكسان ذكاءا متقدا جذبني إليه بشكل مميز فهما كانتا تتفحصانني بشكل دقيق وكأنني تحت الاستجواب في محكمة ما أو دائرة استخبارات...كانت سترته سوداء بلون شعره الفاحم طويلة حتى الركبتين وبنطاله اسود كذلك بينما قميصه ابيض يتدلى من أعلاه رباط اسود اللون مخطط باللون الأبيض خطوطا عرضية...

_إنه أنا كما يبدو يا جيسكار !!!

هتف مارك بطيبة وتواضع...لقد شعرت بطيبته تلامس شغاف قلبي فهو من النوع الودود لا الغامض مثل جيسكار الذي يخفي تحت نظراته أسرار دول كاملة كما شعرت وأحسست....

_حسن يا نرجس ..اعرفك على الدكتور جيسكار ...دكتور أمراض عصبية...جيسكار صديقي...اعرفك على نرجس اخت فادي ونورس (الخاصة) بتوأمي روكس....

وشدد على كلمة خاصة...وكأنها ليست زوجة أخيه بل مجرد صديقة له..فشعرت بإحراج مضاعف..لم اعتد حقا الوقوف بين مجموعة رجال إلا ما ندر في الجامعة عندما اسلم على زملائي واساتذتي ..أما أن أقف واتحدث معهم مطولا..فلم أكن اجرؤ على ذلك لأن الخجل كان يغلبني دوما...مدّ جيسكار يده ليصافحني..لكنني اعرضت وهتفت وكأنّ جرأة الدنيا كلها جاءتني على حين غفلة...لأنني شعرت بانتهاكي لكل ما تعلمته في وطني وكان عليّ

أن اثأر في ذلك الموقف من رالف ومن كل ماحصل معي..بأن قلت لجيسكار بتحد وصوت حازم...

_اعتذر لأنّ ديني لا يسمح للمرأة بمصافحة الرجال..

_ماذا !!دينك!!! هل انت من دين آخر...ماهو ياترى؟

_أظنك مسلمة صح؟؟

هتف مارك بحماسة فقلت له بفخر ظاهر..

_نعم..عربية عراقية مسلمة....

_اه..أرى ذوق رالف يتغير في النساء هذه الأيام!!!

_ماذا تقصد ياسيدي ؟

قلت بغضب وهنا لم أر عيني رالف وما أشار لجيسكار به لكنني لاحظت تغير نظرات الأخير بحيث غير موضوع الحديث مباشرة..

_إذا متى نذهب إلى موعدنا الذي جئنا لأجله في المقام الأول...

هتف جيسكار لما ظهر شخص ثالث ليهتف برالف بسعادة

_ياصديقي...لقد نسيتني اكيدا...كنت ذاهبا معهم فقط من دوني..صح..

_كلا.. ومن يقدر على ترك فرانك الغالي...

احتضن رالف صديقه وكأنه لم يره منذ زمن وكان ذلك صحيحا إذ هتف به بسرعة بعد أن تبادلا الاحضان والتحايا..

_كم مر من الزمن لم تر عيناي هذا الحبيب الغالي رالف ..رباه...أين أنت يارجل...اشكر الاقدار واشكر تلك المؤلفة التي دفعتك لمراسلتي ودعوتي لحضور معرض صديقك المقام برعايتك...ياعزيزي الغالي..

_فرانك..نرجس اعرفكِ على فرانك ...إنه صاحب دار طباعة شهيرة جدا وهو يطبع الروايات الناجحة ويستقبل المواهب الجديدة ...لقد بعثت له بروايتك ..فرانك..اتصدق انك الآن تلتقي بالمؤلفة نفسها...(قالها بفخر شديد فشعرت أن الدنيا كلها تبتسم لي وشعرت بسعادة لامثيل لها ابدا)..

_رباه..حقا...

واتسعت عيناه دهشة فشعرت بسعادة ليس لها مثيل ولذة في الكون كله فللمرة الأولى انا ارى نظرات الإعجاب بقصصي والتشجيع في نبرات صوت رالف وفرانك ذي العينين السوداوتين والشعر الأسود والذي كان يرتدي معطفا رماديا حينذاك يظهر تحته سترة رصاصية اللون وقميص فاتح الزرقة وكان بنطاله بلون سترة بدلته..

_حقا أنت الكاتبة الجريئة التي وصفت مشاعر فتاة عربية بالتفصيل الممل وبصراحة أحييك عليها وبشكل غير ممل بل أكاد اقسم لك أنني لم اترك الرواية حتى اكملتها كلها وسهرت عليها حتى الصباح لأعرف مصير البطلة العربية تلك....لقد ذهبت بي إلى أجواء الشرق الساحرة..أنا جد معجب بأسلوبك في السرد الروائي...وسأكون فخورا أن اطبع اول رواية لك لو أحببت..

_أحق ما تقول ؟؟ ذلك رأيك في روايتي!!!

وتوردت وجنتاي فرحا ولهفة وإثارة...

_لكنني لا أقول لك أنني سأطبع هذه الرواية ..لا..لأنها لا تتحدث عن المجتمع الأميركي...انصحك حقا وبصدق أن تعيشي هنا لو أحببت كتابة القصص وطباعتها كي تكتبي عن مشاكل مجتمعنا وتصنعي قصة أو رواية من قلب الحدث ومن صميم مجتمعنا ..لا بأس أن تدمجي بين ثقافات عدة....ربما تكتبين عن مجتمعين متناقضين ...الشرق والغرب...من أروع الامور ان تكتبي هكذا نوع من الروايات...سيكون ممتعا أن أكون اول من يتشرف بقراءة روايتك الجديدة...لكن...انا الآن غير قادر على طباعة هذه الرواية للأسف..لأنها لن تلقى رواجا كبيرا ....وعن خبرة ناشر أقول لك...

_شكرا لك يا سيد فرانك من الأعماق..

قلت بسعادة لاتضاهى... وهنا لاحت مني نظرة إلى رالف فرأيته ينظر إليّ من طرف خفي بإعجاب وسعادة وقال متداركا وقد رآني وانا أنظر إليه..

_لقد قرأت روايتك وانا اقول نفس الشـــئ عنها ...لقد فهمت الكثير من تفكير الفتاة الشـرقية فيها وفهمتك أكثر في الحقيقة ... لكن أجمل ما في الرواية أنها لا ملل فيها ولاتستطيع تركها حتى تكملها..

_اشكرك من كل قلبي سيد والتر...

قلت بارتباك فتمتم رالف بعتب بصـوت رقيق وهو يقترب مني_وهو لا يدري أنني ناديته بسـيد والتر بسـبب ارتباكي أمام أصـدقائه وبعد ذلك المديح لأجمل شـــئ كنـت احبـه وحـاربني أقرب النـاس لي عليـه...وهو كتـابـة القصـــص والروايات..

_سيد والتر!! أين رالف يا عزيزتي نرجس؟ ؟؟

_ألن نتشرف بقراءة نسخة من روايتك هذه إذا يا آنسه نرجس؟ ؟

هتف الدكتور جيسكار...وأضاف مارك بحماس قائلا بصوت رنان فرح...

_انا احب قراءة الروايات والقصص كثيرا...أتمنى أن اقرأ روايتك آنستي

_شكرا لكما ...الشرف لي حقا...لا أعرف ما أقول صراحة...

ونظرت إلى رالف بامتنان شديد وعيناي تشعان سعادة فبادلني نظرات لا يمكن وصـفها ...شـعرت بسـعادة لا تضـاهى وعيناه تشـعان ببريق الإعجاب..كانت عيناه تقولان لي كلمات كثيرة وكنت سعيدة جدا بها...

وهنا صاح مارك بضجر..

_لكن متى نذهب يارالف...هلا رافقتنا ياآنسه نرجس؟؟؟

_انـا لا أذهب مع الرجـال..يمكنكم الذهاب ..مع الســلامة..ســأبحث عن اخي فادي...

هتفت بسرعة لأتفادى ذلك الإحراج..وكي ابتعد عن نظرات رالف الجذابة

_حسن..لم افهم ماتعنيه الآنسة وهو أنها لا تذهب مع الرجال!!!

هتف جيســكار بتحد فنظرت إليه بثبات وجاءت قوة مهولة اســتطعت بها أن أقول بصوت واثق ودون أن ارتعش..

_حسن ..في ديني لا يجوز للمرأة أن تحضر حفلات فيها اختلاط غير صحيح بين النســاء والرجال...في الواقع...أنا لا اذهب الى الحفلات التي يشــرب فيها الخمر لأنه محرم في ديني ولو أردتم الواقع فهو محرم في المسيحية ايضا وقد وضع غطاء الرأس في المسيحية ايضا..الا ترون الراهبات يرتدين دوما غطاء الرأس...

_كلام مثير للاهتمام.....اكملي رجاءا ...موضوع شيق حقا...

تمتم جيسكار بينما هتف مارك بصوت رقيق خائب الآمال ....

_حتى لو كانت حفلة موسيقية كلاسيكية؟؟؟ ياللخسارة...لن تحضري معنا إذا إلى الاوركسترا....إنها حفلة أوبرا في دار أوبرا كبيرة ...خسارة

_ماذا تقصد؟؟ انتم ذاهبون إلى اين؟؟

هتفت بفزع..فرد فرانك...

_لقد حجز رالف لنا تذاكر حفلة أوبرا قريبة من هنا..من الخســارة أن لا تأتي...حقا تمنينا حضورك معنا....

_ماذا ..حفلة أوبرا...كلا طبعا سآتي...

وهنا غمز رالف وهو يطلق ضحكة مفتعلة لأصدقائه..

_ظننتك لا تخرجين إلى الحفلات مع الرجال الاغراب...

وهنا أسقط ما في يدي..

ناديته بصوت شبه متوسل..

_رالف..اعتذر ...لقد ظننتها حفلة من تلك الحفلات التي يشــرب فيها الخمر ويرقص فيها الشباب معا....إنها اول مرة سأرى فيها (كونسرت) حقيقي..هلا ذهبت بنا يارالف رجاءا...

قلت بصوت متهدّج شبه متوسل فنظر رالف إليّ بمكر...

_لقد حجزت لك مقعدا اصلا لأن حدسي كان صحيحا...أنت تحبين الكلاسيكية في كل شــئ..وأنت لو تعلمين...فقد دعوت هؤلاء (الكلاب) كلهم لخاطرك..ولأجل عينيك فقط...صدقيني... لايهم ان لم يحضروا!!!

(قال ذلك وغمز لي بعينه ضاحكا فضحكت دون شعور)
كان اصدقاؤه يضحكون ولم يبالوا بما نعتهم به بل كانوا فرحين بذلك !!!
_شـــكرا لك يارالف ...حقا انا لا ادري ماقول....حقا إنّ احد أحلامي أن اذهب إلى حفلة أوبرا واستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية ...
قلت بعينين تشعان سعادة فنظر رالف إلي بحنو واقترب مني هامسا..
_ومهمة رالف هي جعل أحلامك حقيقة آنستي الجميلة الراقية..
احمرت وجنتاي خجلا من ذلك الإطراء المبطن بالغزل..لم أستطع أن أقول شيئا سوى الكلام بنظرات ممتنة له وهو يغمزني ملتفتا إلى أصحابه الذين كانوا ينظرون إلينا باسمين..
هتف جيسكار بملل ..
_ماذا..هل سنبقى هنا إلى الأبد...نحن الكلاب خاصتك سيد رالف..
(ابتسم ضاحكا مع مارك وفرانك وهم يتغامزون بينهم ضاحكين علينا انا ورالف)...
_هيا بنا ياآنسه نرجس....
قال رالف وهو يحني رأسه ويلف ذراعه كي أتأبطه عمدا..وقال هامسا...
_ليس حراما أن تمسكي بذراعي من خلف ردائي أليس كذلك؟؟
شعرت بالدم يتدفق في وجهي وشعرت بإحراج مضاعف..لم أستطع إلا أن أفعل كما قال لي بالضبط فمشينا متوازيين وانا اتأبط ذراعه..كان طويلا جدا بالنسبة لي لكنني وجدتني اصل كتفه طولا فشعرت ببعض الرضا عن طولي...بقيت اتحدث مع نفسي وانا أسير قرب رالف...
(ماذا تفعلين يانرجس ..بدأت تتخلين عن مبادئك وماتعلمته في الدين ..هل يجوز لك ان تتأبطي ذراع شخص غريب عنك...لكن..لكن هذا الامر ليس بذي بال عندهم وهو ضروري شكليا ويجب ان اساير المجتمع الذي انا فيه ...وهؤلاء كلهم فنانون ولايبالون اصلا بهذه المسألة العابرة ففسوقهم قد تجاوز كل المراحل ..نعم ..انا متأكدة..ولسوف أتعرض للسخرية ان رفضت

ماقاله رالف لي....لكن...لماذا يؤلمني ضميري ويوخزني...لمَ أشعر أنني انا التي تريد أن تتأبط ذراع رالف بحجة المجتمع الغربي الخاص به.. رباه ..سامحني)...

كان جيسكار وفرانك ومارك خلفنا عندما هتف فرانك فجأة وهو يضرب على جبينه بكفه الأيسر فالتفت رالف نحوه دون أن يترك ذراعي ...

_حسن...ما الأمر يا فرانك؟؟؟

_إنها ساره ...صديقتي ساره...لقد نسيت أمرها تماما...قالت لي أن اليوم هو حفل تخرجها من الجامعة وعليّ حضور تلك الحفلة وإلا....

قال ذلك وهو يشير بيده على عنقه دلالة الذبح من الرقبة...ضحك رالف وصديقاه عليه وضربه مارك على كتفه وهو يقول مازحا...

_إذهب لها إذا بسرعة...كيف لك أن تنسى أيها الحيوان؟؟؟

نظر لي فرانك محرجا وأشار بعينه لزميله أن لا يتجاوز حدود المزاح بحضوري فطأطأت برأسي خجلا كي لا احرجه...

وصلنا في تلك الاثناء خارج المبنى ولم أر اخي بين زحام الوافدين للمعرض...كانت سيارة رالف في المرآب الملحق بالعمارة حيث وصلنا وقد ودعنا قبل ذلك فرانك مستقلا سيارة أجرة ليذهب إلى حبيبته...

فتح رالف لي باب السيارة المجاور لمقعد السائق حيث جلس هو نفسه بعد أن دلفت إلى السيارة وجلس مارك وجيسكار في الخلف وهما يتمازحان..

نظر رالف إلي باسما وهمس بصوت رقيق ..

_شكرا لأنك قبلت القدوم معي...أتمنى أن تقضي وقتا جميلا...

وهنا هتف مارك وهو يقول بصوت متهدّج مازحا...

_لكن لمْ تقولي لنا آنسة نرجس..لم لا تحضرين الحفلات المختلطة مع الرجال؟ ؟ هل ذلك محرم في دينكم..

زفرت بعمق ورجوت الله أن يمدني بالقوة كي اجيب بكل صراحتي التي اعتدتها دون أن اخاف أحدا...

_ليس هنالك فرق بين ديني ودينك سيد مارك...
_نادني مارك فكل من (يعزهم)..صديقي رالف هم أصدقاء بالفعل لي ...وسأسمح لنفسي أن اناديك بنرجس أيضا من بعد اذنك أيضا...
شعرت أنه وقح حقا...لكنني تذكرت اني اتحدث مع أناس لايفهمون شيئا عن عاداتي وتقاليد مجتمعي من حيث أتيت.. صمتت ولم اجب كلامه ...
_حسن...ما قولك عن الحفلات يا نرجس؟؟؟
شعرت أنه يقتحم خصوصيتي ومساحتي الشخصية بقوله اسمي بدون كلمة آنسه...لكنني عذرته بعض الشئ فقد كان طيب القلب وكلامه عفوي بشكل كبير كما لاحظت من طريقة مزاحه مع فرانك وطريقة كلامه مع رالف عكس جيسكار الذي كان المكر كله يختبئ خلف عينيه...اغمضت عيني ..وتركت نفسي لأتحدث عما أؤمن به طول عمري...
_حسن يا مارك...أنا لا اذهب الى الحفلات التي يشرب فيها الخمر ويرقص فيها الشباب معا...لأن ذلك يؤدي إلى الفساد الذي ينهى الدين عنه....فديني يلزم الرجل بالزواج من المرأة التي يعجب بها لا أن يتخذها خليلة ويتركها بعد ذلك وكذلك في الدين المسيحي وقد ذكر الانجيل الخطايا السبع ومن ضمنها الزنا...لكنني لا ادري كيف تجاوز المجتمع المتدين كل ذلك وأصبح كل شيء فجأة مباحا..فحتى غطاء الرأس موجود في دينكم وإلا لما لبست الراهبات ذلك وتشدّدن في الوقار!!! كما أن الخمر محرم عندكم كذلك...
_لالالا....توقفي هنا آنسة نرجس...
هتف جيسكار بصوت حازم..التفتّ نحو رالف الذي نظرني بإعجاب وسعادة وكأنما كان سعيدا بجرأتي تلك وانا اعبر عن رأيي بكل صراحة..
_لم يذكر المسيح أن الخمر محرم..بل قال إنه شرابي...
_ليس ذلك صحيحا...وعلى أية حال...أنت لن تصدق مهما تحدثت عن الأمر ولكن يمكنك أن تصدق ان الدين الإسلامي قد جاء ليكمل المسيحية التي هي أقرب دين لنا وهنا اكمل الإسلام هذا الحكم بأن حرم الخمر...لأن فيها ضررا

كبيرا أكثر من نفعها.. كم من أسَر عندكم قد تدمرت بسبب الإدمان على الخمر وكم منهم قد أصبحوا تحت العنف الاسري بسبب فقدان الاب لعقله عند معاقرة الخمر والكثير من المشـاكل التي تعرفها أكثر مني ...أنت طبيب نفسـي وأكثر خبرة مني في هذه الأشياء ....

_ لا أنكر أن معـاقرة الخمر وادمـانـه شـئ خطير لكن لا بـأس بكـأس أو كأسين..ليست الحياة عبارة عن أسود وأبيض... يجب ان تجربي ياآنسه.. ألن يدعك رالف تجربين ذلك ...عجبا لك ياصاح!!! كأس من النبيذ مثلا! كأس من البيرة لن يضر!!!

هتف جيسكار بتحد وهو ينظر لرالف عبر مرآة السيارة الامامية حيث نظر هو إليه بغضب وقال بسرعة...

_كلا...لن اقبل أن تفعل نرجس شيئا يعارض مبادئها... أنا احترم رأيها..

نظرت إلى رالف بامتنان بسرعة وصمتت ولم أعقب... فساد صمت ثقيل بيننا حتى وصلنا دار الأوبرا الجميلة ....

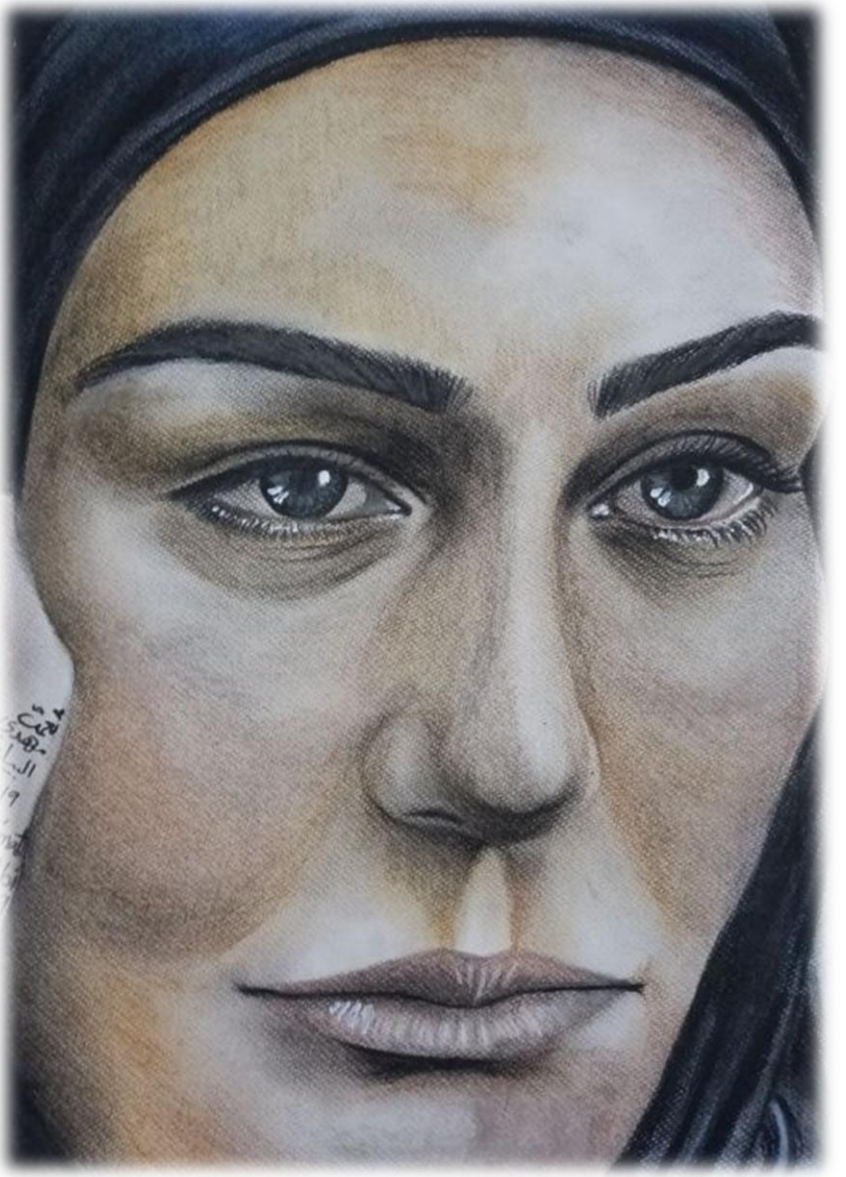

الفصل الحادي عشر

في دار الأوبرا...بقيت أنظر إلى فخامة البنيان غير مصدقة أنني قد دلفت فعلا إلى بناية أوبرا حقيقية كما كنت أرى في الأفلام فقط عمري السابق كله...الأضواء الباهرة حولي والزخارف تملأ المكان كله وانا اصعد السلم وخلفي مارك وصحبه جميعهم ...حاولت أن اصعد خلفهم لكنهم رفضوا بقول انكليزي معروف ..(النساء اولا)...وحيث تربيت كان ذلك نوعا من الخطأ أن تصعد الفتاة السلّم قبل شاب ما...وقد قضيت سنوات دراستي الجامعية لا اصعد قبل زملائي واساتذتي إلا عند الضرورة...ولأن الحضور كان كثيرا ولأن الشباب ألحوا عليّ بالصعود بسرعة بسبب الزحام فكان لزاما عليّ الصعود ونسيان ما تعلمته عمرا كاملا ...شعرت بوخزات كثيرة في ضميري لكنني استمريت بالقول لنفسي...نرجس كفى ..هم لن ينظروا إليك وقد شاهدوا أجمل منك بألف مرة...ولن يتعبوا أنفسهم بالنظر إليك وانت تصعدين السلم ...فهم في حالة إشباع (حيواني)_ إن صح لي التعبير وهكذا قلت لنفسي إنها لمسألة منتهية في هذا المقال...وبالفعل وجدتهم يتحدثون مع بعض وانا التفت نحوهم بينما يصعدون تباعا السلّم خلف رالف...وأقنعت نفسي بهذه الإجابة قدر الإمكان وانا أنظر يمينا وشمالا حولي بينما اصعد السلم الفاخر الصنع ممسكة بمسنده الخشبي المصقول والمصبوغ بلون خشب البلوط..أقول..كنت أنظر وانا اصعد السلم العريض الطويل بينما استمع لضحكات رالف وصديقيه وهم يصعدون بالتتابع خلفي...كنت أشعر أنهما يلقيان على مسمع رالف مزحات ثقيلة الدم بشأني وشأنه...كنت أشعر بذلك في اللاوعي والوعي على حد سواء...المهم أننا بعد ان وصلنا مقاعدنا المحجوزة في الشرفة العليا المطلة على مسرح الأوبرا بشكل لولبي وكانت أعلى شرفة بين الشرفات الملتفة على شكل دوائر واحدة فوق الأخرى...أقول أنني لم أصدق نفسي وأنا أجلس على ذلك المقعد حيث جاء جيسكار ليجلس بجواري فنكزه رالف من خلفه فنهض

معتذرا بينما سمعت ضحكات مارك الذي جلس ثالث شخص عن يساري قرب جيسكار...كان قد مد رأسه باتجاهي متعمدا كي أراه يضحك علينا..أما جيسكار فقد اكتفى بالتجهم وظل واجما طول الوقت بينما بدأت الفرقة الموسيقية بالعزف فلم أصدق ما أسمعه...بل كانت أجمل لحظات حياتي وأنا أرى مغنية الأوبرا الجميلة تطلق لحنجرتها العنان لتغرد تغريد الكناري....بل لتصدح بصوت شدي بل لتسمعنا ألحانا ملائكية....

اغمضت عيني وبقيت أستمع وكأنني في عالم الخيال...هل كان ذلك واقعا..لقد كدت اذوب في تلك الألحان ولو طلب مني رالف أن أقول له اي شئ في تلك اللحظات لأجبت دون تردد أو تفكير...لأنني كنت في عالم ثانٍ...منتشية بتلك المشاعر اللذيذة التي لا أعرف كيف لي أن أصفها إلا بكلمة (سماوية)...مشاعر جياشه كتلك التي تشعر بها فقط دون كلام...

مشاعر سامية من السماوات العلى...لا تمت لعالم البشر في شئ.. فتحت عينيّ فجأة على صوت رالف وهو يقول لي بصوت رقيق...

_نرجس ...هل غفوت عزيزتي.... لقد انتهت الأوبرا!!!

_ماذا...متى؟؟؟

فتحت عيني غير مصدقة.. رأيت رالف ينظر إلي مبتسما...

_لو كنت اعرف أن نقطة ضعفك هي الأوبرا لجلبتك هنا من البداية ....

_اه...رالف ...هل انتهت حقا؟؟؟ (قلت بنشوة ظاهرة في نبرات صوتي)

_نعم... انظري يانرجس إلى الناس وهم يتدافعون للخروج واحدا تلو الآخر ويهبطون السلم إلى الطابق السفلي حتى المخرج..

_رالف..لا أعرف ما أقول؟؟؟

_ماذا تريدين ان تقولي؟

قال بصوت رقيق حنون اهتزت له مشاعري المثارة بتلك الألحان.. فهتفت بسعادة وأنا لا أعرف كيف لفمي أن تفوه بتلك الكلمات!!!

_رالف ..أنا ممتنة لك طول عمري...ممتنة من كل أعماقي لأنك حققت لي هذه الأمنية.. أنا حقا لا أعرف كيف اشكرك..كلما اظن بك سوءا تحرجني بتصرف يجعلني اندم على حكمي السابق عليك...قل لي يارالف...حقا قل لي بدون مراوغة...من انت حقا؟؟؟

نظر رالف إلي باسما وهمس بصوت حنون رقيق وهو يميل إلي مقتربا:

_انا رالف...صديق قديم لفادي أخيك...وعن طريقي أحبت نورس توأمي وتعارف بعضهما على بعض.. كما عن طريقي سيتم تعيينك كأستاذة جامعية في جامعة واشنطن حيث اعمل وكل أمنياتك سيحققها لك رالف .. يانرجسي البري...(وغمز لي بعينه الجميلة)..لقد أخبرني فادي عن رغبتك في العمل وسأسعى بكل ما لدي من وساطات ومعارف لأحققها لك

_رباه...

شهقت بدهشة والتفتّ ناظرة إليه بامتنان ...نظرات الإعجاب والحب والدهشة والامتنان فلو كان هنالك مترجم ما لما استطاع ترجمة لغة عينينا أنا وإياه...لا أعلم كم بقينا ننظر بعضنا وكأن الزمان توقف ،، لكنّ تواصلنا انقطع فجأة بصوت مارك الساخر وهو يضرب كتف رالف من الخلف...

_ألم تنتهي الأوبرا بعد ؟؟؟

رفعت عيني إليه بخجل وشعرت بالألم يعتصر قلبي فجأة فقد سقطت على الأرض فجأة من ذلك العلو الذي كنت فيه في عالم السماء العالي الجميل الخيالي ...شعر رالف بي كما أحسست به إذ صاح بصديقه بتبرم...ذلك لأنه قطع حبل التواصل الذي كان رالف ينشده بيني وبينه...بعد صراع طويل من الجذب والتنافر...

_ماذا تريد أيها المتطفل؟؟؟

_ألن نذهب للبيت؟؟

_هل انت طفل لتحتاج توصيلة..هل تريد أن أرضعك؟؟(صاح رالف بتبرم)

... اذهب لوحدك مع جيسكار ...سأوصل الآنسة نرجس لمنزل فادي...هيا ابتعد...

صاح رالف بعصبية ...فردّ مارك بضجر وقد تقدم جيسكار منا وقال لي..

_ سعدت بمعرفتك جدا يا آنسه نرجس.. أتمنى أن تزوريني مع رالف يوما ما في قصري ...رالف يعرف العنوان جيدا ...فعلا انا أقيم حفلات تنكرية كل فترة لكنك لا تحضرين للأسف الحفلات المختلطة بين الرجال والنساء ...ولا تشربين الخمر للأسف....عليك أن تجربي بعض النبيذ!!

قال بشكل شبه ساخر فنظرت إليه بثبات وقلت بصوت حازم..

_ نعم..أنا لا احضر هكذا حفلات لكنني اشكرك على دعوتك لحضوري إلى منزلك الذي دعوته قصرا...سآتي ربما يوما ما...لزيارتك تلبية لدعوتك الكريمة سيدي الكريم... وانا لا أريد شرب النبيذ...شكرا لك سيد جيسكار

قلت بلباقة محاولة جعل كلامي رسميا مع جيسكار قدر الإمكان لأن مظهره كان رسميا متشددا يخفي الكثير من المكر بين عينيه الضيقتين الزرقاوين..

_ حسن ..إن منزلي هو قصر فعلا..وانا اشكر ردك اللطيف ولباقتك في الكلام ياانسة نرجس..أتمنى لك أمسية سعيدة..مع السلامة رالف....أتمنى أن تكون قد قضيت وقتا طيبا برفقة الفتاة العربية الجميلة...

رد جيسكار باقتضاب بينما هتف مارك بحماس...

_ ولي كل الشرف لو تفضلت بزيارة منزلي المتواضع مع رالف يوما ما فأنا اسكن مع والدتي التي ربتني بمفردها بعدما هجرنا والدي من الطفولة...منزلي مطل على البحر بين أحضان الطبيعة ولسوف يعجب كاتبة موهوبة مثلك أن تزوره وسيشرفني هذا كثيرا فأنا سعيد جدا بالتعرف عليك ..أنت شخصية مميزة حقا...إن رالف له ذوق راقي حقا...

قال ذلك باسما وهو يغمز رالف ثم التفت نحو جيسكار مودعا رالف بحركة من يده تاركا اياي في حيرة من أمري..كررت كلماته الأخيرة بصوت سمعه رالف...

_رالف له ذوق راق..ماذا يعني بذلك؟؟؟
نظر رالف إلي وهو ينهض من مقعده...
_إنه يقصد أنني اختار رفقة مميزة دوما...هيا... لا ينشغل بالك بهذه الأمور..انهما يمزحان معي دوما...هما كلبان لطيفان..(ضحك معي فضحكت لأجله)....دعينا نعود إلى منزل أخيك فقد تأخر الوقت....
_كم الساعة الآن..
هتفت بقلق...
_الثانية بعد منتصف الليل...
_ماذا؟؟ أحق ما تقول؟ ؟ هل يعلم فادي بذهابي؟؟ لابد وأنه الآن سيجن من التفكير وهو يحاول البحث عني...
_أو أو اووووه قفي قفي يانرجس ...هل ظننت انك قد خرجت مع ولد صغير؟؟ الكل رأى انك قد خرجت معي..وهو لن يقلق إن كنت معي ...ثم أنني تركت ملاحظة صغيرة بيد منسق الحفل كي يخبره أنني قد اخذتك برفقتي..وانا صديق فادي منذ وطأت قدماه اميركا....لا تخافي يا نرجس ...هيا لأوصلك الآن...هيا عزيزتي...
(أصبحت عزيزته هذه الليلة!!!)..هتفت بسخط في سري..لكنني كنت سعيدة بذلك رغم كل شيء...
(كان فادي قد أجاب عن تساؤلاتي عن معرضه المشترك وعرفت ان رالف _كما ذكرت _صاحب اليد العليا بعد الله في استقراره في أميركا وتوطينه...كنت افكر في رالف طوال الوقت وكنت اسأل نفسي ..هل من المعتاد أن يناديني بعزيزته...وقررت أن اسأل زوجة فادي ..كانت ماري سعيدة بوجودي معها لمساعدة طفليها وللاعتناء بالمنزل فترة غيابها عنه في العمل ولأجل أنني كنت اساعدها دوما في أعمال المنزل... وعندما سألتها بعد تلك الحادثة قالت لي أن الامر طبيعي بين الاصدقاء ولا يعني شيئا غير جيد او ضد الحشمة

والأخلاق)....المهم...دعوني أكمل..وصلنا إلى توديع مارك وجيسكار لنا عند دار الأوبرا...

نهضت مع رالف وخرجنا سوية وركبت أيضا قربه في المقعد الأمامي بينما انطلق بنا نحو منزل أخي فادي...في الطريق توقف فجأة قرب محل زهور....قال لي بسرعة وهو يهبط من السيارة ...

_لن أغيب طويلا...عن اذنك يانرجس عزيزتي الغالية ..(قالها بشغف)

بقيت انتظر في السيارة بحذر خشية هجوم احد المجرمين في الليل علي فجأة وانا بمفردي في تلك اللحظات...كنت متأثرة جدا بما سمعته وما شاهدته في الأفلام عن الواقع الأميركي...لكنني غفلت عن حقيقة أن رالف لم يركن سيارته إلا أمام محل راقي في منطقة مأهولة وفيها الكثيرمن المارة الذين يبدوا عليهم سيماء الترف والاكتفاء_ و لو أن ذلك لم يطمئنني حينها بأي شكل من الأشكال وبقيت خائفة لوحدي....

المهم أنني لما عاد رالف كنت منكمشة في المقعد كطفل صغير...

_عزيزتي نرجس!!!هل انت بخير؟؟ ماذا جرى؟؟؟ هل ضايقك احد!!

هتف رالف وهو يدلف إلى السيارة حاملا شيئا كبيرا مغلفا وفوقه شريط أحمر كما لاحظت ...نظرت إليه وهو يضعه بقربي فوق المقعد..

كنت خائفة جدا....لقد تأخرت...

_لم كنت خائفة ياعزيزتي؟؟؟

هتف رالف وهو يدير مفتاح السيارة وينظر الى الخلف ليحرك الأخيرة وينطلق بنا نحو المنزل...

_لا تفتحيها حتى تصلي منزل فادي...وحتى غرفتك بالتحديد...

قال رالف وهو ينظر إليّ باهتمام ثم أدار عينيه إلى الطريق ...

_هل تودين أن تتعلمي الرسم باحترافية...

هتف رالف بي ليقطع حبل الصمت بيننا....

_طبعا أرغب بذلك!! لكن كيف..اكيد ان الدراسة عبر المراسلة مكلفة وانا حاليا لا أملك نقود معيشـــتي ولا أريد ان اظل عالة على احد وبالأخص اخي...انت تعلم أنني احب الاستقلال في كل شيء....

وهنا نظر لي رالف وهو يسوق وقال بصوت رقيق حنون اهتزت له مشاعري الانثوية كلها وشعرت اني أسقط في واد سحيق..

_انا تحت امرك عزيزتي الغالية نرجس...أنا سـأعلمك كل شـئ فأنت موهوبة فطريا وتحتاجين فقط صقل موهبتك...لو قبلت فسآتي غدا..

_ماذا؟؟؟ حقا.... لكن...

_ماذا؟؟ هل هو حرام أيضا يانرجس؟؟ قولي لي صدقا...

قال ذلك بخوف شـديد وشـعرت أنه يحترم آرائي الدينية بشـدة فتراجعت عن رأيي السابق فيه...قلت له وأنا أشعر بالحمق كوني قد اوصلت له فكرة خاطئة عن ديني ومعتقداتي ..أردت تغيير الموضـوع لكنني كنت مجبرة على الإجابة عن سؤاله..

_كلا طبعا ليس حراما تعليمي الرسم ..بالعكس انا جد شاكرة لك...

_عزيزتي نرجس..أنا من يجب أن اشكرك...

قال ذلك وهو ينظر إلي باهتمام نظراته الخاصـــة تلك فشـــعرت اني اذوب واذوي...(رحماك يارب)...

فوق سـريري ارتميت بعد أن ودعت رالف الذي سـلم على فادي وذهب عائدا بســـيارته إلى شـــقته التي لا تبعد كثيرا عن مســـكن اخي الاكبر كما قال لي الأخير...

كنت قد هرعت الى تلك الهدية المغلفة افتحها بيدي بســـرعة وقلبي يخفق بسعادة لا استطيع وصفها...

شهقت لما رأيت تلك الزهور الجميلة بين انامل ي ...

كانت هنالك بطاقة بين سيقان الزهور ربطت بشريط احمر...

كانت كلمات رالف بنفسه...

لا اكتب الشعر هذا صحيح..لكنك زهرة نرجس بري كهذه الزهور وهذا معنى اسمك الجميل....ضعيها في اصيص الزهور واعتني بها ...هي لم تعد في الغابة تقاوم الثلوج...لم تعد نرجسا بريا...إنها نرجس دخلت المدنية...تقبلي هذه الهدية مني وشكرا لوقتك معي في الاوبرا.. لقد شعرت بمشاعر جميلة جدا وانا أراك منسجمة مع الموسيقى...

شعرت بسعادة لا تضاهى وضحكت وبكيت في آن معا....

شكرا لك يارب على هذه السعادة ..ربي لا تجعلني بعيدة عنك ولاتجعل سعادتي هذه في معصيتك أبدا ... أخشى أن أكون قد عصيتك.. رباه لكنني لا اقدر ان أقول له أن يبتعد عني ...لا استطيع...

وبكيت ثانية عندما رن جرس الهاتف في غرفتي وسمعت صوت فادي ينادي من الأسفل...

_نرجس ..ارفعي سماعة الهاتف...إنه رالف يتصل لأجلك...

شعرت بالذعر والفرحة في آن معا..لو كنت في العراق..هل كان فادي ليتصرف هكذا وماذا كانت ردة فعل والدي لو كنت هناك واتصل شخص عند الثالثة صباحا تقريبا ليكلمني في غرفتي!!! بقيت أتساءل لكن لم أستطع عدم تلقف السماعة بسرعة لأن قلبي كان يخفق بسعادة لا استطيع وصفها ولم اترك عقلي يتكلم عني بل تركت لقلبي حرية القرار هذه المرة.. لكن عقلي أعطى الأخير جرعة مهدئة بقولي لنفسي في أجزاء من اجزاء الثانية..

(نعم يانرجس ..الأمر يختلف بين العراق وامريكا...فهناك فعلا من يتصل في هذه الساعة يريد أمرا غير صحيح..لكنك هنا ..و رالف هنا لن ينظر إليك اكثر من زميلة .. اشكريه على الأقل...أو اعرفي لماذا يتصل؟؟)

(كف يا قلبي عن الخفقان هكذا...أرجوك ياربي...سامحني ..يجب أن ارد)

_نرجس...مرحبا...كيف أنت؟ ؟

_كيف انا؟؟ أنا بخير..اعتقد انك تركتني قبل عشر دقائق أو أقل من ذلك!!! لكن ..كيف وصلت منزلك بهذه السرعة؟

_كلا كلا...لم أستطع الانتظار حتى الوصول لشقتي..أنا اتصل من هاتف عمومي.. نزلت من السيارة واتصلت لأعرف رأيك في الهدية...

_حقا!! في الثالثة صباحا!!! ظننت الأمر طارئا... سأذهب الآن ويمكنك سؤالي غدا أو في وقت لاحق...

_اووه اووووه..انتظري..نرجس...أنا حقا اعتذر عن الاتصال في هذا الوقت..اعرف ان الوقت قد تأخر وأنك لا تستقبلين مكالمات من أحد فما بالك من الاغراب...لكنني لست غريبا اولا ثم...في الحقيقة ..أنا أردت أن اعرف انك لن تطرديني في الصباح...

ضحكت في سري ولكنني حاولت قدر الإمكان أن لا يظهر ذلك على صوتي وقلت له بصوت حازم محتشم قوي...

_لست من الناس الذين يطردون الآخرين من بيوتهم ويعيرونهم بالمبيت فيها وفي غرفهم...

_نرجس ..عزيزتي ...كم انت قاسية...لم اطردك من منزل أخي...كلا.. كان سوء تفاهم فقط!!!

ولان قلبي فاستدركت بسرعة كي لا ادعه يمل ويشعر باليأس مني..

_وعلى أية حال.. فالهدية رائعة جدا..وانا اشكرك جدا....

_حقا يا نرجسي؟؟؟

قالها بكل رقة بصوت متهدّج ذاب له قلبي...خفق قلبي سريعا...صحت بنفسي ..ما بك ياحمقاء؟؟؟

_نرجس ..سينقطع الاتصال.. لحظات..انتظري ريثما اضع قطعة نقود جديدة...دقيقة واحدة...

شهقت وأنا اسمع الصوت يتقطع وفجأة اعتصر قلبي وانا أرفع رأسي نحو سقف الغرفة..لقد ذهب صوته الرقيق فهجم العقل على القلب وانتصر ...لأنني وجدت نفسي مجرد فتاة حقيرة وتخيلت نفسي في غرفتي في كربلاء اخون ثقة والدي باتصالي بشخص ما في الثالثة صباحا دون علمه...كيف لي

ذلك...ماهو الفرق بين رجل شرقي أو غربي..كلهم رجال وكلهم يحملون نفس الغريزة وكلهم يتصلون لأجل نفس الشيء..هل جننت يانرجس...ما دهاك؟؟ أين مبادؤك؟؟؟ أين مخافة الله التي عشت عمرك تسقينها في قلبك؟؟ لماذا أصبحت هشة هكذا....رباه..انني أسقط في وادي حبّه..انني افتح بوابات الشيطان...رباه ..انني أضعف...رباه ..اعطني القوة...

سمعت صوته من جديد وهو يتحدث بصوت حنون محب ...

_نرجسي الجميلة... اعتذر عن التأخير...ماذا كنت تقولين؟؟

(نرجسته الجميلة!!!)..ونظرت إلى القرآن قرب رأسي عند السرير وكنت واقفة قرب منضدة الزينة والهاتف بين يدي ونظرت إلى وجهي وشعري الاسود الناعم ينسدل أسفل ظهري حتى فخذي...

_رالف ...أنا لاانفعك..أرجوك اتركني...

_واو واو واو...ماذا جرى...نرجس انتظري..هل أخطأت معك في الكلام..هل تجاوزت حدودي؟؟ أنا اعتذر منك ان كنت قد اقتحمت براءتك في شئ لا أعرفه عن دينك أو حدودك..أرجوك علميني كي لا أؤذيك..ولا أجرح مشاعرك الرقيقة نرجستي الغالية ..انا احترمك واقدرك جدا وما كنت افهم تفكيرك قبل أن اقرأ روايتك فلما قرأتها..عرفت كم أنت راقية ..

تحولت نبرة صوتي الواثقة إلى نبرة مرتجفة خائفة غير واثقة أبدا.. عاد إليّ ارتباكي وخجلي.لم افهم ما حدث لي لمّا قلت له فجأة بصوت متهدّج:

_رالف أرجوك افهمني...أنا لست كنساء بلدك.. محاولاتك معي لن تؤدي بنا إلا إلى طريقين لا ثالث لهما... أما أن أقع في حبك...وذلك أمر لا أريده دون زواج... وأما أن نقع في المحرم وذلك امر سيؤدي بي للانتحار لأنني افضل الموت على معصية ربي...وأفضّل الموت على خيانة ثقة أبي بي وماعلمنيه طوال عمري ...هل تفهمني يارالف...هل تفهمني..ابحث عن فتاة غيري ولننهي كل شئ ..فلا أنت ستكون مسلما ولا انا سأكون مسيحية وكلانا لن نتزوج بعضنا فعلام التعب والجهد كله في اللحاق بي...أنا لا افيدك أبدا أبدا..

_نرجس..نرجس توقفي أرجوك...لا تقطعي علاقتي بك نهائيا اتوسل إليك انتظري...اولا دعيني أخبرك شيئا...أنا أود الاعتذار عن كلماتي لك في المطار عن تلك الغرفة المفردة المشتركة...هذا أولا...انا لم اعرفك جيدا كما قلت لك...لكنني لن اتركك تضيعين وحدك هنا... اقرئي البطاقة مع الزهور..أنت نرجس بري أصبح غير بري..ستموتين إن تركتك بمفردك..اعتبريني صديقا...اخا .. قريبا يساعدك...لا يمكنك اخراجي من حياتك ...نرجس سيقطع الاتصال..انتظري...سأمدده...

_مع السلامه ..أو وداعا يارالف ..لقد شرحت أكثر من اللازم...افهمني...ان ذلك أفضل لنا كلينا....اعتذر منك حقا...أنت تستحق كل السعادة...أنت انسان وفنان واستاذ جامعي...تتمناك كل فتاة ..لكنني لن انفعك صدقني....أتمنى لك التوفيق والنجاح...من كل قلبي ...وداعا...

واغلقت السماعة وانا أسمعه من الطرف الآخر يترجاني أن لا أغلق الخط..ارتميت على فراشي باكية وانا انتحب....لم أكن قد خلعت سوى سترتي الطويلة حتى الركبتين والتي كنت قد ارتديتها فوق تنورة طويلة زرقاء فبقيت بقميصي الفضفاض الأبيض ذي الكمين الطويلين والمزخرفين في نهايتيهما بقماش مطرز من الدانتيلا الفاخرة_كانت ماركة القميص من محل ثياب راق اشتريته مع ماري زوجة فادي اخي قبل أيام مع مجموعة من الثياب الفضفاضة تليق بمحجبة مثلي..كنت أحب الأناقة مع الحجاب في كل تفاصيل لبسي حتى عندما كنت في العراق..وكانت عندي مجموعة من ثيابي القديمة في الدولاب بما فيها جلابيب طويلة عصرية مطرزة _المهم... أنني كنت غير مصدقة ما قلته لرالف فشعرت بقلبي يعتصر بقوة ولذلك بكيت وأنا على تلك الحال وزهور النرجس قد ظلت بقرب سريري ووسادتي فنظرت إليها بحسرة وقلت لها بألم...

_اذبلي يازهور النرجس مثل قلبي...سأقتل نفسي قبل أن اسمح للشيطان أن يتولاني ويغيرني..مستحيل أن تفعل نرجس الحرام أو تذهب إليه...ماهو

مصـيري مع رالف سـوى الضـياع...فعلا..تحليلي كان منطقيا..واخيرا حكم عقلي على قلبي الغبي...رباه..كم انا غبية ...ماذا أريد...سوف أحبه... لربما انا أحبـه الآن...ومـاذا بعـد؟؟ هو لا يريـدني زوجـة لـه...إذا لمـاذا أعـذب نفسـي....مستحيل أن ينظر لمثلي.. هو ..أيقونة الاغواء والجاذبية...عضلات وشـباب ووسـامة وطول فارع...سـينظر لفتاة من الشـرق ويقتل نفسـه لأجلهـا....افيقي يـاحمقـاء ..افيقي...كفـاك خيـالات.. أنـت فعلا غير واقعيـة!!! صدق اهلك!!!

أخـذت ابكي وابكي وانـا اتـذكر لوحتي وكيف رسـمني مع زهرة النرجس الجميلـة...تقطع قلبي إلى قطع صـغيرة...كدت اختنق من البكـاء...نظرت الى السـقف وانا انقلب على ظهري...تخيلت تلك اللحظات التي جمعتنا في غرفته في منزل أخيه لما حملني عندما فقدت وعيي ووضـعني فوق السـرير وفتح ربطـة شـعري...كـانت هنالك لحظات بيننا نظر إليّ فيها بإعجاب شـديد..هل تخيلت ذلك..مستحيل ... لقد قال لي قبلها أن عينيّ تشبهان عيني آلهة عشتار القديمـة الجميلتين ...وكم قـال لي أن جمـالي برئ...هل يمكن أن يكون معجبا بي..هل ...هل...ماذا تقولين يا غبية....

ووضعت يدي فوق صدري الذي كان يرتفع ويهبط بقوة..وشهقت بألم...

_رباه..أنا احبه...احبه حقا...اذا ...يجب أن أهرب منه...سـوف أضـعف أمام رالف...سوف لن أقاوم طويلا...لا لا...إنه اختبار كبير...ساعدني..

ولسـت أدري متى نمت عندما وجدت نفسـي في الصـباح وانا نائمة فوق سريري ودموعي لم تجف بعد ويدي ممسكة بباقة الزهور الجميلة التي ذبلت بقربي...كان شعري منثورا وغير منظم وقميصي مفتوحا من الأعلى..لم يكن وضـعي الا كفتاة حمقاء غير مرتبة....وجهي محتقن وعيناي حمراوان...كل ذلك رأيتـه في المرآة المقابلـة وانـا اجلس على سـريري مبعثرة المشـاعر مهزوزة القوى...رفعت رأسـي ثانية لأبصـر قامة طويلة لشـخص دلف فجأة دون مقدمات وهو يقول بصوت متهدّج خاشع..

_نرجس ..هل انت بخير...
رباه..كان هو..هو...باب الغرفة لم يكن مقفلا.. نسيته مفتوحا على مصراعيه لمّا تحدثت مع فادي عند الفجر...يالهي ..حاولت تغطية شعري أمامه فأشحت بوجهي وبكيت ثانية عندما رأيته قد طأطأ رأسه إلى أرضية الغرفة وهو يجثو عند ركبتي قرب السرير ..
_نرجس..أرجوك... لم أستطع النوم بالأمس..ماذا جرى ..لمَ بكيت ؟؟؟ لقد انتظرت شروق الشمس على أحر من الجمر واكاد اقسم بشرفي لولا خوفي من ردة فعلك لجئت إليك في تلك الساعة .. لن اسمح لك أن تنهي صداقتنا..كلا..
_يجب أن ارتدي حجابي يارالف.. أرجوك...
_انا لا انظر إليك الآن كما ترين...أرجوك سامحيني إن آذيتك بشئ...
_يجب أن أعود إلى ولايتي وناسي..أنا لا استطيع الاستمرار هنا...
_هل هذه هي نرجس التي اعرفها...التي جاءت لتحقق هدفها؟؟ ماهو هدفك؟؟ هل يمكن أن تقوليه أمام رالف ونفسك؟؟؟ هل اكل القط لسانك؟
_كلا.. لقد جئت لأحقق طموحي..لأكون كاتبة واستاذة جامعية واتعلم الرسم باحترافية واتمنى ان افتتح معارض لرسوماتي..امنيات بعيدة المنال...نعم تلك هي طموحاتي حقا...أتمنى أن تتحقق لكن لا اعتقد ذلك!!
_حقا..هل استسلمت بسرعة..بسببي إذا...
رفع رأسه ونظر إلى عيني مباشرة فشعرت بارتباك شديد وشعرت بالألم..
_لا أدري يارالف..لا أريد أن أحقق شيئا بمعصية الله ...
_نرجس....ارتدي هذا لأعرف كيف اتحدث معك...
قال رافعا ربطة شعري ليضعها فوق سريري...تلقفتها بسرعة وشكرته...
_حسن...هل انا حجر العثرة في طريقك...أنا هنا مجرد شخص يقدم المساعدة لك....لم ترفضينها؟؟؟ لتحقيق أهدافك يجب أن تختلطي بالرجال ..نحن هنا لسنا مثل مجتمعك هناك ... يجب أن تفهمي.. أنت أطهر فتاة رأيتها في حياتي...أنت بريئة جدا...ساذجة ...حمقاء حقا لتتركي كل شئ وتعودي خالية الوفاض

وتنســـي اهدافك كلها....انظري لفادي..جاء بدون اي مســـاعدة وحقق وأثبت وجوده ...هو الآن شـــريكي في معارض فنية كثيرة ...شـــاب مثابر ومجتهد للغايـة ....أنـا اقدّره واحترمه كثيرا...احيّي والدك الذي رباكم جميعا على العمل والاجتهـاد...قليـل من يربون أولادهم على ذلـك.. نرجس..مـاذا حـدث ..كفى بكاءا..أنا أضعف أمام دموعك...

كنت أبكي عند سماعي كلماته تلك فما كنت قادرة إلا على حبه أكثر...لأنه محق في كل شئ يقوله ...ولأنه...لأن قلبي الغبي تعلق به....رفع منديله ...

_ظننت أنني فقط في الطائرة اتســبب ببكائك..لكنّ الواقع هو أنني دوما اجعلك تبكين في كل المواقف.. هلا ذهبت لتغســلي وجهك ونهبط لنذهب إلى مطعم قريب نتناول فيه الفطور..أريد شـرب قهوة قوية لأنني لم انم أبدا...لو سـمحت أرجوك أن تمسحي دموعك...

_رالف...ماذا قلت لك بالأمس...ألم اقل لك لننتهي من كل هذا...

_ لقد جلبت لك هذه....نسيتيها في...المعرض ..(وأشار بيده)

التفـت فـإذا بلوحتي الجميلـة مركونـة على احـد جـدران غرفتي مقـابـل سريري ...شهقت ولم أعرف ما اقول...

_شكرا لك سيد والتر....

_عفوا ياآنسه نرجس....ماهذه الرسميات ؟؟؟

انـهضي الآن...هيا....كفى كفى...ان لم تنـهضي فسأحملك انا واذهب بك لأغسل لك وجهك...لقد اغضبتني كثيرا ...كفى دلالا...كفى دلعا...

_رالف...لا..لا أريد الخروج مع ..قلت لك سابقا...

_اووه ..حسنا...أنت انسانة عنيدة ..لكنني اعند منك...الف مرة...

وهنا رفعني بيد واحدة ووضـعني على كتفه...هبط بي إلى الطابق السـفلي وانا غير مصدقة ما يفعل بل كنت اضربه على كتفه وظهره بعصبية ...

ذهب بي إلى الحمام وكأنه يعرف منزل أخي ركنا ركنا ووضـعني أمام المغسلة وفتح صنبور المياه وفرك وجهي بلطف كطفلة صغيرة ونظر إليّ بعدها وربطة

شعري قد سقطت على كتفي...نظرت إليه لثواني قبل أن ينفجر بالضحك علي فضـحكت دون ارادة ثم بكيت ثانية... فاحتضـنني....بكيت بين ذراعيه...بكيت فوق صدره العريض...مرّر شفتيه على خصلات شعري وأخذ يقبلها ويشمها وثم حاول فعل نفس الشئ فوق عنقي وشعرت بأنفاسه اللاهبة وهو يحاول أن يقبّل رقبتي لكنه لم يفعل وتمنيت أن يدخل اخي لينقذني منه...لم أكن قادرة على إنقاذ نفسي في تلك اللحظات لكنه فجأة توقف ورفع رأسه وقبّلني من رأسي ... و هتف بي...بصوت رقيق حنون اهتزت له مشاعري المثارة:

_ سـأنتظر في الصـالة...رتبي هندامك ...وامسـحي وجهك.. يا نرجس...أنا انتظرك عزيزتي الغالية...

شدد برقة على كلمتيه الاخيرتين ...

الفصل الثاني عشر

كانت ماري زوجة فادي في المطبخ عندما دخلتُ الصـــالة وقد عدلت حجابي ومسحت وجهي وفركت عينيّ المتعبتين وعدلت هندامي...كانت سترتي لاتزال في الغرفة عندما اقترح رالف ان يجلبها لي فقلت لماريا لمّا قالت لنا بدهشـــة وهي ترى رالف يريد الخروج...

_رباه...لم لا تتناول الفطورعندنا إذا...لم يخبرني فادي انك ستخرج وأنا اعتمد على نرجس في البقاء مع الأطفال وقت دوامي ..لأنني لم اعثر على مربية جديدة بعد....

_لماذا لم يخبرني فادي؟ حسنا ...سأتصل بصديقة لي تعرف فتاة ستكون مناســبة جدا لك... انتظري دقيقة...قال ذلك وهو يتوجه نحو الهاتف بحركة احبها من يديه قام بالاتصال ووضع السماعة على اذنه ثم تكلم مع تلك الفتاة بصوت رقيق حنون فشعرت بالغيرة منها لما سمعته يحدثها بذلك الشكل وبتلك النبرة ...

_عزيزتي ....كيف أنت؟ اريدك في خدمة مستعجلة ..حســن...الأمر هو....(وقص عليها الحكاية)...

_هيا بنا.....عزيزتي نرجس...

_ماذا؟؟

قلت بدهشة...

___تم الأمر..أعطيتها عنوان المنزل وستأتي...لا تقلقي ماري...انتظريها فقط .سأذهب مع نرجس الآن...

ذهلتُ لأن ماري لم تسألني إلى اين أو لماذا..بل انها لم تبد اي اعتراض بعدها أو أي استغراب...

_رالف؟؟ سترتي...

_نعم .. لحظة واحدة...

قفز إلى السلم وبعد دقيقة كانت سترتي فوق كتفه ...

_تفضـلي ...سـتقضـين اليوم معي..اتفقنا...ماري عزيزتي...قولي لفادي أن نرجس ستبقى معي اليوم...عن اذنك ..

اخذني من ذراعي فذهلت وهو يمسك بها برقة وبحزم في آن معا دون رخصة مني وثم يأخذني نحو سيارته ....

كـان مطعمـا صـــغيرا قريبـا من منزل أخي فـادي لا يبعد أكثر من شـــارعين عنه...دلفنا سوية وطلبنا قهوة قوية معا..كانت تلك صفة مشتركة بيننا_ حبنا للقهوة والشـاي...ضـحكت على نفسـي وانا أنظر عبر النافذة في المطعم إلى الناس المارين في الشـــارع أمام واجهة المطعم...كنت اتجنب النظر إليه لكنه قال لي بصوت عميق رخيم...

_متى ترسمينني؟

_ماذا؟؟

رفعت رأسي غير مصدقة...

_عزيزتي!!! لاتزال عينـاك حمراوتان من البكاء بالأمس...لم بكيت..هل بكيت لأنك ظننت انك لن تريني؟؟؟

قال بمكر ...شـعرت بالدم يتضـرج في وجنتي فأطرقت نحو المنضـدة وهربت خلف كوب القهوة...هربت خلف دخانه كي لا يراني...

_دعيني أخبرك.. أنـا لن اتركـك حتى لو طردتني حقـا...ليس بعـد حفلـة الأوبرا...وليس بعد ما سمعته منك.. وليس بعدما قرأته في روايتك...أنت..أنت يانرجس...رباه ...كيف اقولها...نحن الآن زملاء أليس كذلك؟؟ فلماذا تشـعرين بـالـذعر كلمـا تحدثنـا؟؟؟ هل نقترف ذنبـا...اجيبي بالله عليك؟؟ اجيبي بدينك ؟؟ اريد ان اعرف هل دينك يانرجس يحرم هذا؟؟

_ لم أعد ادري يارالف ..لا تسألني أرجوك...

_حسن..اعتذر ..لنغير الموضـوع ...مارأيك في الذهاب إلى شـقتي لأريك كيف اطبخ الطعام..أنا وتوأمي طباخان ماهران...لم تري في تلك الليلة لما حضـــرتِ

مع والدك إلا جزءا بسيطا من طبخي...يجب أن تذوقي وصفتي الشهيرة ..أنا فعلا طباخ ماهر مثل روكس توأمي الحبيب!!!

_رالف؟؟ كيف لك أن تطلب مني هذا؟؟؟

_انا أدعوك أنت وفادي وايضا مارك صديقي وجيسكار سيحضران...

_ حقا؟؟ لم أكن أعلم!!!

_طبعا ..هل ظننت اني كنت سأدعوك بمفردك؟؟؟

قالها وهو يغمز ضاحكا فضحكت دون ارادة مني فأعقب على كلامه ...

_ولو أنهم جميعا لا يهمونني بشـــئ والدعوة هي لك بالتحديد لأريك مهاراتي في الطبخ...هل يجوز أن تقدمي لوحدك؟؟ (قالها ضاحكا)

_رالف؟؟؟؟ لا يمكنني المجيء لشـقة شـخص اعزب ...هذا مناف لكل قيمي ومبادئي وكل ما تعلمته...لا اعتقد أن الأمر صحيح عندكم أيضا...

_عفوا عفوا...أنا امزح فقط..لكنها كانت لتكون أمسـية رائعة لو كنت هناك معي دونهم....لكنني مضطر لدعوتهم لأجلك....كلبيّ اللطيفين!!!

_لست مضطرا واعتبر الموضوع ملغيا لأنك قلت انك دعوتهم والآن انت تقع في زلة لسان....رالف ...أنت لا تفهم مشاعري..أرجوك..كفى ...

_لست مضطرا للدفاع عن نفسي الآن ياعزيزتي ..لكنني شخص ناضج واستطيع جيدا التحكم في نفسي ولا أعتقد أن في الأمر غضاضة لو دعوتك إلى شقتي ليس للعشاء بل للغداء مثلا....سأريك كيف اعرف الطبخ الذي انا ماهر فيه كمهارة توأمي ...لقد ربتنا ام رائعة تحب انواع الأكلات اللذيذة....أنت الخاسرة إن لم تحضري...حقا انا اقول لك....

_رالف لكنّ اي رجل لا يمكنه أن يتحكم في نفسه ..اقصد ..ان ذلك خطأ..لكن ..رباه....لايجوز ان يجلس رجل وامرأة وحدهما في غرفة منفصلة ..سيحضر الشيطان ثالثا لهما...ماذا اقول؟؟؟ أنا ارتبك حقا....هل يمكن أن نغير الموضوع؟؟؟

_مارأيك في رسم صورتي ...موضوع جميل جدا..ارسميني وانا اضع نظارتي الآن..سـأضـعها هكذا ...نعم...وحاولي أن تبرزي جمال عيني .. كم انا وسيم ..أليس كذلك ؟؟ هل أعتبر موضوعا جيدا للوحتك؟؟؟

ضحكنا سوية على كلامه...كان فعلا قد استطاع تغيير الموضوع حتى أنسى احراجي ...قلت له بعد حين وانا اتذكر أمرا ازعجني ...

_لكن يارالف انا لا أشعر اني أفعل الصواب...هل انا نفسي نرجس التي كانت ترفض الخروج مع رجل اجنبي؟؟ حقا أنا لا ادري لم اقول لك ذلك..لكنني أشعر بالتناقض..حسنا..أنا لااعرف...هل خروجنا الآن صواب ام خطأ...لم اتعود هذا في بلادي وكل هذا الأمر جديد علي...أنا لما خطبني ابن عمي أحمد قبل أن اسافر هنا...كنت جد محرجة من دخوله غرفتي وبعلم اهلي ...ومحادثته لي بمفردي...اعتبرت نفسي قد قمت بجرم كبير وأني قد اذنبت..واستغفرت الله كثيرا...

_ماذا؟؟ من خطبك؟؟؟ هل خطبك هناك شخص قبل أن تأتي؟؟

قال رالف بعصبية فجأة...نظرت إليه لثواني غير مصدقة تبدل وجهه الذي كان باسما إلى وجه متجهم...

_لقد عرض عليّ الزواج قبل أن اسافر واعطاني مهلة للتفكير...

نظر رالف إلى قدح قهوته بعصبية بارزة حاول اخفاءها بإحناء رأسه وتمتم من خلف القدح وهو يرفعه إلى شفتيه...

_وماذا كان ردك.. (كان ينظر إليّ بفضول شديد محاولا إخفاء خوف شديد في عينيه كنت قد قرأته فيهما وشعرت بسعادة خفية لم أظهرها له)

_لقد رفضته...وكتبت له رسالة رفض..لأنه لايعترف بأفكاري ورغباتي في ان أكون كاتبة وان أرسم واطور نفسي...هو يعتبر المرأة أداة وآلة فقط للحمل والولادة ومراعاة الزوج فقط..طالما اختلفت معه في الآراء..

رفع رالف رأسه فجأة من القدح وقد تهلل وجهه فرحا...هتف بسرعة...

_ نرجستي الغالية...هل من الممكن ان نغير الموضوع؟ ؟

_نعم...اكيد ...يمكن ذلك...
_إذا....دعينا نذهب إلى منزل جيسكار...هيا بنا...
نظرت إليه غير مصدقة...
_ماذا تفعل...بأية مناسبة نذهب؟؟؟
_هيا بنا...بسرعة..عزيزتي هيا....كفى كسلا...
امسكني مجددا من ذراعي وهو يقوم بحركة ساحرة بيده الطويلة التي احبها كثيرا لما يقوم بها بتلك الحركة الساحرة السريعة واضعا النقود تحت قائمة الحساب...
ركبنا السيارة وذهب بي إلى امكنة جميلة وشوارع رائعة الجمال بقيت أنظر المناظر الطبيعية والبنايات طوال الوقت الذي كان يسوق فيه دون أن نتحدث بشئ وكأن على رأسينا الطير..لكنه كان ينظر إلي بين الحين والآخر وانا ارد نظراته بنظرات امتنان وكأنه كان يقرؤ نظراتي لأنه كان يبتسم لي كلما نظرت إليه بامتنان...كنا نتحدث بنظراتنا فقط وروحينا...
كنت ممتنة جدا لرؤيتي تلك الشوارع الجميلة والحدائق الغناء وكل التفاصيل الجميلة التي افتقدتها في ولايتي حيث نشأت...كانت منيتي رؤية تلك المناظر الطبيعية الخلابة والبنايات الشاهقة...وكأنه فهم شعوري ورغبتي في الصمت والتأمل...فظل صامتا ولم ينبس ببنت شفة...حتى وصلنا حيث قصر جيسكار الذي يمكنني حرفيا أن اسميه قصرا...كانت البوابة الإلكترونية المتحركة السوداء ضخمة للغاية وذات أسنّة في نهايتها سهام موجهة للسماء ...وكأنها تهدد القادم ان لا يعبث كثيرا لأنه سيلقى سهاما تقصفه...المهم أنني رأيت رالف يتحدث عند جدار البوابة في الحاكية...كان صوت جيسكار في الطرف الآخر من الحاكية عندما فُتحت البوابة تلقائيا ودفعها رالف وهو يضحك ...
_هيا بنا إلى جيسكار التافه ...سترين الاعاجيب هنا...علي أن أحذرك فهو غني مترف...لا يبالي لشيء أبدا...قد خبر كل أنواع المتع وخاض كل تجارب الحياة وهو يشعر بالملل الدائم...

_عجيب؟؟ أليس طبيبا نفسيا؟؟؟

التفت رالف إلي ونحن نسير نحو القصر فوق رصيف طويل مبلط بالجرانيت وعلى جانبيه تعريشـــة من الرياحين والشـــجر والعنب والزهور الجميلة التي بقيت أنظر إليها وانا أسير قرب رالف شبه ملاصقة له...

_طبيب يداوي الناس وهو عليل!!!

قالها رالف بالعربية وهو يضحك...عجبت لكلماته العربية...

_انت تعرف هذا المثل؟؟

_الم اقل لك في لقائنا الأول في الطائرة لمّا كذبت عليّ على أســـاس انك لا تتكلمين الانكليزية.. لقد قلت لك أنني اعرف قليلا من العربية؟؟؟

_انا لم اكذب عليك..أنت لم تسأل؟؟؟

غضبت فابتسم بسرعة محاولا أن يتدارك الموقف ويمتص غضبي..

_انتظري نرجس...

أخذت اغذ الخطى مسرعة لأهرب منه لأنني تعصبت من كلماته ...

_لست بكاذبة...

_شحلو طولك من تمشي وانا راكض...

فجأة توقفت والتفت إليه مذعورة..

_يـاويلي من نـاري البيـه...يـاويلي ...(ضـــحـك) ...اعرف بعض الكلمـات العراقية...كاظم ال...ال...ساهر ..صح؟؟؟

_رباه؟؟ ما شاء الله؟؟ تعرف كاظم الساهر؟؟؟

_هل تستهينين بقدرات رالف؟؟؟

قفي للحظات...بقيت ليالي اردد اغنية ام كلثوم...انتظري...سأسمعك...

يـامـا عيون قـابلوني...لكن ولاشـــغلوني...صـــحيح مـا لفظتـه..هـاه ..قولي لي..نرجس..هيـا ..علميني العربيـة جيدا واعلمك الرســـم بإتقـان...صـــفقـة جيدة ...هل تعلميني لغة القرآن..

وأسقط ما في يدي...شعرت أنني هنا سأنقذه من نفسه وربما..قلت في نفسي ربما...يُسلم على يدي...

_هل تود تعلم القرآن يا رالف؟؟

_نعم...أود ذلك إن كان على يديك...

_رالف؟؟ أنت لا تقول لي ذلك لتجد عذرا كي اقابلك ولا ننهي هذه العلاقة التي لااعرف إلى اين تأخذنا؟؟؟

_انا صادق دوما معك..اقسم بشرفي...ولكن إلى اين تأخذنا هذه العلاقة..كم أحب كلماتك...(قالها بحنان ورقّة تذيبان قلب أقسى فتاة)

قلت في قلبي وانا أنظر إليه وعيناه تنطقان حبا ورغبة وحنانا لكنّ مكرهما لم يكن غير ظاهر أيضا...

(ولكن يا رالف ...تقسم بشرفك ...فهل لك شرف ؟؟ أنت اصلا زير نساء)

ونظرت إليه بشفقة وهو يتوسل إلي بعينيه العسليتين...قرأت الصدق حقا فيهما ..لم اثق تماما بما قال لكنّ مسألة أن أعلمه القرآن الكريم اعجبتني كثيرا جدا....ولعلها كانت حجة من قبلي بررت بها قبولي رفقته التي كنت أشعر دوما بتأنيب الضمير عليها...

_اتفقنا...

ابرقت عينا رالف ببريق جميل جدا جعلني اغض بصري بسرعة خوف الافتتان بسحرهما..لقد أشرق وجهه فرحا فجأة .. اخذ يردد ...

_ياما عيون قابلوني ..لكن ولا شاغلوني...نرجس نرجس..اسمعي التكملة...

_ماذا...أنا لم احفظ اغاني ام كلثوم؟ ؟

نظر إليّ واشعة الشمس الذهبية المتخللة من بين أغصان حديقة قصر جيسكار تنعكس على عينيه ووجهه الأبيض الطويل ..فتزيد بريق عينيه العسليتين لمعانا وتزيد وجهه الأبيض نصعا وتزيد خصلات شعره شقارا

_إلا عيونك أنت....دول بس اللي خذوني....وبحبّك امروني...

_رالف؟؟؟

صحت بغضب...التفتّ لأذهب نحو الباب بسرعة لكنه نادى وهو يكمل دندنة الأغنية بلكنة مصرية مضحكة...

_امروني احب .. لئيتني احب....لئيتني بحب ودوب بالحب....صبح وليل

وأخذ يدندن النغمة وكأنه يحفظ اغنية ام كلثوم عن ظهرغيب...وصل إلي وانا مولية ظهري إليه والغضب باد على وجهي ..

_مابك يانرجس؟؟؟ هل اغضبتك في شئ؟؟؟

_رالف؟؟ أليس هذا غزلا بربك؟؟؟

_اها ...هل اغضـــب الآن منك واقول لك....من انت لتقولي لي أنني اتغزل بك..تذكرين ام لا؟؟؟؟

احمرت وجنتاي خجلا...فقد فهمت قصده..

_ انا لم اقصدك بالأغنية أبدا....أنا اغني فمن الذي ذكرك يا نرجس؟؟؟

وضحك بصوت عال وهو يقرع الجرس ..أطرقت بخجل ووددت لو دفنتني الأرض من تحتي...

طأطأ رأسه نحوي وهمس بصوت رقيق....

_انظري الفرق بين قلبي الحنون عليك جدا وقلبك القاســـي عليّ كثيرا...أنا لن اتحمل رؤيتك مرتبكة وتشعرين بالأحراج بسببي ..أنت لو سمحتي لي فأنت فعلا تستحقين الغزل ....انت تستحقين الإعجاب من كل رجل في العالم ....لكنني لو حاولت ..ولو بالتلميح ...فأنت سوف تصدينني وتكرهين نفسك وتقررين العودة للعراق وتسألين نفسك الف مرة .. هل انا اعصي الله الآن...

_رباه...

شـــهقت وأنا ارفع رأســـي باتجاهه ..كان ينظر إليّ بحب وحنان جعلني أخجل واطرق مجددا ...

(إنه يفهمني أكثر من نفسي)...

_اها.... لم اكمل الأغنية...إنها تنفع في هذه اللحظات ..

_ماذا ؟؟؟

رفعت رأسي نحوه متوسلة وكأنني أريده أن ينتشلني من نفسي ويخلصني من تأنيب ضميري...

نظر إليّ مقربا وجهه مني كثيرا وهمس ...

_اهل الحب صحيح مساكين..صحيح مساكين...

(وابتسم ابتسامته الساحرة)...

"رباه..كم أحببت تلك الابتسامة المدهشة "...

وفُتح الباب فجأة فأصبت بالدهشة الشديدة وتسمرنا انا ورالف أمام الخادم الذي أعلن عن أن سيده جيسكار ينتظرنا....

هبط جيسكار من سلمه الحلزوني الأنيق الذي كانت لوحات جدارية كبيرة قد علقت فوق جدرانه وعلى طوله نزولا ...استقبلنا بوجه متجهم غير ضاحك وكأنه غير مسرور اصلا لرؤيتنا...

_رالف العزيز...زيارة من غير موعد مسبق...ما الذي جاء بك صباحا...لقد اقلقت نومي...

_آسف حقا...لو انك تعذرت وقلت لي انك نائم لذهبت ونرجس إلى منزل مارك...اعتذر حقا..لم تقل لي في الحاكية...

_لا عليك....فأنا أشعر بالملل اصلا...لا يهم ...أتمنى أن تسليني قليلا..

قال ذلك وهو يلف رداءه فوق بيجامة نومه الزرقاء ...هبطت فجأة فتاة شبه خليعة وهي تلبس سترتها وتتعثر بينما كانت تحاول ارتداء كعبها وهي تنزل السلم خلف جيسكار...نظرت إلينا بقلق بينما كانت نظرات جيسكار كنظرات الميت بلا مشاعر ولا بريق وكأن روحه ميتة خاوية..

_تفضلي بالجلوس ...رجاءا...ماذا هنالك..ماذا تريدين؟؟؟

قال ملتفتا للفتاة بضجر فاقتربت منه فطأطأ رأسه نحوها بينما همست له شيئا ففرقع إصبعه لخادمه وقال له أن يجلب بعض النقود للفتاة أمام ناظرينا فشعرت بالإهانة ونظرت إلى رالف بغضب شديد فارتبكت نظرات رالف

وانكسرت تجاهي بينما جلس جيسكار بلا مبالاة على كرسي وثير مقابل لنا حيث جلسنا انا ورالف على كرسيين وثيرين متقاربين ..

وضع جيسكار ساقا فوق ساق بينما اخرج غليونا من جيب ردائه واشعله خادمه بسرعة له...نفث الدخان لتظهر عيناه الضيقتان وهما تحملان مكرا ودهاءا كثيرين...

_حسن يارالف...ماذا تطلبان لتشربا؟؟؟ قليل من النبيذ المعتق ..انصحك آنستي بشرب بعص النبيذ الأحمر...سأشرب معهما... صب لنا قليلا من النبيذ يادوارد ...

_رالف؟؟؟

صحت ناظرة إلى رالف بعصبية فتلعثم ناظرا إلي...هتف بجيسكار...

_كلا ...نفضل قليلا من الشاي لو سمحت...

_اها...لا بأس...اجلب لنا شايا يا ادوارد...(كان يركز نظراته عليّ)...

ابتسم لي فلم ابتسم له..لأنني شعرت بالضيق الشديد لمعاملته لتلك الفتاة حتى ولو كانت فتاة بغاء...حتى ولو تقاضت أجرا سحتا محرما فقد شعرت بالحزن لأجلها.. شعرت أنني لو كنت في ظروفها ولو ولدت مكانها لربما كنت سأضطر أن أفعل مثلها واضطر أن أقف هكذا بذلّة أمام شخص رخيص مثل جيسكار يعاملني كمجرد فتاة حقيرة قضى ليلته معها ورماها....كبقايا قطعة سمك لذيذة لا يريدها أحد ما بعد أكلها...شعرت أنني اجلس أمام الشيطان نفسه..

_آنسه نرجس متضايقة قليلا كما أرى...لا أدري يارالف ما السبب؟؟

_اسألها انت ياجيسكار ...هل تخشى سؤالها؟؟

_حسن ...ممّ انت متضايقة يا انستي؟ ؟

_بصراحة شديدة ودون مجاملات...منك انت!!!

_نرجس!!!

نظر رالف إلي مندهشا....بينما ضيّق جيسكار عينيه أكثر وركز اهتمامه

_لماذا؟؟

_ أكره الاغنيـاء المترفين الـذين لا يعرفون كيف يقضـــون وقتهم أو أين يصـرفون نقودهم.. أعطاهم الله نعما فلم يرعوها حق رعايتها وانا متأكدة أنها ستنقلب وبالا عليهم...عاجلا ام آجلا...

_نرجس ..ماذا دهاك ؟؟؟

هتف رالف بارتباك بينما شعرت أن جيسكار كان سعيدا جدا بكلامي...

_اووووه...كلام كبير ...

نفث جيسكار دخان غليونه وابتسم بخبث....

_ومن قال هذا الكلام...حضرة الراهبة المسلمة ؟؟؟

_وماذا عن الراهبات ...أليست الرهبنة في دينكم؟؟

_من قال لك أنني متدين...هل رالف متدين؟؟؟ من منا زار الكنيســـة....أنت تضحكينني حقا...آنسه نرجس...دعيني أسألك سؤالا واستحلفك بدينك الذي تؤمنين به أن تجيبي بصدق...

_إنّ ديني هو دين الصدق..وانا لا اكذب أصلا..

حمل قدح شـــايه وشـــرب رشـــفات منه ثم دخن غليونه ونفث الدخان قبل أن يقول_بينما نظرت إلى الشمس الدافئة تغمرنا بأشعتها عبر نافذة واسعة في صـــالة جيســـكار الملكية...تلك التي امتلأت بالتحفيات والخزفيات والســـجاد الفاخر ...

_هل انت مقتنعة بهذا الغطاء الذي يحيط رأسك ويمنع جمالك من الظهور...ما الذي يدفعك لهذا...في عمرك انت يجب أن يراك الشباب وان تستمتعي بالحياة فغدا ســـتكبرين ويذبل جمالك ولن ينظر إليك احد...أنت الآن تدفعين الآخرين بعيدا عنك بدلا من أن تحيي حياة طبيعية كأية أنثى مليئة بالحياة...اعتقد انك لم تخبري علاقة ما من قبل مع أي رجل وهذا الشـــيء خاطئ جدا...أنا كطبيب نفسي اقول لك أن الرهبنة شئ غير صحيح...هل قمت بعلاقة واعني بذلك ما أعنيه وما خطر ببالك حقا؟؟ اجيبي بصراحة آنسة نرجس لو كنت صادقة حقا ودينك يمنعك من الكذب

_طبعا أنا لم ولن أفعل علاقة كتلك التي تشـــير اليها في كلامك ..نعم وافتخر بذلك ...ودعني اقول لك امرا!!! فهل جلب الفتيات القاصـــرات إلى المنازل كمجرد وسيلة للمتعة الجسدية هو الصحيح نفسيا أيها الدكتور؟؟ ثم هل الزواج في علم النفس أيضا خطأ...وكطبيب نفسي تجده أمرا غير صحيح!!!

قلت بعصبية...شعر رالف بغضبي وقال متداركا...

_جيســكار...انّ نرجس لم تعتد الحياة هنا بعد وكل هذا جديد عليها...يجب أن تعذرنا لأنني نسيت موعدا لم احضره الآن...

شعرت بالغضب الشديد وعرفت أن شخصية جيسكار تدفعني دوما لتحدي نفسي وتحرك الجرأة المدفونة في قرارة نفسي كي تخرج وتتنفس الحياة

_رالف؟؟؟؟ لست بحاجة للتعذر عني....أنا لست بطفلة..ثم إنك يا سيدي وجهت إهانة لشخصي...دعني اقول لك أن الحياة بلا دين هي العذاب نفسه والخواء ذاته...لا أعرف اي طبيب نفسي انت ..فأنت تعالج المرضى ولاتؤمن بشئ؟؟؟ كيف لك أن تعالجهم اذا...هل الدين أصبح موضة قديمة لتهزأ به..

_الدين مجرد شـــئ يتعلق به الإنســـان ليجد تفســـيرا لوجوده العبثي ياآنســـه نرجس...تمنيت لو كنت أملك مثل روحك أو إيمانك..لكنني فقدت الإيمان منذ زمن بعيد...فقدته لحظة قُتل ابي بدم بارد وقُتلت امي من قبل عمي وورثت عمي لما قتلته مرســـلا له قاتلا مأجورا....لماذا واين كان الرب مني لما تُركت وحيدا..الحياة عبثية...ألم تري تلك الفتاة التي خرجت من عندي...لماذا اضـــطرت إلى البغاء؟؟ أليس من المفروض ان تعيش في كنف اســـرة تضمها....أنا أسديها خدمة كبيرة لمّا أُرسل في طلبها...ذاك لأني اغدق العطاء لها وهي تســـعد بذلك كثيرا... صـــدقيني...لســـت أدري لم اقول لك هذه الخصوصيات....لكنك فتاة مثيرة للاهتمام حقا...افهم الآن سبب اهتمام رالف بك.. أنت غامضة بشكل جذاب للغاية ..أحب هكذا نوع من النساء...نوع جديد لم أخبره بعد....افهمك الآن عزيزي رالف....

قال ذلك ونفث دخان غليونه مرة أخرى بتشفّ...

_رالف...هل يمكننا أن نخرج ...
_حسن ..هل افحمتك بالجواب؟؟؟
_أبدا...
قلت بتبرم وأنا انهض واقفة بينما ظل جيسكار جالسا ينظر إلي باهتمام..
_بل لا يوجد ما أقوله لك ..سأدعو لروحك الضالة أن تجد طريقها...أما عن الفتاة فأنت لا تسديها خدمة بحثّها على البغاء وخدمة جسدك في الليل ...إنّ روحك الضالة تبرر لك وانت تمارس الرذائل الحيوانية تلك انك تسدي تلك العاهرة خدمة عظيمة...دعها تعمل ...جد لها وظيفة!!!حتى لو خادمة عندك ...لا مجرد وسيلة لمتعتك الحيوانية...
ثم ماذا عن الراهبات....انهن قد كرّسن عمرهن لخدمة المجتمع..آمنّ بوجود مخلّص لهذا العالم...أما انت سيدي...فاسمح لي أن أقول لك ... لقد استسلمت للشيطان ...والداك ربما في الجنة الآن...أنت لا تدري فربما غفر الله لهما بموتهما المفاجئ ذاك وقتلهما بدون ذنب كل ذنب اقترفاه في حياتهما ...أما عن شعري وحجابي وعدم اثارتي للشباب في شبابي فذاك يكفيني فخرا أمام ربي أني لم أتجاوز حدوده...أنا لو أردت أن أظهر مفاتني فسيكون الأمر لرجل واحد وواحد فقط..ذلك ما عملني والداي وعلمني ديني عليه...انتهى الكلام ....ولست سعيدة بالمجيء هنا فلقد اختنقت....ولا اريد المجئ مرة أخرى...حقا اقولها يا سيد جيسكار!!
_لم تشربي قدح شايك...
نظرت إليه بغضب...
_لا أريد....لأنني أرى فيه دم عمك....
قلت ذلك والتفت نحو رالف ومضيت دون أن انتظره...رأيت رالف يتلفت بيني وبين صديقه وقد حار جوابا...أما جيسكار فقد ابرقت عيناه ببريق عجيب فجأة بعد كلامي ذاك ... وجدته فجأة أمام الباب الذي كنت أريد الخروج منه ...هتف بي بينما رالف يتبعني لاهثا....

_انتظري يا آنستي الجميلة....
مد يده ليخرج بطاقة بين انامله الطويلة ويناولها لي...
_اتشرف بدعوتك لحضور حفل افتتاح معهدي الموسيقي الذي عينت مارك فيه مديرا ...اعرف انك تحبين الكلاسيكية..لن ترفضي دعوتي هذه...أليس كذلك؟؟
_شكرا لك يا سيد جيسكار...
قلت بارتباك وباقتضاب فقد شعرت أني تجاوزت حدودي كثيرا وتفوهت بكلام وقح للغاية قبل لحظات وأردت أن أهرب منه حقا...
_خذي البطاقة إذا...
_حسن ...
اخذتها أمام دهشة رالف الذي وقف أمامنا لا يلوي على شئ....
هربنا بسرعة نحو الممر الخارجي لا نتكلم أنا ورالف وكأن على رأسينا الطير...في السيارة جلسنا فأدار رالف المفتاح بسرعة وسار بالسيارة بعيدا ...توقف فجأة عند منعطف كان القصر قد صار خلفنا بكثير عنده..
نظر إلي بصمت ...نظرت إليه..نظرنا لبعضنا لثوان قبل أن ينفجررالف فجأة بالضحك...ضحكت معه ...بقينا نضحك...
_ماذا .. رالف...
_رباه...لو رأيتِ وجهه...كان يجب أن يكون مارك هنا؟؟؟ أنت يانرجس مدهشة....كيف قلت له ذلك كله؟؟؟ رباه....لقد أصبح كالكلب المبلل!!!
وضحكنا مجددا ....
_لست أدري حقا...كنت وقحة حقا و لو طردنا لما لمته...
_رباه...هههههه ...نرجس ...رغبتك الحيوانية..أنت لا تسدي الفتاة المسكينة خدمة لأجل جسدك ورغبتك...يالهي ..كم انت جريئة!!! لقد ...لقد حطمت غروره كله....هههههه ..جيسكار ...حقا انا لا اصدق ما جرى...لذلك أنا متمسك بصداقتك ..نرجس ..نرجس ..اووووه نرجس ...أنت فريدة من نوعك

حقا...أنت فريدة ....رباه ..انتظري حتى اقص على مارك صديقي ما حصل....رباه....أنت مدهشة...لن اشرب قدح شايك لأني أرى فيه دم عمك !!! هههههه...

أخذ رالف يضحك وهو يضرب على المقود...حتى انتهت نوبة ضحكنا فأدار رالف المفتاح مرة أخرى وانطلقنا عائدين لمنزل فادي ...

قال لي وانا انزل من سيارته بينما ودعني عند باب البيت وهو ينظر إلي بسعادة وحب شديدين...

_لا تنسي يانرجس...لقد قمت بمغامرة في أميركا يمكنك استغلالها في رواية جديدة تكتبين احداثها عن حياتك هنا....هل ترين كيف أن رالف مفيد لك....وانت تريدين ابعاده عن حياتك.. (وغمز لي بسعادة)...

سآتي غدا لآخذ درسي الأول في القرآن على يديك راهبتنا المسلمة ...

قال ذلك غامزا مرة أخرى فضحكت بسعادة وشعرت أنّ روحي تكاد تطير في السماء ...دلفت المنزل وانا في قمة السعادة ...نظرت إلي ماري فأخذتها من يدها ورقصت معها فضحكت وجارتني في رقصي الذي ما كان يسمى رقصا اصلا ....مجرد لفات ودوران وضحكات على ارتطامي بالأغراض كل حين....وقف فادي ينظر إلي وهو يضحك ....كان سعيدا لأجلي وشكرته في سري لأنه لم يسألني أبدا أين كنت وماذا فعلت...لقد شعرت أنه يثق بي تماما ..وزادني ذلك سعادة ....نمت فوق سريري وانا احتضن لوحتي التي وضعتها فوق صدري مثل المجانين...أقفلت غرفتي هذه المرة لأنني كنت أعلم أنه سيأتي في الصباح الباكر ولن يخلف موعده...كنت متعبة للغاية ولذلك قلت لماريا أنني لن اتناول العشاء معها ومع فادي ...اغمضت عيني لأنام واحلم برالف الذي خطف قلبي دون رخصة أو حتى مع كل الرخص مني...والى الأبد...

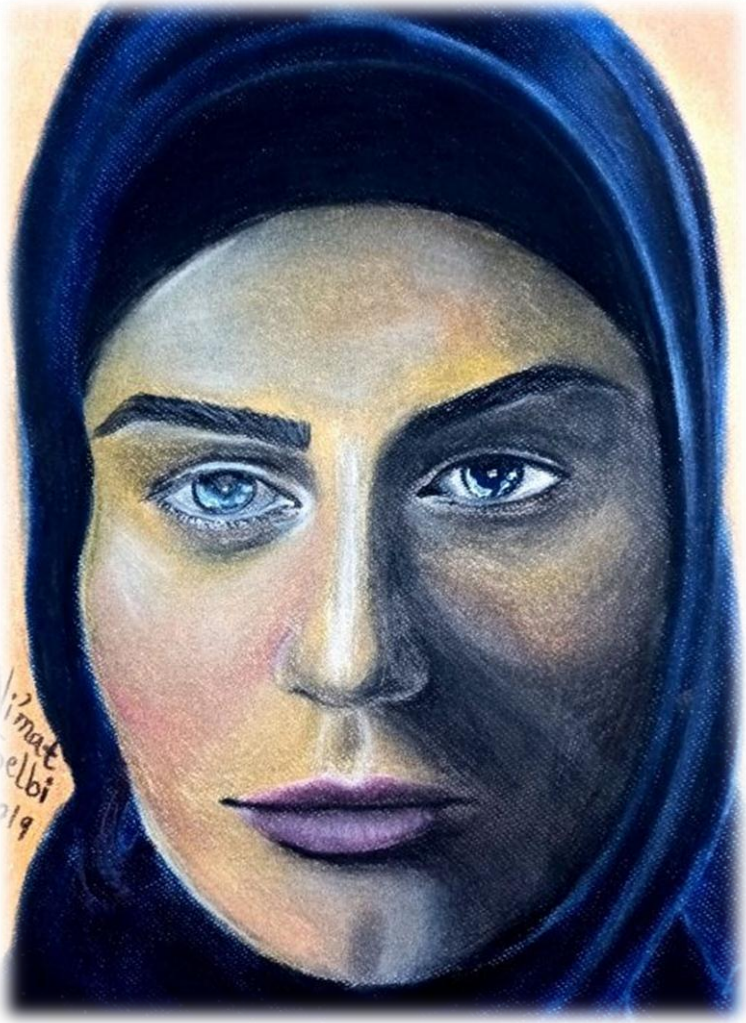

الفصل الثالث عشر

كنت أسعد انسانة في الدنيا كلها وانا اجلس مع رالف أعلمه كطفل صغير كيف يقرأ القرآن..بدأت معه بالسور القصيرة وكنت اشرح له بعض المعاني التي لا يفهمها...كانت هنالك معان صعبة الفهم حتى عليّ وكان لزاما عليّ أن اراجع المكتبة المركزية التي أخذت ازورها لآخذ تفسير القرآن وأبحث عن المعاني الجديدة حتى لا أكون أمامه مجرد فتاة لاتعرف عن كتابها المقدس معانيه الصعبة....حقا كانت بعض الكلمات العربية في القرآن غير مفهومة بالنسبة لي فأصبح الأمر ممتعا لي مرتين أن اتعلم وأعلم رالف معي ...أما عن رسمه فقد جلس قبالتي واضعا نظارته السوداء ولست أدري لم ارتداها مع العلم أنه يرتديها في القراءة فقط لكنني لاحظت انه كان يتخذها وسيلة كي ينظر إليّ بين الحين والآخر دون أن أشعر، لكنّ مشاعري كلها كانت تشعر وتدرك...كنت اخطط وجهه في البداية ويقوم كل حين من مكانه ليوجهني ويعلمني أخطائي...شعرت أن رسمي ركيك وتافه لكنه شجعني طوال الوقت وكان معجبا بتخطيطي الأوّلي لوجهه....ثم شجعني أن أرسم يده التي كان يضعها فوق ذقنه ووجنته اليسرى ...ثم الجزء العلوي من قميصه المفتوح الازرار من الجهة العليا من الصدر والتي كنت اتجنب النظر إليها بينما هو يتعمد فتح ياقة قميصه دوما ..

"..كم اكره الرجال "...هتفت في سري وانا مضطرة لرسم شعر صدره (الاسود)_عكس شقار شعر رأسه ووجهه والذي كان بارزا حتى أعلى زر قميصه الأخير قرب رقبته...كنت اعرف أن ذلك حرام ولذلك حاولت قدر الإمكان غض بصري وحاولت أن اشغل فكري بأن عملي فني بحت....لم افكر بنظراته مثلا وهو يبتسم عمدا لما كنت أريد نقل تفاصيل قميصه ...كان يتعمد ذلك....لكنني قررت إكمال لوحته مهما يكن لأن اتفاقنا كان يقتضي أن يعلمني الرسم وأن اعلمه القرآن...كل يوم كنت اتعلم أكثر عن النسب في الرسم وعن

الظل والضـــوء والألوان فقد كان يصـــحح لي كل خطأ ارتكبه في لوحته حتى ضجرت يوما وقلت له...

_انا لم أرسم هذه اللوحة ..أنت من رسمها!!! لم ارسمها انا حقا...أنت تصحح لي كل خطوة في رسمي يا رالف...أنا لست راضية عن لوحتي..

_نرجسي الجميلة...يكفي أنك تقضين كل يوم ساعتين في رسم تفاصيلي ...هل أكون أسعد بعد ذلك؟؟ وانت تتطورين أكثر في الرسم...

وعند ذلك اكتفيت ولم اسأله أو أعلق على اللوحة أبدا...

كنا نقضي ساعتين مع اللوحة وساعة مع القرآن..علمته كيف يتوضأ قبل كل شيء وكان موقفا مضحكا جدا لمّا رفع كمّي قميصه اول مرة وانا اعلمه كيف يسكب الماء على ذراعيه من المرفق ولم أكن قادرة على إخراج ذراعي لأمثّل لـه الأمر فكـان كل مرة يحـاول بالمقلوب او بشـــكل خاطئ فأعلمه حتى أخذتُ اضحك ويضحك معي على نفسه...المهم أنني علمته في النهاية...كانت ساعتا الرسم هما أصعب شئ وكانتا اكثر شئ يتعبني ...نفسيا ومعنويا...لأنني كنت ازداد حبا لـه...وكـان يتعمد النظر إليّ كل حين وانـا احـاول ان اغضّ الطرف واركز في الرسم...وكل ربع ساعة ينهض قربي ليعطيني ملاحظة عن رسمي فأشـم عطره ويكون قريبا جدا مني فأشـعر بالذعر والفرحة في آن ولا أعرف كيف أتصـرف معه...وادعو الله أن لا يلتفت إليّ حينها لأنني كنت ضـعيفة جدا وارتجف خجلا وذعرا...أما هو فقد كان في غاية السـعادة ووجهه يتألق فرحا وعيناه تشعان سعادة...وهو يعرف مقدار ارتباكي في حضرته...وقربه...

مرّ شـــهران ونحن على ذلـك الحـال وأصـــبح تلميـذا مطيعـا لي في درس القرآن...فقد كان يتابع حركات شـفتيّ وأنا انطق الكلمات ويرددها بشكل بطيء ويظل يكررها دون كلل وكنت أشـــعر بالدهشـــة لصـــبره ورغبته في التعلم تلك...كان يقرأ القرآن بخشوع من بعدي ويتوقف عند بعض الكلمات ويناقشني في بعض الآيات لما افسـرها له...بقينا على ذلك الحال كما قلت لشـهرين حتى جاء يوم من الأيام حينما نزل من سـيارته ونظرت إليه من نافذة غرفتي يقفز

فرحا وينظر إليّ من الأســـفل إلى أعلى حيث غرفتي ويظل ينـاديني...نزلت بسرعة وقلبي يخفق بشدة...

_مـاذا هنـالك يـارالف؟؟ هل انـت بخير....هل نورس بخير؟؟ هل حدث شـــئ لروكس؟؟ قل لي بسرعة!!!

_ كلا كلا..تعالي يانرجس..خبر مفرح جدا..افتحي الظرف...

فتحت الظرف..لم يكن في البيت ســـوى المربية وطفلَي فادي ...فزوجة فادي تخرج للعمل منذ الصباح وفادي يذهب إلى عمله في المرسم الملحق بداره في مكان منعزل عن المنزل قرب الحديقة الجانبية ...

فتحت الظرف وانا مرتبكة ..أخرجت ورقة منه وقرأت بسرعة...

_ما هذا ..لا أفهم يارالف؟؟؟

_قرار تعيينك زميلة معي في الجامعة...مع بداية الفصـــل الدراســـي ســـوف تكونين استاذة في جامعة واشنطن...ما رأيك...

_اااه... كلا ... لا أصدق!!!

أطلقت صـــرخة فرح ولم أعرف ما افعل وأخذت أنظر لرالف ودموعي تنهمر والتفت حولي كمجنونـة ثم اســـتدرت نحو المنزل وكنـا اذذاك كلانا عند عتبة الدار...فجأة قفزت في الهواء ونســـيت نفســـي وأخذت اقفز فرحا بينما رالف يراقبني وهو يضحك فرحا...قفزت عدة مرات قبل أن اصرخ وأنا ادخل المنزل لأنّ طفلَي اخي جاءا يستعلمان عمّا جرى لي ...

احتضنتهما وأنا أبكي وصحت بصوت عال...

_لقد تعينت ...ســـأصـــبح اســـتاذة هنا في جامعة واشـــنطن..اســـتاذة لغة انجليزيـــة..ربـــاه...مـــاروع هـذا...شـــكرا لـك يـارب...رالف ..رالف...كيف اشكرك...قل لي كيف اشكرك؟؟ أنت...أنت...كيف فعلتها؟؟؟ لا أصدق!!!

كانت المربية تضـــحك مع طفلي فادي لأجلي وشـــعرت أنّ الجميع مســـرور لأجلي...شعرت بسعادة لاتضاهى وضحكت من كل قلبي...

نظر رالف إلي ويداه في جيب بنطاله الأزرق الطويل...

_حسن سأقترح أمرا لأنك لن تسمحي لي بالاحتفال بهذه المناسبة في مطعم ما مثلا او ان اخرج معك إلى حديقة عامة للتنزه مثلا او حتى لنخرج سـوية في أي مكان...لن تسمحي لي طبعا...حسن ياعزيزتي...

أعلم أعلم...لا تبرري..اعرفك جيدا..حسن..عندي اقتراح ربما يعجبك...

_ماهو يا رالف ..أنا سأقبل هذه المرة أي شيء ولكن دون أن يكون ضد ديني ومبادئي...(قلت بقلق وأنا أنظر إليه بامتنان وعرفان شديدين)

_حسـن ...هل يحق لي أن أدعوك مع فادي للعشـاء في شـقتي؟؟؟ هل ادعو مـارك وفرانـك وصـديقته لو أحببت..أم يكفي فادي؟؟؟ مارأيك بهذا ؟؟ لنحتفل بهذه المناسـبة ..سـأدعو أخاك وزوجه إلى شـقتي ...سـأصـنع العشـاء بنفسـي...أنت لم تتذوقي طبخي من قبل ..اللهم إلا تلك المرة اول قدومك من العراق وإلا فأنت لم تذوقي وصـفتي الخاصـة وطبقي المميز...يجب أن تعرفي كم انـا موهوب..ولكن لا أحد يقدر مواهبي ..(وغمز بعينـه مرة أخرى)..وأخذ يضحك...

ضحكت في سري عليه لكنني تبسمت بوقار وقلت له بخجل...

_سوف أشاور اخي في الأمر وأرى هل سيوافق؟؟؟

نظر رالف إليّ بمكر حينها وقال..

_هل اقتحم مرسـمه الآن واذهب بك إليه لأسـمعك موافقته التي اعرفها مسبقا...نرجس ..كفّي عن اختلاق الحجج...هل تودين القدوم ام لا؟؟؟

نظرت إليه بقلق...كنت اقضم اظافري في فمي أمامه دون شعور...

_نرجس ...اتركي انامك ..سوف لن يبقى منها شئ لتكملي رسمتي ...أرجوك لم يبقى الكثير فهي شبه مكتملة...دعينا نكملها اليوم كي تحضري مساءا مع فادي ...مارأيك؟؟ أنت لن تكوني معي بمفردك...لا تخافي سـأعد عشـاءا لذيذا ولن اجوع حينها وآكلك!!!

قال ذلك وهو يبتسم ابتسامته الساحرة فتضرج الدم في وجهي وحرت جوابا بينما هو قد أخرج صوت زئير من حنجرته التي تبرز تفاحة آدم في أعلى رقبته البيضاء..وأخذ يضحك بعدها بصوت عال....

كنت افكر وانا أكمل رسمه بينما هو يتظاهر بعدم النظر إلي..هل كنت أفعل الصواب؟؟ وماذا يريد بدعوتي إلى حفل عشاء في شقته..حتى ولو بحضور اخي وزوجته...صحيح أنه من الواضح اهتمامه بأن يسعدني بالاحتفال بتلك المناسبة..لكنني كنت أشعر أنّ هنالك خطأ ما...فهل كنت أقبل مثلا لو أن أحمد ابن عمي دعاني مثلا إلى مطعم لأجل أن يحتفل بأية مناسبة عندي؟؟؟ أو ان يدعوني لمنزله بحضور اخي مثلا ؟؟ مشاعري المتضاربة وما تعلمته طوال عمري من العيب والحرام والخطأ أصبحت تتساقط كأوراق الخريف أمام عيني رالف العسليتين وهما تنظران إليّ باهتمام كل حين وآخر من تحت تلكما النظارتين السوداوين واللتين زادتهما جمالا ورونقا...

أكملت رسم لوحته أخيرا وشعرت بالفخر والسعادة أمام اخي فادي وهو ينظر إلى لوحتي مفتخرا بي أمام صديقه ومدير اعماله الذي ساعده ويساعده دوما في معارضه...قال رالف وهو ينظر إليّ بسعادة وحب شديدين ويربت على كتف فادي...

_سآخذها إلى شقتي وأعلقها هناك...وبهذه المناسبة السعيدة وايضا مناسبة تعيين اختك نرجس في الجامعة ..اتشرف بدعوتك وزوجتك مع اختك طبعا ضيفة الشرف إلى شقتي على العشاء..سأعدّه بنفسي لكم ...سأنتظركم ولن اقبل اعتذارك يافادي ..أفهمت؟؟؟

_طبعا لن أرفض...

قال فادي وهو ينظر لرالف الذي كان جديا جدا في دعوته ونبرة صوته التي لاتقبل الرفض من أخي أبدا....

ارتديت أجمل قميص عندي وكان لونه اصفر مليئا بنقشات زهور زرقاء وبيضاء وكماه عريضان يتدلى من ياقته شريط أصفر على شكل وردة وربطة

شعري كانت زرقاء فاتحة كلون تنورتي الفضفاضة الطويلة ولون سترتي التي تصل أسفل ركبتي كالعادة ....قالت لي ماري وهي تصعد إلى غرفتي وتدلف فجأة بعد أن طرقت الباب لتفتحه بعد رخصتي...

_لم لا تضعين قليلا من مساحيق الزينة يانرجس؟؟ ضعي كحلا أسود لعينيك..ستكونين اجمل بكثير....

_كلا...أنا لا اضع اي ماكياج؟؟؟ أبدا لم أفعل طوال حياتي...

_فقط هذه المرة...الكحل فوق عينيك لن يضر....

قالت ذلك واخرجت قلم كحل من حقيبتها...لم تكن ماري تهتم للحجاب ابدا ولم أتدخل في قرارها ولم اسأل اخي يوما عن عدم تحجب زوجته...فذاك ليس من شأني ولم تكن من طبيعتي أن أتدخل في قرارات الآخرين أو خصوصياتهم...المهم انها لم تترك لي مجالا واخرجت القلم ورسمت خطاً فوق كل جفن فنظرت إلى عينيّ غير مصدقة أنهما قد اتسعتا أكثر وأصبحتا أكثر جمالا بكثير ...سحبتني من ذراعي لنذهب بسرعة لأن فادي كان يضرب فوق منبه السيارة بشكل متكرر...بقي الطفلان عند المربية التي جاءت بأجر إضافي لتمكث معهما وقت ذهابنا للعشاء....كان الجميع مسرورا ونظر فادي إليّ باهتمام وهو يقول ناظرا إلى عينيّ خصوصا...(فأطرقت بخجل وأنا أشعر أنني قد قمت بخطأ جسيم)...

_أنت اليوم في قمة الجمال والأناقة...أنا فخور بك يانرجس...كما أنّ لوحتك رائعة ..لقد رسمت رالف صديقي بشكل ممتاز...إنه صديقي العزيز وهو صاحب اليد العليا بعد الله عليّ هنا وانا اشكرك جدا لأنك أثرت إعجابه برسمتك تلك...أنا فخور بك يا اختاه وشاكر لك ما فعلته...

_شكرا لك ياأخي فادي ..لكنه هو من وجهني وعلمني وصحح اخطائي ...أنا اعتبرها رسمته هو ...إنه هو من وجهني بكل خطوة...

_وذلك أمر أروع..لأنك تعلمت منه...رالف لا يعطي وقته إلا لمن يهتم به...صدقيني ..أنت محظوظة لأنك تعلمت على يديه خطوات الرسم ...

حرت جوابا واطرقت خجلا بينما التفتت ماري إلي وهي جالســة قرب زوجها وقالت بصوت فرح سعيد...

_عزيزتي...إنّ صداقة رالف مكسبٌ دائم...كوني دوما على مقربة منه..

وانطلقت بنا السيارة حتى شقته...صعدنا بالمصعد حتى الطابق الذي توجد فيه شقته في تلك البناية الشاهقة...لم يك احد يعرف أحدا ولا يسأل عن احد وكأننا نتوجه ونمشي بين اموات أحياء...فالكل صامت..في المصعد وفي البناية كلها كأنهم يمشون إلى مصارعهم!!!

عندما ضــغط فادي جرس باب الشــقة ظهر رالف خلفها بقامته الطويلة وهو يرتدي صــدرية المطبخ..كان مظهره مضــحكا لكنه لم يبعد عينيه عني وهو يرحب بفادي وزوجته...

جلس فادي على الأريكة في غرفة المعيشة الصغيرة التي كانت مفتوحة على المطبخ...وكذلك جلست زوجته قربه ووضعت علبة حلوى صغيرة شكرها رالف عليها...بينما كان لايزال ينظر إليّ وهو يشكر فادي على قدومه بسرعة لما أردت أن تنشق الأرض وتبتلعني من شدة الإحراج...

_فادي كم تبدو انيقا اليوم ياخي...شــكرا لمجيئك مبكرا ولو أنني لم اكمل العشاء بعد...هل يمكنك مساعدتي يا ماري...

كانت كلماته عن فادي وكأنها موجهة لي لأنه لم يرفع عينيه عني...ولكنه تدارك الأمر لمّا طلب من ماري مســاعدته فجلســتُ قرب فادي ننتظر دعوة رالف للقدوم نحو المطبخ وتناول الطعام..حاولت المســاعدة فدلفت للمطبخ لكنني وجدت ماري تدفعني بسرعة لما صاح رالف بها وبصوت حازم ...

_كلا...اخرجيها ..إنها ضيفة الشرف...كيف لها أن تدخل قبل إكمال المائدة؟؟؟ ماري هي بنت بلدي وتعرف كيف تساعدني...اذهبي رجاءا يانرجس...

شعرت بحزن عندما سمعته يقول...ماري بنت بلادي...حسن ...ماذا عني...ألن أفهمه انا إذا....هل كان يمدحني ام يذمني...قررت إهمال ذلك التفكير لما نظرت إلى رف الكتب فوق موقد النار الذي كان في زاوية الغرفة ...فجأة شد انتباهي

وجود لوحة كبيرة معلقة أعلى ذلك الرف ولما اقتربت لأرى لأن الإضاءة كانت ضـــعيفـة فوق ذلـك الجـدار..أقول لمـا اقتربـت...عرفـت اللوحـة الجداريـة بسرعة...كيف لا وقد قضيت وقتا طويلا أرسم صورة ذلك الشخص الذي وقف خلفي حينها وضغط زر الإنارة ليبرز نفسه في الصورة...رائعا كما هو ..واثقا كمـا هو...وســـيما جدا ..كما هو...التفتّ إليه فوجدته ينظر إلي بوَلَه وعشـــق شديدين..

_شكرا لقدومك هنا نرجستي الغالية...انظري كم هي رائعة لوحتك...أنا علقتها هنا كي أنظر إليها كل يوم..لتكون أمام عينيّ كلما جلست أمام موقد النار وأمام رف كتبي الخاص والذي أتمنى أن يضم رواياتك عن قريب...

_ شكرا لك يا رالف....لا أعرف ما أقول...لكن اللوحة تمت بمجهودك!!!

_هراء....أنت من تعبت كل يوم فيها ...كنت مجرد معلم لك وموجه....

_رالف..أنت تحرجني وتخجلني بكلامك...

_كنت أريد أن اقدم لك هدية ..لكن ليس أمام اخوك وزوجته....نرجس...إنها في غرفتي...بعد العشاء ..اتفقنا...

_أيـة هديـة...رالف....لااريـد ...أنت ســـعيت لأجل تعييني ..أنا من يجب عليها جلب هدية لك!!!

_أكثر من رسمي ؟؟ لوحتك هديتي...ومجيئك هنا أكبر من ذلك كله...

تضرج وجهي خجلا ... اطرقت وانا لا اعرف ماذا أقول....

نادت ماري فجأة...

_أين انتما؟؟؟ هيا...المفروض اننا ضيوفك...أعددت المائدة سيد والتر!!

_شكرا لك يا ماري...

كان العشاء لذيذا حقا وكان رالف يناولني الطعام ويتحدث مع فادي ويعتني بي بشكل خاص...بين الحين والآخر كان يسألني ...

_هل اعجبك الطعام؟؟ هل تريدين من هذا الحســاء؟؟ هل اقدم لك قليلا من هذا الشــراب؟؟ قليل من هذا الدجاج ربما يعجبك؟؟ هذه الوصــفة صــنعتها بنفسي...أتمنى أن تنال رضاك نرجستي...تفضلي بعض السلطة...

عندما انتهينا ونهضت احاول حمل الصحون إلى المغسلة...أخذها رالف مني بسرعة وصاح بي...

_انت ضيفتي ...اجلسي رجاءا.. .لن تعملي اليوم اي شئ....

ترك رالف فادي وماري يتحدثان وهما يشربان الشاي كعادة اهلي في العراق والتي اكتســبها فادي من اهلي ولم يتخلص منها بل ورّثها وعلّمها لزوجته ماري...شربنا انا وفادي أيضا الشاي لما قال لي الأخير بسرعة وهو يغمز بعينه لي...

_تعالي لأريك هديتي...هيا بنا...اذهبي قبلي...

خرجت من المطبخ ولم أعرف أين أتوجه لمّا تســلل رالف خلفي وناداني أن أدخل غرفة قريبة جانبية...

شعرت بالتردد وقلت له..

_دع باب الغرفة مفتوحا...

_طبعا ...عزيزتي...

قال بمكر...

دلفت الغرفة وانا التفت نحوه ...فوجئت به يغلقها خلفنا...

_ماهي الهدية إذا...

_هي انا وانت...

قالها وهو يحيطني بسرعة بذراعيه القويتين ويحتضنني ..شعرت أنني اذوب بين يديه ولم أعرف كيف ابتعد عنه...أنفاسه..عطره ...نظراته...

ضــمني بقوة إليه وقبّلني قبلة طويلة ذبت لها ولم اعرف ما جرى لي ...فتح ربطة شعري وأخذ يقبل خصلاته ...كنت أذوب بين ذراعيه ولم أكن اعارضه وهو يردد كم يحبني وكم هو ســعيد بوجودي معه...لكنه فجأة أخذني نحو

سريره فبدأت اوصالي ترتجف وفتح ازرار قميصه بسرعة وهو يقبّلني من كل جهة في وجهي وشفتيّ وعنقي وقد فتح أزرار قميصي العلوية وحاول تقبيل جسدي وهو يتمتم بكلمات الحب والعشق لي...شعرت فجأة أنني اختنق..فزعت ولم اسمح له بتقبيل جسدي أبدا...لم استطع فقد شعرت أنّ نارا تستعر في اعلى صدري حيث حاول وضع شفتيه...فدفعته بكل ما أوتيت من قوة...شعرت أنني حقيرة جدا جدا..أين مبادئك.. أين ديني...أين الله الذي ينظر إلي..حاول دفعي إلى سريره مرة أخرى بذراعيه بقوة وأخذ يتحدث مكشرا عن أسنانه بغضب...بينما كان يلهث ونفسه يتصاعد وعيناه تكادان تخرجان شررا..

_ماذا دهاك؟؟ يا نرجس....كنت وديعة قبل قليل!!! لماذا تبعدينني...

_ابتعد..وإلا فسأقتلك واقتل نفسي...ابتعد يا رالف...لا ..لن ارتكب الفاحشة ولن ارضخ للمعصية ...كلا...أنا أخاف الله...ابتعد عني...رالف

غرزت اظافري في صدره فصرخ ألما...نظر إليّ بغضب واحمرت عيناه..

_هل جننت؟؟ نرجس ..لا توجد فتاة ترفضني...أنت مجنونة حقا...

دفعني بقوة فوق فراشه مرة أخرى فناضلت وعضضت يده بأسناني...

_كلا..توجد..واسمها نرجس...أنا التي لن تمسها في الحرام إلا في أحلامك أيها الحيوان..ابتعد عني..أنا لست رخيصة...ابتعد عني...

_رغما عنك سترضخين لي...سترضخين...أنت ملكي اصلا...وستكونين

حاول تقبيلي عنوة وضمي بقوة أكبر لكنّ صوت فادي وهو ينادي عليّ قد انقذني من براثنه....فتح باب الغرفة ووجده كما وجده ...وانا تحت جذعه....ابعد فادي وجهه بسرعة وصاح برالف أن يبتعد بسرعة....شعر رالف بالأحراج الشديد ونهض عني وشكرت الله أنّ ماري لم تراني...كان وجه فادي مضرجا بالدم ...نظر إليّ بحزن ورفع ربطة شعري يناولني اياها...خرج رالف من الغرفة ولم يتكلم فادي معه حتى خرجنا جميعا بصمت...وطوال الطريق كنت أحاول أن أغالب دموعا كانت تلح عليّ أن تنزل واردت أن اموت في تلك

اللحظات.. كانت صـرخته لمّا غرزت اظافري في صـدره منقذا لي فقد سـمع فـادي صـــوتـه مؤكـدا...مـا آلمني كثيرا هو حبي لـه...مجرد حيوان ..ظننتـه مختلفا...بقيت مصـدومة ...كانت لحظات رومانسـية في البداية..لكنها تحولت إلى مشـهد جنسـي رخيص..كنت خجلة من أخي ووددت لو انشـقت الأرض لتبتلعني...لم أعرف ما افعل..لم نتكلم أبدا انا وفادي وكان متجهما جدا لمّا دخلنا منزله...صـعدت السـلّم بسـرعة وانا اسـمع ماري تصـيح بفادي أن يُفهمها ماحصل فصاح بها أن تسكت ولاتتكلم في ذلك الأمر بينما صعدت بأسرع ما يمكنني كي ارتمي فوق سـريري وابكي قدر مااشـاء حتى اختنقت من شـدة البكاء...كم انـا حمقاء سـاذجة....بقيت أردد ذلك على نفسـي لما رنّ جرس هاتفي فرفعت السماعة وأنا في حالة أعياء من شدة وكثرة ذلك البكاء...سمعت صـــوته..حقا هو وقح..أردت إغلاق الســماعة لكنه صـــاح بســرعة أن لا أفعل...كنت مجهدة للغاية وأريد تفسيرا...

_نرجس...أعلم أنني تجاوزت كل الحدود معك.. لكنك كنت جميلة جدا وجذابة للغاية ..لم احتمل ..أنا بشر..أنا أحبك أحبك أحبك جدا جدا...لا تقفلي أرجوك ولا تبعديني عن حياتك ..اتوسـل إليك انتظري ولاتقفلي السـماعة يا نرجس...أعلم أنني تصرفت بغباء معك ..لكنك تكنين لي المشاعر كما أفعل ولقد شعرت بذلك وأنـا اضـــمـك بـيـن ذراعـي وانـا اقـبّـلـك...كـنـت تـريـديـنـنـي كـمـا أردتك...لاتنكري ...نرجس..انتظري..نرجس...نر.....

اغلقت الســماعة وانـا اكفكف دموعي بـأنـاملي وانشـــج بصـــوت متهدّج متعب..سقطت على الأرض وانا انخرط في نشيج طويل ....

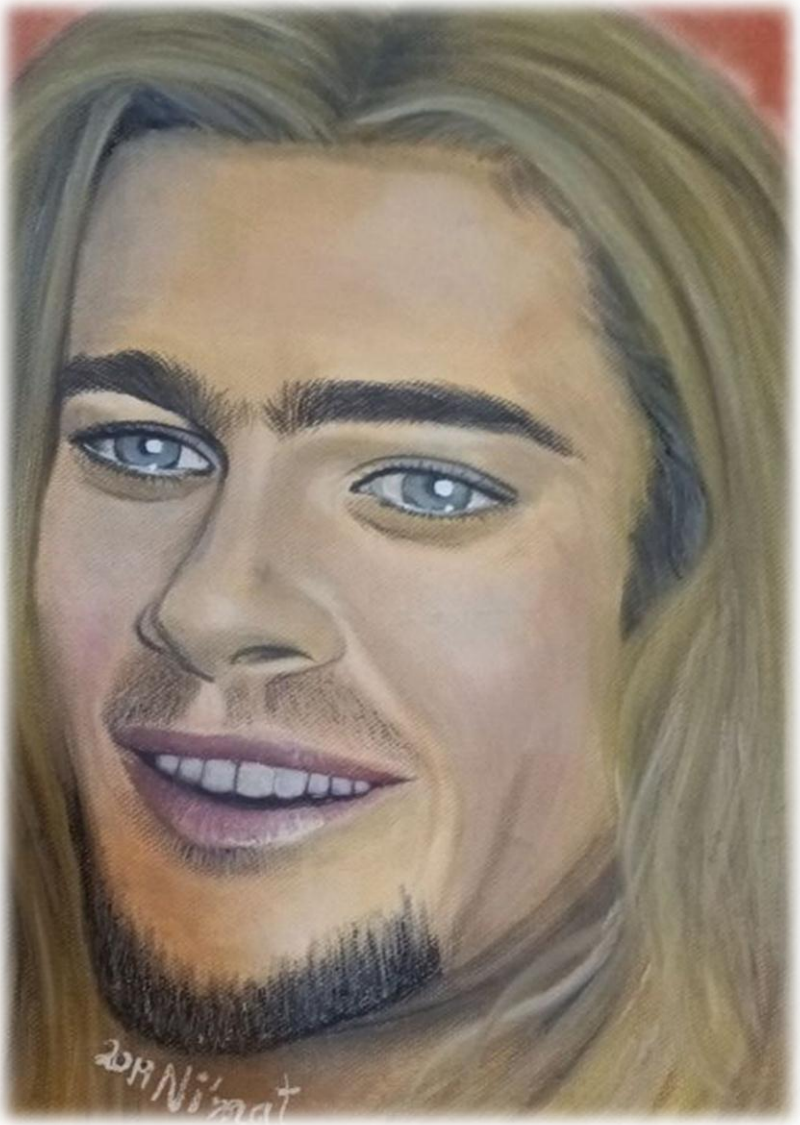
BR Nizar

الفصل الرابع عشر

نعم ...قررت العودة الى نورس..اتصلت بها دون علم فادي وقلت لها أن تأتي لتقلني إلى منزلها...رتبت ثيابي واغراضي في حقيبتي وقبل أن يعود فادي من مرسمه أو ماري من عملها ...تركت رسالة لفادي اودّعه فيها واشكر حسن ضيافته...أقول قبل أن يعود احد إلى المنزل

_لأنني وقتها كنت مع نورس في سيارة روكس ننطلق نحو فرجينيا مرة أخرى ولكنْ بالسيارة هذه المرة والوقت كان طويلا ما بين الولايتين..استغرقنا ما يقارب الثلاث ساعات حتى وصلنا المنزل وخلال تلك الفترة كنت اتأمّل الطبيعة ولم نتحدث انا ونورس عن اي شئ رغم محاولاتها المستمرة أن تفتح موضوعا مشتركا معي ، فلم تفلح...حاولتْ الكلام عن مطعمها وماحصل خلال غيابي عنها....لكنها فشلت في استخراج الكلام مني...واخيرا استسلمتْ لأنني كنت في مزاج سيء جدا ولا استطيع الكلام...كنت اتخيله كل حين وكل لحظه واتخيل قبْلته واتذكر حضنه ولمسات يديه...كنت أحبه حقا لكنني لم أستطع أن ابيع نفسي برخص بين ذراعيه...لم أستطع معصية ربي...لم أستطع أن أكون مجرد رقم بين فتياته...لم أستطع أبدا إلا أن أكون نرجس التي عرفتها طوال عمري والتي تغيرت منذ عرفت رالف وضعفت كثيرا في دينها والتزامها بسبب حبه...لمت نفسي كثيرا...وأخذت أقرع نفسي بشكل مضاعف...كرهتها! كيف كان لي أن أذهب إلى غرفته؟؟؟ ولماذا وضعت كحلا على عينيّ..... كيف سمحت لنفسي أن اتمادى في الغواية وان اتبع خطوات الشيطان؟؟؟

غالبتني الدموع..أردت البكاء طوال الطريق لكنني لم أستطع أن أخرج ضعفي أمام نورس أبدا أبدا...

لما عدت إلى منزله..منزل رالف وتوأمه الذي بنياه سوية..كنت في شبه غيبوبة عن الجميع...كنت أقضي اغلب الوقت في غرفتي نائمة...لم أعرف ما دهاني...وقليلا ما كنت اجتمع مع نورس وروكس وفي وقت متأخر أحيانا

عندما ينهيان عملهما في المطعم...فكنت حينها اقضي اغلب الوقت صامتة واجمة بينما أشاهد نورس تحتضن زوجها وتمارس الغنج أمامي معه وكأنها تتعمد ذلك رغم ان روكس كان يحاول صدها ولو بشكل غير مباشر كي لا يحرجني كما كنت أشعر من نظراته التي تشبه نظرات رالف كثيرا جدا_كان روكس يخجل مني أكثر منها في الواقع_تلك النظرات التي احببتها وكرهتها في تلك الفترة كرهي لنفسي...لم أكن أصدق وانا افكر في رالف أنه قد حاول ممارسة الرذيلة معي...لم أصدق أنني سمحت لنفسي أن أكون بين ذراعيه في الحرام...لم أستطع أن أصدق...أبدا...انني قد شوهدت وانا فوق سريره من قبل اخي الاكبر فادي...وما أذهلني حقا ان فادي لم يتصل أبدا ولم يسأل عني...بل انه لم يفعل شيئا لرالف ولم اسمع انه قد تشاجر معه مثلا او ضربه على سبيل المثال.... كنت في حالة نفسية سيئة جدا...لم أعرف ما أفعل أبدا تجاهها!

سألت نورس يوما ما بينما كنا نشاهد فلما على التلفاز سوية وروكس يتناول البطاطس المقلية ويضع قدميه على الطاولة أمامه بينما كانت نورس قربه تضع رأسها على صدره وهي تأكل من نفس صحنه الذي وضعه فوق حجره وساقاه متقاطعتان فوق بعضهما ...رباه....كم يشبه توأمه!!! كل نظراته...كل شئ فيه....يذكرني برالف وانا اريد عدم التفكير فيه و نسيانه...ولكن كيف لي أن انساه...كنت أبكي كل ليلة قبل نومي وانام على وسادة مليئة بالدموع...وسادته وسريره....نعم فهي غرفته التي عاش فيها عند أخيه كما قال لي..لكن...أين يمكن أن أذهب في ولاية فرجينيا وفي بلاد الغربة ...أين اذهب لوحدي؟؟ إن كان رالف....الاستاذ الجامعي والفنان المثقف قد طمع فيّ...هل سأكون في مأمن من رجال اجانب لا اعرفهم ان حاولت السكن بمفردي؟؟؟ من سيحميني عندها؟؟؟ كلهم حيوانات!! اولئك الرجال!! كنت اهتف بألم!

المهم أنني سألت نورس في تلك الأمسية...كانت تضحك وهي تأكل البطاطس مع الفشار_الذي وضعته في حجرها_وروكس منسجم مع أحداث الفلم ...لمّا قطعت عليهما ذلك بقولي فجأة...

_ألم يتصل بك فادي ليسأل عني يا نورس؟؟

هتفت بيأس وبصوت متقطع حزين...رفعت نورس رأسها من فوق صدر روكس وكان كتوأمه يحب ارتداء القمصان والكنزات المفتوحة الصدر (وكأنهما يستعرضان رجولتهما بذلك)...كنت اغض بصري عن حركات نورس الاستعراضية مع روكس أمامي وتقبيلها له دوما وهي تناديه بحبيبي ولم أكن أرى أن روكس يبادلها نفس الشئ فكنت اعيب ذلك الأمر في سري عليها وأرى أنها ترمي نفسها بشكل مبالغ فيه على روكس....على العكس مني...وانا التي كنت أهرب دوما من رالف وهو يلاحقني!!! يا لسخرية القدر حقا!!!

_عفوا يا نرجس؟؟ لم اسمع جيدا..تقصدين أخانا الأكبر؟ يسأل عنك؟ ؟ كلا ...لم يتصل فادي فهو يعلم انك عندي وبخير!!! هل تحتاجين شيئا؟؟ لم لا تتصلين به اذا؟؟؟ هل حدث شئ بينكما .....قولي فروكس ليس غريبا...

قالت وهي تضحك بسخرية وتضرب على كتف روكس بيدها بينما روكس غير مبال بها...رفع رأسه باتجاهي فتدلت خصلات شعره الاشقر الناعم الطويل عكس شعر رالف الذي كان قصيرا دوما ومصففا بشكل مبالغ فيه فرالف شديد الاعتناء بأناقته....المهم انه قد رفع رأسه باتجاهي وأبعد نورس عن صدره وأنارت اضاءة التلفاز وجهه الذي كان مختفيا في ظلمة الأريكة العريضة التي كانت وحيدة الصالة بينما جلست انا على كرسي منفرد قرب المنضدة والنافذة المطلة على حديقة رالف الصغيرة حيث زرع زهور النرجس التي قطف لي منها اول هجرتي إلى أميركا ومجيئي إلى منزل أخيه المشترك...

_لكن رالف يتصل بشكل يومي عليّ يا نرجس ان أحببت أن تعرفي ...

خفق قلبي بذعر...(ماذا يقصد بكلامه ذاك عن رالف؟؟ ولماذا ذكره الآن)

تابع روكس بعد أن وجدني صامتة وقال بصوت رقيق حنون كصوت رالف تماما..فخفق قلبي المجنون بذعر وحرت جوابا بينما سمعته يقول:

_كل يوم يتصل لأجلك يا نرجس...هو بالذات يسأل عنك..لا أعرف ماحصل بالضبط بينكما..لكنني لم أر توأمي على ذلك الحال من قبل ابدا...صدقيني ..أنا لست مضطرا للتملق لك أو أن أفعل ذلك لأختك لأقول هذا الكلام....

_روكس ...هل تعني أنني لا استحق يا حبيبي الغالي ؟؟ قل لي ياعزيزي؟

قالت نورس بغنج ودلال مصطنعين فبان على وجه روكس الضيق وتابع:

_نرجس ... لست أدري ماحصل معك هناك في واشنطن ..حاولت أن افهم من رالف...نحن كما قلت لك من قبل لا أسرار بيننا ...نحن نعرف كل شئ عن بعضنا واعني بكل شئ ...كل شئ...(وشدد على كلمته تلك بشكل خاص)...لكنه لم يرتضي أن يقص عليّ ما حدث بينكما...هو يسأل عنك كل يوم ويقول لي أن اعتني بك بشكل مبالغ فيه بل يشدد على ذلك بشكل خاص..نرجس ..أرجوك...فقط كوني بخير ..أنا مستعد لأخذك إلى مدينة الملاهي أو المنتزهات مع اختك لو أحببت...فقط لتتغير نفسيتك قليلا فأنت تقضين كل الوقت في غرفتك نائمة أو جالسة دون عمل شئ...ولولا مناشدة نورس لك أن تكوني معنا في الامسيات التي لا تحضرين اغلبها لما كنا لنشعر بوجودك اصلا هنا...تأكلين قليلا جدا وستتحولين إلى هيكل عظمي عن قريب...ماذا جرى بينكما بالله عليك ؟؟

_حقا؟؟؟ أنت لم تقل لي ذلك يا رجل؟ ؟ هل تكتم الأسرار عني؟؟؟روكس!

_عن اذنك ياروكس ..شكرا لك...

قلت باقتضاب ونهضت حزينة وأنا اشعر بألم يعتصر صدري..رميت نفسي فوق سريري أو بالأحرى سريره هو_وكنت دوما اتخيله وهو مستلق عليه_وبقيت افكر في تلك اللحظات التي جمعتنا...لم افهم مشاعري المتضاربة....بكيت كثيرا..كنت اتذكر ما جرى بيني وبينه كل ليلة فأغرق

الوســـادة بـالدموع وأنـام وانـا ابكي وابكي وابكي...كنـت حزينـة جدا ومكتئبة للغاية...أردت أن ينتشلني أحد من ضياع روحي وخوائها...

(يسأل عني..رباه) فكرت بدهشة وألم ...تذكرت كلمات روكس التي قالها.

فجأة رن جرس الهاتف في غرفتي...شـعرت بالدهشـة الشـديدة لكنني مددت يدي إلى الهاتف الموضوع على منضدة صغيرة قرب سريري لأرفع السماعة وانا اكفكف دموعي الحزينة...كنت أبكي بصوت مسموع

_مرحبا...من يتكلم...

كنـت انشـــج وانـا اكفكف دمعي...لم أجد جوابـا وبقي الخط مفتوحـا..كررت كلماتي...لم اجد ردا...اعدت السـؤال فلم اسـمع سـوى زفرة حزينة ...شـعرت بأنفاسـه...عرفت انه هو...لا أعرف كيف ....لكنني شـعرت به فأغلقت الهاتف بسرعة وأنا ارتجف وقلبي يخفق بشدة ذعرا...لم أكن آكل فعلا إلا يسيرا ...فقط مـا يبقيني على قيد الحياة ...لم أكن اريـد حقـا الحياة بعيدا عنه ولعلني برؤيتي لتوأمه كنت أعوض عن حزني لعدم رؤيته وسماعي لصوته...أحببته وكرهته في آن معا...كيف لي أن أتجاوز حدود ربي...كيف ســـمحت لنفســـي أن أقف واتحدث معه في غرفته...ماذا كنت اتوقع؟؟ أنا الملامة..ثم أنني سمحت لنفسي أن يحتضـــنني وكنـت ســـعيدة بذلك...(اعترفي يا نرجس بذلك ...حتى عندما قبّلك....نعم...كنت سعيدة جدا...بل تركت نفسك للشيطان...نسيت أباك..نسيت ما ربّيت نفسـك عليه...نسـيت ربك...أنت لا تسـتحقين الحياة.. أنت انسـانة حمقاء ...ماذا لو أن فادي لم يقدم إليك في تلك اللحظات...هل تعرفين ماذا كنت لتصبحي اذذاك...مجرد فتاة رخيصـة من فتياته...مجرد رقم سيضـيفه لموكبه الملكي المليء بـالنســـاء اللاتي حطم قلوبهن...لا أقول لـك انهن عـذارى مثلك..لا...فنساء بلاده لسن مثلك في شئ ...لكنه لن يهتم بك بعد أن ينال مراده الحيواني...والأنكى من ذلك أنـه كـان ســيفعل فعلتـه تلك حتى دون ارادتك يا حمقاء ...كم انت حمقاء ...حمقاء ...غبية)

_رباه...أين أنت ياماه..ساعديني...امي ..ابي...نرمين...سامحوني...كم اشتقت لغرفتي الحبيبة..كم اشتقت لترابٍ كنت امشي فوقه حتى مدرستي ثم كنت اغذ الخطى فوقه لأذهب إلى جامعتي ...كم اشتقت للجدران في كل ركن من اركان منزلي ...اشتقت لساعة الفطور معا انا وامي ونرمين قبل زواجها وأبي...رباه...امي وابي ...هما الأمان الذي افتقدته هنا...أنا اضيع هنا...أنا أذوي واذبل...رباه ....ساعدني...لست أدري ماذا أفعل.. اقبل الخريف على الأبواب ويجب أن استلم التعيين الذي حصل لي رالف عليه وإلا فإنه سيضيع مني...رحماك يارب....ماذا أفعل...ساعدني...

كنت أقضي اغلب الوقت في غرفتي نائمة أو جالسة دون عمل اي شئ... فقط كنت أنظر عبر النافذة إلى البيوت المقابلة وأرى حديقة الزهور الجميلة من الأعلى وأتنهد بحزن...في احد الايام سمعت صوت صياح من الطابق السفلي وكان صوتا نسائيا ممزوجا بصوت رجالي صارم ...نزلت بسرعة وقلبي يخفق بشدة...رأيت روكس ممددا على الاريكة الوحيدة في الصالة الصغيرة ونورس ترتدي قفازها وهي تقول له بصوت حازم...

_كفاك دلالا يا روكس...أنت لست بمريض بل أنت تتمارض...يجب أن أذهب للعمل فمن سيقوم بإدارة المطعم؟؟ سنخسر زبائننا ان لم نخدمهم!

_نورس..أنا مريض...ثم إن المطعم يمكنه أن ينتظر اما صحتي فلا...الا تذكرين كيف كنت ارعاك لمّا مرضت في العام الماضي ؟

_ذلك قبل أن نفتتح مطعمنا ...مصدر رزقنا...

_إنه مطعمي وقد أنشأته بنقودي...

قال روكس بغضب وهو يجود بنفسه ويحاول التقلب على الاريكة بصعوبة...بينما ارتدت نورس معطف الخروج من فوق الخطاف المعلق خلف الباب وهي تنظر إلينا بسخرية وتهز كتفيها بلا مبالاة..

_نرجس معك وهي ستعنى بك..لا تقلق فهي حنونة جدا...مثال المثالية دوما...وليست فيها غلطة واحدة....لكنني اعتب عليك ياحبيبي ...تقول

مطعمك...وانشـأته من نقودك..إذا أين تعب نورس معك؟؟ رد علي يا حبي! كم أحب تقاسيم وجهك الجميلة هذه يا حبيبي!!! تبدو كلعبة جميلة!

قـالت ذلك وهي تمرر يديهـا فوق وجه روكس الذي كان متجهما وينظر إليها باشمئزاز...شعرت بالشفقة عليها وشعرت بالحزن لأجل روكس...

خرجت وصـفقت الباب خلفها...التفتّ نحو روكس الذي وجدته يجود بنفسـه ويحاول النهوض على قدميه لكن المرض كان شـديدا عليه...ما أن وقف حتى وجدته يسـقط على الأرض فجأة فهرعت إليه لأسـاعده على النهوض...كان ثقيلا للغاية لكنه حاول أن يسـاعدني برفع نفسـه بينما وضـعت ذراعي حول رقبته وأسندته إليّ واخذنا نسير سوية حتى غرفته حيث ساعدته على النوم على سريره...وضعت الوسائد خلف رأسه وقلت له وأنا احاول مساعدته على الجلوس في سريره ...

_حسن...قل لي ماذا تود أن أعد لك على الفطور؟؟

_حسـن... لااريد شـيئا يانرجس أبدا أبدا...كفاك ما بذلته من جهد معي قبل قليل...لقد اتعبتك كثيرا بثقلي ...انني محموم ولااقوى على السـير وجسـدي يؤلمني كثيرا...لقد اصابتني نوبة برد شديدة ...ودوما ماتصيب عظامي ...لكنها نوبة قوية هذه المرة كما أرى...

_سـلامتك ياروكس ...سـتكون بخير قريبا ان شـاء الله...سـأعد لك الفطور...الشاي الساخن سيريحك كثيرا مع بعض الدواء..سأجلبه لك من اقرب صيدلية....فقط اريد ان ترتاح ولا تفعل شيئا حتى تتماثل للشفاء...

قلت ذلك والتفت ذاهبة نحو المطبخ لأعد لروكس الفطور...وضـعت خبزا وبيضـا وشـايا وجبنة وبعضـا من البسكويت ...ذهبت بكل ذلك في صينية إلى فراشه...نظر إلي بدهشة...

_هل تريدينني ان آكل كل هذا؟؟؟ لا..لا أستطيع يانرجس...

_سوف اتناول فطوري معك..مارأيك...

_حسن..إن كان الأمر كذلك...

وجلست قبالته وصببت الشاي لي وله...تناولنا الطعام ونحن واجمان كلانا و صامتان...قال بعد لقمتين...

_شبعت...لا استطيع أكل المزيد...

_كلا كلا..لقد تصارع البسكويت مع الشاي..أنظر كيف يصرخ وهو يذوب في مياهه الساخنة ويقول من سينقذني؟؟؟

قلت ذلك وانا احمل البسكويت بالملعقة حتى شفتي روكس الذي نظر إلي بخجل مذهولا...فتح فمه بعد برهة بينما كنت انتظر ناظرة إليه كي يأكل ..وابتسامة فرح مرتسمة على وجهي وانا أنظر إليه بحنو ...

_اه ..الآن سأحكي لك قصة هذه الفتاة التي بكت لأنك أخذت اختها واكلتها فقررت الثأر لها ..أنظر إليها كيف تبكي...

قلت ذلك وانا اضع بعض القشطة البيضاء فوق البسكويت الأسمر وارسم عينين وفما وانفا ثم أرسم بالملعقة دموعا تسيل ...ضحك روكس وهو يراني ادفع البسكويت نحو فمه مخرجة صوتا كصوت الأطفال..

_هجووووم...الثأر لأختي..هيا...

فتح روكس فمه وهو يضحك فضحكت معه وكنت استمتع بوقتي ذاك لأخرج من روتين يومي الممل من النهوض والنوم فقط في غرفتي وتأمل البيوت والحديقة والحزن على ما جرى لي...كنت أريد الخروج من اكتآبي وحزني.... حقا أردت ذلك....

_ماذا ماذا الآن...إنهم اجتمعوا لأجل الثأر من القاتل المجرم الجبان السفاح...رباه..هيا هيا...هجوم...لقد قام الاب بطلاء نفسه لأجل الحرب ..إنها الحرب..أنظر كيف التصق مع ولده كي يقوم بهجوم مزدوج. .هيا ...هيا ..يجب أن نثأر الآن من قاتل ابنتنا واختنا..هجووووم.....

قلت ذلك وانا اضع القشطة البيضاء فوق قطعة بسكويت أخرى والصقها بأخرى لأدفعها إلى فم روكس الذي اخذ يأكل وهو يكتم ضحكات صادقة من الأعماق...

_قالت الأم..اطلوني أيضا كي لا يعرفني العدو...وهيا إلى ساحة الحرب...
ودفعتُ البسكويت إلى فم روكس مرة أخرى...رفعت قدح شايه نحو شفتيه...وانا اقول بصوت ساخر ممثلة صوت رجل قدر الإمكان..
_يجب أن نحرق ساحة الأعداء بسائل حار ...هيا بنا ...إلى الحرب نذهب...هجووووم ...هياااااا.. هوووووووو....
ضحكنا سوية حتى كاد روكس أن يبصق الشاي من فمه...ضحكنا وضحكنا..حتى نزلت الدموع من عينينا...نظر روكس إليّ بامتنان وانا انهض لأقول له أنني ذاهبة لجلب الدواء له من الصيدلية ....
_كلا يانرجس...هنالك دواء في درج خزانة علبة الإسعاف الأولية قرب مخزن الأمتعة تحت السلم...لو امكنك جلبه لي فسأكون ممتنا للغاية....
_امرك ياروكس ..أنا بخدمتك...
نظر إلي بخجل مذهولا وحارت نظراته إذ تسمرت فجأة على المجهول وهما تبرقان بشكل خاص بريقا عجيبا مرعبا نوعا ما...
جلبت له الدواء...وناولته قدح الماء...بينما كنت احمل بقايا الطعام من فوق سريره حيث وضعت صينية الطعام فوق حجره فوق مسند خاص للطعام..نظر إلي ممتنا وقال فجأة...
_نرجس...أنت انسانة راقية جدا...أنت رائعة..أنت لست كما صورتك اختك لنا انا ورالف ..أنت..أنت ملاك ربما هبط من السماء...لست أدري ما كنت لأفعل لولاك...
_كف عن هذا الكلام ياروكس...أنا متأكدة انك كنت لتفعل هذا لي وأكثر من ذلك لو عكست المسألة..ثم ألم تقل قبل ذاك في الصباح انك اعتنيت بأختي لما كانت مريضة !!! إذا...أنت انسان راق وطيب وفي قمة الإنسانية...فلماذا تمدحني ولا تمدح نفسك!!! سأذهب الآن إلى المطبخ لأعد لك الغداء وان احتجت شيئا فأرجوك أن تضغط هذا الجرس...

قلت ذلك ووضعت قربه جرسا صغيرا وجدته فوق الموقد مع التحف و(الانتيكات) الموضوعة على رفه مع بقية الصور التي تضم رالف وتوأمه في بعضها وبعضها الآخر يضم التوأم مع والدتهما أو مع والدهما أو معهما سويا....بقيت عيناي معلقتين لفترة طويلة قبل ان اذهب للمطبخ بتلك الصور التي تبرز التوأم سوية منذ الطفولة حتى سنوات الدراسة ثم الجامعة...لم تكن لروكس صور جامعية عكس رالف الذي كانت له صور كثيرة في زي التخرج أو مع الأساتذة....المهم أنني لم أجد صورة لنورس مع روكس واستغربت الأمر فعلا...كنت على وشك سؤاله عن ذلك عندما رن الجرس الذي وضعته عنده...ولما دلفت وجدته قد سقط على الأرض وهو يتعرق بشدة...هرعت إليه...

_رباه...رالف!!! رالف هل انت بخير؟؟؟

نظر إلي ممتنا وابتسم...

_ساعديني لو سمحت يانرجس...لقد أردت الذهاب لدورة المياه فلم أستطع.. لم اشأ ازعاجك...وفعلا انا اسف لأنني لست رالف!!! تمنيت لو أنني أستطيع التحول إليه لأجلك ...صدقيني...

_ماذا...هل انا ناديتك برالف؟؟؟

نظر إلي نظرة خاصة فأطرقت خجلا...

_هيا ..سأسندك بذراعي وحاول أن تنهض معي...

_شكرا لك...أنا ممتن للغاية ...

ذهبت به إلى دورة المياه وانتظرته عند الباب حتى انتهى ولما فتح الباب شعر بالخجل مني وانا اسنده مرة أخرى لأذهب به إلى سريره...

جلست قربه وقلت له...

_هل تود أن اقرأ لك شيئا للتسلية...

_نرجس..أنا أُتعبك كثيرا...حقا ..

_كلا لا تقل ذلك....هيا ماذا تريدني أن اقرأ لك....

_لا تتعبي نفسك ..سأحاول أن أنام قليلا...كوني قريبة مني لأني متعب جدا يانرجس ...وسامحيني لأني اتعبك معي...

_لا تقل ذلك يا روكس....

رفعت الغطاء لأدثره جيدا فنظر إليّ بامتنان...لما أردت الذهاب ناداني فالتفت...قال لي بصوت عميق رخيم متهدج..

_نرجس...ان رالف يحبك....صدقيني...

_روكس!!! لا أريد الكلام عن هذا الأمر رجاءا؟؟؟

_نعم..اعرف ذلك..صدقيني انا لم اتكلم أمام نورس لأجلك لكن رالف ...لا توجد بيني وبين رالف أسرار هل تفهمين..أنا أعرف كل شئ ..كل ما جرى بينكما...نرجس ...صدقيني..هو نادم جدا ولم يتقصد اي أذى!!!

وأسقط ما في يدي وزفرت بحزن وألم وبقيت مطرقة برأسي إلى الأرض لدقائق طويلة جدا بالنسبة لي وانا امسك مقبض الباب حتى قررت أن التفت إلى روكس وانظر إلى عينيه واقول له بحزن...

_لا يهم فعلا ...فقد جردني من احترامي لنفسي ...من مبادئي وقيمي...لم أعد تلك النرجس التي كنتها..لقد جرحني بشدة ...مافعله كان طعنة عميقة...لن أسامح نفسي أبدا...

قلت ذلك واستدرت لأذهب بعيدا عن غرفته....وانا اغالب دموعي...

بقيت ارعاه واجلب له الطعام بينما لم ترجع نورس حتى ساعة متأخرة من الليل...سمعت صوت عراك بينهما وشجار حاد ثم صوت الباب يصفق وتخرج نورس إلى سيارة كانت تنتظرها في خارج المنزل...كان فيها عدة شباب ..بقيت مندهشة وانا أنظر عبر نافذة غرفتي إلى ما رأيت...لم اعرف ما افعل...لكنني شعرت بذعر وحرت في أمري...

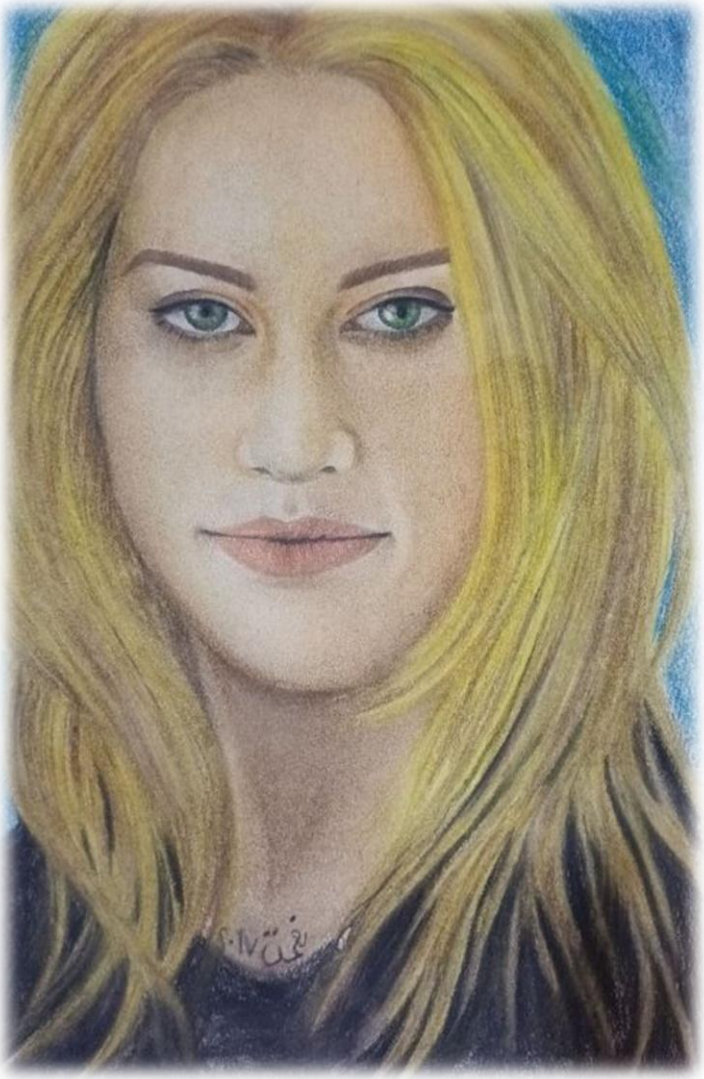

كنت جالسة في غرفتي أكتب رسالة لأمي وأبي ونرمين ودموعي تنهمر مدرارا...شعرت أنني قد فشلت فشلا ذريعا في رحلتي تلك إلى حلمي المنشود...شعرت أنني قد سقطت كفراشة ليلية حامت حول ضياء ساطع مبهر ..نعم كان رالف هو الضوء المبهر ..وكنت انا فراشة الليل الحمقاء...كتبت رسالة طويلة عبرت فيها عن اشتياقي لهم جميعا...

ابي وأمي ونرمين الأعزاء..

انا بخير والحمد لله...لقد صدر قرار تعييني في جامعة واشنطن ولسوف أباشر بالدوام اول الفصل الدراسي القادم...وبعدها سأسعى لنيل الدكتوراة إن شاء الله...لا تقلقوا عليّ فأنا سعيدة جدا واقضي أياما رائعة وفائقة الجمال...أحقق طموحاتي واحدة تلو الأخرى..صدقوني لم أكن أكثر سعادة مما انا عليه الآن...الطبيعة هنا والجمال كله ولا ينقصني سواكم حقا...اشتاق لأحضان والدتي وكلماتك ياوالدي الغالي وانا جد مشتاقة لك يانرمين...مشتاقة للأولاد ولا ادري هل أنجبتِ ام لا تزالين...أخباركم قد انقطعت عني ولم تكتبوا لي منذ فترة طويلة...أرجوك يانرمين اكتبي لي بدلا عن والديّ فهما ربما لا يطيقان الكتابة....اشتقت لأخباركم حقا...لقد مر وقت طويل منذ كتبت لكم اول مكوثي هنا ولم استلم منكم أية رسالة قط...أنا في غاية السعادة وكل شئ حولي جميل وكل ما أريده يتحقق...فقط اريد ان اسمع اخباركم واعرف عنكم كل تفصيل...

وبقيت اكتب واكتب كذبا في كذب عن سعادتي المزعومة ودموعي لا تنضب....تعبت من البكاء ووجدت نفسي فجأة قد نمت فوق منضدة الكتابة...لكن ماذا حدث فجأة...لقد وجدت رالف يقف خلفي فجأة وشخص ما يقف خلفه....نهضت واقفة وصرت قبالته..نظرت إليه بدهشة...

_ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟؟؟ ماذا هناك يا رالف؟؟

نظرت إليه فوجدت شيئا غريبا..كانت هنالك حركة غريبة خلفه...كان قريبا مني جدا ولكنّني لحظت أن شعر صدره كان أشقر أو انني لم أر جيدا في

العتمة؟؟ أو أنني كنت أحلم؟؟ فجأة وجدت رالف يضـــع يده الطويلة على فمي لأوقف صرخة مكتومة قبل أن يذبحه ذلك الرجل من خلفه فيسقط رأسه على الأرض ويتدحرج أسفل سريري..شهقت بذعر وأخذت ارتجف وقلبي يخفق بشدة وصرخت أخيرا لمّا خرج ذلك الرجل بينما لم يبق من رالف سوى رأسه واختفت جثته بشـكل غامض وكانت الدماء تنتثر على الأرض كما رأيت رغم الظلام...فوقفت مصدومة لا ألوي على شئ وصرخت وصرخت حتى سقطت على الأرض مغشيا عليّ...كان ذلك فوق طاقتي!

لمّا نهضت وجدت نفسي فوق سريري وروكس بجواري ينظر إليّ بقلق..

_ماذا جرى؟؟؟ يا ربي...رالف...رالف...لقد ذبحوه..أنا رأيت ذلك أمامي!

_اهدئي عزيزتي نرجس...أرجوك لاترتجفي هكذا...أنا أتألم لرؤيتك هكذا!

هتف روكس بصوت متهدّج متعب...كان لايزال مريضا لكنه كان أفضل من قبل وقادرا على مغادرة سريره...أو أنّ ذلك ما خيّل لي...

_كفى ياختاه...أنت تتخيلين...كما وأنك لاتعلمين ماذا يحصـــل كل ليلة...فأنت تهذين في حلمك وتصـــرخين...نعم....وانا وروكس نأتي إليك فنراك في حالة مزرية...كلا إن حالتك تتفاقم ويجب أن أذهب بك إلى طبيب نفسـي....نعم...غدا سنذهب إلى مستشفى الأمراض العقلية...صدقيني..حالتك ليست جيدة أبدا..أنت ترتجفين...ماذا حصل لك؟؟ ان حالتك تزداد سوءا..قل شيئا يا روكس...

هيا يا روكس...دعها ترتاح وتنام...فغدا ســأترك العمل لأجلها لأخذها للمســتشــفى..نعم حالتها تحتاج رعاية من نوع خاص..لا يوجد اي دماء ولارؤوس مقطعة يانرجس!!! هذا كلام المرضى نفسيا فقط يا أختاه!!!

_كلا...لقد رأيت رأسه يقطع أمامي ويتدحرج...أسفل السرير....أنظر الى أسفل السـرير...أرجوك ياروكس...هنالك دماء في كل مكان....على الأرض!! انتما تريان ذلك...أنا لست مجنونة يا روكس ..قل لنورس ذلك!

مد روكس رأســه أســفل الســرير وأخرج دمية دب كبيرة وضــحكت نورس بســخرية بينما وضــع روكس الدب قربي وانا ارتجف ذعرا....مرر يده على

وجنتي....كان شعري منثورا ولم أكن ارتدي حجابي أمامه فأشحت بوجهي وبكيت ثانية لكنه نظر إليّ بحنو واقترب مني هامسا...وهتف بي

_اتصلي برالف ...لاتقلقي...نرجس....اسمعي مني...اتصلي بتوأمي...

قال كلماته تلك وهو ينظر بتوجس نحو نورس التي نظرت إلينا بريبة فهتف روكس بي مرة أخرى وهو يهمس بصوت متهدّج مُتعب...

_أريدك أن تأخذي هذه الحبة المهدئة..سوف تجعلك تنامين وتنسين ما حصل...(غمزني بسرعة بعينه اليسرى كما يفعل رالف تماما وهو يأخذ الحبة من يد نورس فيمد يده في جيب بنطاله بحركة سريعة ناظرا باتجاه نورس بحذر شديد وهو يناولني الدواء مع قدح من الماء أخذه من يد أختي التي كانت تنظر إلينا بتوجس وهي ترتدي قميصا أصفر ضيقا وبنطال جينز قصيرا جدا...هتفت بروكس بتعالٍ ونبرة حازمة...

_هيا ابتعد ودعها ترتاح وتنام ...عمت مساءا ياأختي الكبرى الحبيبة....

نظر روكس إليّ بسرعة وهمس بصوت رقيق حنون كصوت رالف....

_افعلي ما قلته لك...إنه خلاصك صدقيني..ستجدين الجواب...عند رالف..

نهض بسرعة وكأنه يخشى نورس وهي تنظر إلينا بسخرية وتهز كتفيها بلا مبالاة وتفتح الباب ليخرج روكس قبلها وكأنها تخاف عليه مني ...

عندما بقيت وحدي...أخذت ارتجف بشدة وبكيت ثانية...ناداني صوت من الأعماق أن انهضي واتصلي برالف مهما حصل...

نهضت فتعثرت وسقطت على الأرض وارتطم رأسي بحافة السرير فحاولت النهوض والدم يسيل من رأسي...أمسكت بالدم بيدي بينما دفعت نفسي بكل ما أوتيت من قوة كي انهض نحو منضدة السرير الملحقة به حيث الهاتف...فوجدت أنّ ثوب نومي الأبيض قد أصبح احمرا..ماهذا اللون...أخذت ارتجف...نظرت الى جرح رأسي في المرآة لما نهضت عنوة....فوجدت أنه جرح بسيط..لكن ماهذا ياالهي ...لمّا أشعلت الضوء وجدت ثوبي قد انقلب احمرا وكان ابيضا ناصعا!!!

_ما هذا يالهي؟؟

رفعت سماعة الهاتف وضغطت رقم رالف على ازرار الهاتف المربعة_الرقم الذي أحفظه عن ظهر قلب...

لحظات وسمعت صوته الرقيق الحنون ..

_من يتصل؟؟

لم أستطع أن أجيب..لكنني بكيت وبكيت فسمع صوت بكائي...هتف فجأة بصوت متهدّج متعب حزين...

_نرجس ؟ نرجسي الغالية..هل هذه انت؟؟ ما بك .. هل أنت بخير؟؟؟؟

_أنت لم تمت..أليس كذلك...لقد رأيته يقطع رأسك ..أنا أكاد أجزم..نورس تقول انّ علي الذهاب للمصحة .. انني شبه مجنونة كما تقول..أنا أرى دماءا في كل مكان...أرجوك..أنا مجنونة حقا ام ماذا..لكنني رأيته يقتلك وراسك يتدحرج أسفل سريري ...أرجوك...قل لي انك بخير...ارجو ان اموت انا بدلا عنك..أرجوك...هل انا احلم أم أن هذا صوتك حقا؟؟ قل لي!

وأخذت انتحب وسقطت على الارض بينما سمعته يقول وهو يتوسل إلي..

_نرجس(حبيبتي) انا بخير..أرجوك كفى ...فقط انتظري ..سآتي إليك الآن...أنت لست مجنونة ولن اتركك أبدا فلتذهب اختك الحمقاء إلى الجحيم...أرجوك انتظري...سآتي إليك...أرجوك حبيبتي تماسكي قليلا....

فجأة سمعت صوت نورس وهي تحدث روكس خلف الباب ...كانت السماعة لاتزال بيدي...تركتها دون أن أغلق الخط لشدة ارتباكي قرب الهاتف وهرعت إلى السرير خائفة مذعورة ولا ادري لماذا تظاهرت بأني نائمة....فُتحت الباب واقتربت نورس من سريري...سمعتها تكلم روكس بصوت حازم متهكم...

_لقد أشعلت الحمقاء الضوء...أنظر الآن..يجب أن أبدل لها ثيابها في الصباح قبل أن تنتبه هذه الحمقاء...ماذا جرى وكيف نهضت؟؟؟ اسمع ياروكس ..خطتنا يجب أن تتم بأكمل وجه ...هي غبية حمقاء...تظن أن رالف قد ذبح أمامها وهي لا تدري انك قد مثلت الدور على اتم وجه مع

أصدقائك...حسنا..يجب أن نرث نقودها....فدوما ما تحصل هي على كل شيء جميل ونورس تحصل على لا شئ..دوما لها الذكاء والدراسة والحظوة عند أبي وأمي.. كل الناس تحبها لأنها حمقاء ساذجة ...وكل هذا وترث عمتي كل ميراثها المقدر بمئات الملايين...فادي غضب كثيرا..لكنه لايستطيع القيام بما استطيع انا القيام به..لأنه جبان أحمق...اسمع يا روكس...اسمع...حضر لي ثوبا جديدا....سوف اقول لها انها يجب أن تبدل ثيابها قبل ان تنتبه في الصباح لأن الحبة المنومة التي اعطيتك اياها كافية كي تجعلها لاتعرف نفسها ..هههههه ..الحمقاء..تظنني احبها...رباه...كم امقتها هي ومبادؤها وتزمتها...لا تريد رالف...ومن تستطيع الوصول إلى مستواه ونيل نظرة منه؟؟ حمقاء...تظن أنه سيتزوجها؟؟ إنها خيالية دوما ...تعيش الأحلام!!

_كفى ياتورس...أنا لا أوافقك في هذا الكلام ...نرجس انسانة راقية ويجب أن تفتخري بهكذا اخت...ورالف يحبها حقا لو تعلمين!!!

_كفى كفى ...لا تصدق نفسك وأنت قد لعبت دور المريض كي ننفذ الخطة وتظن انك في فراشك....كفى ...إنها حمقاء حالمة لا تستحق ورث عمتي ليأتي إليها على طبق من ذهب ونحن نعاني الفقر انا وانت ونسعى للقمتنا بالعمل الكادح في المطعم ليل نهار...أين العدالة... سوف تذهب إلى المصحة وسوف نتخلص منها ونرثها انا وفادي...وسأعطيك نصيبك.....اتصلت به ليسهل لي الأمر...لكنه لم يعرف أبدا بخطتي..اووه ...كان حزينا عليها ..أنظر إليها كيف تنام كطفل صغير..هههههه....يا لها من حمقاء ساذجة....

_نورس ..لكنني فعلا كنت مريضا...حقا لقد مرضت وقد قلت ذلك لك ولم تبالي بي...واعتنت هي بي مكانك...لا تقولي لي أنني كنت امثّل ذلك المرض..صحيح اننا اتفقنا على ذلك في البداية لكنني تمرضت فعلا.. بالفعل لقد مرضت كثيرا...ولولاها لما استطعت النهوض من سريري ابدا....لا تدعيني اتشاجر معك مرة أخرى...أنت قد تركتني وقت مرضي ولم أمثّل..لا ...لم أكن امثل دور المريض..كم مرة يجب أن نتشاجر؟؟

_حسن...كنت مريضا حقا..وما يعني ذلك؟؟؟ هه...أصبحت احمقا أيضا!
شعرت بخطوات روكس قربي فجأة عندما ابتعدت نورس عني ...رفع سماعة الهاتف وهو يدرك أنني قد اتصلت برالف...رباه...لقد قال له هامسا...وكان ينظر إلي مباشرة وقد فتحت قليلا من عيني لأنظر إليه وهو واقف عند سريري ينظر مباشرة إلي ويضع السماعة على اذنه...
_رالف...لقد سمعت كل شئ...احضر بسرعة...نرجس في خطر...
نرجس...لا تنهضي أبدا أبدا حتى الصباح... سأتركك الآن...
بقيت في فراشي ارتجف حتى الصباح..كنت اتخيل شكل رالف أمامي كل حين وقد وضع يده فوق فمي لما استدرت باتجاهه ولما أصبحت قبالته قُطع رأسه فجأه..كانت تلك الصورة تتكرر في ذهني فأرتجف بشدة ولم أكن استطيع التخلص منها ...كنت ارتعش كثيرا...ظننت حقا أنّ نورس محقة نوعا ما وأنني أصبحت شبه مجنونة...فكيف يقطع رأس رالف وكيف تحدّث معي على الهاتف؟؟ كنت أرتجف ذعرا وأتشنج طوال الليل...لم أنم أبدا...لم أشعر متى جاءت نورس وفتحت خزانة ملابسي وأخذت توقظني وهي تحاول ابدال ثيابي لأنها كانت ملطخة بالصباغ الأحمر...تظاهرت أنني كنت نائمة خوفا منها ...حاولت هي ايقاظي عدة مرات ثم ضربتني على خدي ضربات خفيفة بكفها فمثّلت اني قد أفقت....قالت بسرعة...
_يجب أن تبدلي ثيابك لأجل موعدنا مع الطبيب مبكرا...هيا بسرعة قبل أن يصعد روكس ليطمئن عليك...لقد كان قلقا للغاية عليك بالأمس ...
_ماذا حدث؟؟؟(قلت متظاهرة أنني كنت نائمة ولا أعرف ما جرى أبدا)...
_لكن...ألا تذكرين؟؟؟ كنت تهذين وتصرخين وتتخيلين رأس رالف مقطوعا ومرميا على أرضية الغرفة ..هذا ما حصل!!!
أخذت ارتعش خوفا من نورس فقد كانت نظراتها تشع شرا ومكرا وهي تمثّل المحبة لي ...كنت اعرف نواياها ولذلك شعرت بالاشمئزاز منها والرعب ...كيف لها أن تفعل ذلك بأختها؟؟ كيف لها ....أنا التي من دمها

ورحمها...كيف تسـنّى لها أن تكون بتلك القسـوة ياترى؟؟ النقود!! تعسـا لها..تعسا لنقود تجعلها تفعل بي ذلك وتحاول أن تدفعني للجنون ..كنت ارتعش وقد شـعرت هي بذلك فتظاهرت بالحب لي وأخذت تمسـح على رأسـي وهي تهدهدني وتقول لي أن أهدأ ولا أرتجف وأنها معي دوما وأنّ كل شئ سيكون على ما يرام ..لكنني لم اتوقف عن الارتعاش رغما عني...

فجأة...ظهر روكس من خلف الباب وكانت نورس قد أبدلت ثوبي ووضـعت وشـاحا على رأسـي... هتف روكس بنورس أن تخرج لأن رالف جاء لرؤيتي...فبهتت نورس وتغير لون وجهها...صاحت بروكس بغضب...

_ماذا...ما الذي جاء به إلى هنا..قل له أنّ نرجس لا ترغب برؤيته...هي ليست على ما يرام ..أليس كذلك؟؟؟حبيبتي الغالية نرجس..

_كلا يانورس ..انا اريد رؤيته...دعه يدخل ياروكس رجاءا...أنا قلقة عليه!

وقبل أن أكمل جملتي ..كان رالف عند سـريري وبدون أن اسـمح له أو افكر حتى ..احتضـنني وهو يقبّل رأسـي بحنان ويهدهدني كطفل صـغير...التفت لنورس وهو يجلس على سـريري ويضـع رأسـي فوق صـدره كأنني طفلته المدللة ...قال فجأة بصوت غاضب...وكشر عن أسنانه بغضب شديد...

_انا لن اتكلم معك ..سـأدع روكس يكلمك...لن أنزل بمسـتواي لك ...نرجس حبيبتي..هل انت بخير الآن...هل لاتزالين ترتجفين...كفى خوفا..أنا هنا..كفي عن الارتعاش بالله استحلفك...حبيبتي كفى...أنا آسف...سامحيني!

_عن ماذا يتحدث رالف الآن يا روكس..

قالت نورس بغضب وهي تقف أمام سريري بينما تقدم روكس نحونا ..

_لقد مللت من خططك الحمقاء ..ولن ألعب هذه اللعبة القذرة معك...و لااريد نقودا ملطخة بضـياع شـباب هذه الفتاة الطيبة التي يحبّها أخي التوأم...والتي كان من المفروض أن تحرصـي عليها أكثر مني..لكنني بموقف واحد منها ؛ سـأظل مدينا لها ...لقد رعتني في مرضـي وكانت أفضـل منك بألف مرة وهي تعنى بي وتهتم لأمري ولذلك انا لن استمر بلعبتك...لن اسمح لك أن ترميها في

مصـــحة لأجل الحصـــول على نقود عمتك الراحلة...أيتها الجشـــعة الطماعة الخبيثة...ألا ترحمينها؟؟؟

_روكس...ماذا دهاك...هل انت تتحدث بعقلك الآن....مئات الدولارات!!!!

رفع رالف رأسـه باتجاهها ونظر إليها شـزرا وعقّب قائلا بصـوت حازم قوي وهو يصرّ على أسنانه بينما لايزال يحيطني بذراعيه ويضع رأسي على صدره بحنان ودعة ...

_لقد أرســلت تســجيلا كـاملا في هـاتفي قمتِ فيه بالاعتراف بجريمتك إلى الشـرطة..وهناك شـرطيان سـيأتيان بينما نتكلم للقبض عليك...بتهمة النصـب والاحتيال على أختك لأخذ نقودها التي وَرثتها من عمتكما ورميها في المصحة بقية عمرها...كم انت ...أرجوك يا روكس...تحدّث أنت...

_دعني اكمل انا يا رالف...اسمعي...اخرجي من منزلنا..منزلي انا ورالف..

_كيف تجرؤ!!! لا..لا يمكنك طردي!!! كلا ...سوف ارحل الآن..

_سترحلين إلى السجن ..لكنني اقول لك اخرجي من منزلي بمعنى أنني انتهيت منك...لن اكمل علاقتي بك...أنت شخص مقرف أناني للغاية...

_حقا!!!....كلا لن اذهب إلى السجن...سوف اسجنك معي...أنت شريك في كل شئ..أنت من مثلت دور رالف الذي قطع رأسه..أليس كذلك...

وضـحكت نورس ضـحكة مفتعلة هسـتيرية...نظرت إلى روكس غير مصـدقة وتذكرتُ أمرا لمّـا التفت في الظلام وكـان هو خلفي يرتدي نفس قميص رالف ليوهمني أنه هو وقد رفع شـعره الطويل إلى الخلف حتى اظن انه شـعر رالف القصـير في الظلمة...لكن ما لم أنسـاه ولأنني رسـمت رالف لفترة طويله وكل يوم كنـت أقضـــي ســـاعتين أمـامـه وأمـام لوحتي في منزل فـادي في واشـنطن..اقول_لأنني اعرف جيدا أن شـعر صـدر رالف كان أسـود عكس ما رأيت في تلك اللحظات لما اســتدرت نحو روكس الذي مثل دور توأمه كي يواكب خطة اختي لجعلي مجنونة ولتجعلني اذهب الى المصحة فتستولي على

نقود أرثي_فشعر صدره كان اشقرا كلون شعر رأسه..عكس توأمه وكانت تلك سمة تميزه عنه علاوة على شعره الطويل الأشقر اللون...

شـــهقت بذعر وانا اتذكر ذلك الأمر واقارن الأحداث...فعلا كان روكس وليس رالف الذي بقيت ارتجف ليلة كاملة خوفا من كونه قد ذُبح فعلا...فأنا لم أكن في حـالـة عقليـة قـادرة على تمييز الأمور حتى تلك اللحظات التي تحفّزت فيها كل حواسي وانا أنظر واستمع إلى روكس وهو يقول لنورس اخيرا قبل ان يطرق الباب شـرطيان قدما للقبض عليها_لأن رالف كان يسـجل المكالمات في هاتف شقته وقد سجّل تلك المكالمة التي سمع فيها اعتراف نورس على نفسها بكل شئ...كما قال لها بنفسه...

_إرحلي عن حياتي فقد سـئمتك وأشـعر أني اتقيؤك...كفى...أنا لا أريد نقودا على حساب ضياع شباب هذه الفتاة الطيبة ومستقبلها...وضياع حبّ توأمي الذي أشعر بألمه وفرحه وكأننا كيان واحد....أنت لم ولن تفهمي هذه المشاعر أبدا....لذلك أنـا أنهي علاقتنـا إلى الأبد...كنت اتحملك حتى رأيت روعة اختك وتعاملها الإنسـاني وروحيتها العالية...ففهمت حينها سـبب تمسّـك رالف بها وحبّه لها ومحاولته نيل رضـاها رغم أن النسـاء يركضـن خلفه ويردن نظرة منه ...لكنه نظر إلى جوهر اختك الذي لا يشبهك أبدا...

_فلتذهب انت ورالف ونرجس إلى الجحيم..جميعكم...إلى الجحيم..هههههه..

أخذت نورس تضحك وهي تحاول أن تسيطر على انفعالاتها..لكنني صحت بها بذهول وقد تحفزت كل مشاعري...

_لكن ألم تكوني زوجة لروكس؟؟ أنا لا أفهم ما يجري...قولي لي صدقا!!

_حمقاء؟؟؟ أيتها الحمقاء...ألم تلحظي أبدا أبدا...رباه...خيالية غبية ....

أخذت نورس تضـحك بسـخرية وتضـرب على كتف روكس الذي نظر إليها باحتقار وثم تحدث إليّ وهو ينهض من مقعده مقابل سـريري قرب منضـدة الكتابة...حيث وقفت نورس مقابل المرآة وهي تنظر إلينا بسخرية ..

_لقد قالت لنا نورس أن لا نخبرك بالأمر قبل أن تقدمي إلينا يانرجس...قالت إنك معقدة ولاتفهمين هذه الأمور...قلت لرالف أن لا يخبرك بالأمر أبدا...لأنك ربما لن تبقي هنا معنا ..ذلك ماقالته هي...

تحدث روكس دون أن ينظر إلى نورس وهو يهز كتفيه بلا مبالاة بها...شعرت بنار تكوي ضلوعي وبقلبي يخفق بشدة ذعرا وغضبا...نرجس المرتجفة بين ذراعي رالف قبل قليل والتي كان رالف يضمّها ويضع رأسها على صدره خوفا عليها من نفسها_اقول_نرجس تلك انتفضت فجأة وتحولت إلى وحش كاسر كشر عن أنيابه...نهضت من بين ذراعي رالف المندهش ووقفت قبالة نورس وشددتها من ياقة قميصها الضيق وهززتها بقوة وصفعتها دون شعور وانا أكرر كلاما بالعراقية دون وعي مني..

_لقد مرغت شرفنا في الطين ..أيتها الفاسقة...أين العيب ؛ أين الحرام ..ألم تذكري أباك..الم تتذكري امك وانت تنامين ليالي واياما في حضن روكس ..ألم تخجلي من نفسك يا...ياااا من انجبتك امي واتيت من صلب ابي..أنا اتبرؤ منك ومن اخوتك...لست اختي..لست اختي...

أخذت اضربها وأبكي بينما هي مندهشة لاتعرف كيف تتصرف أو تدافع عن نفسها لأنني فاجأتها كما تفاجأتُ تماما بتصرفي ذاك... ولما أفاقت لترد عليّ كان رالف قد امسكني وضمني من الخلف إليه وشد ذراعي إلى ظهري كي اتوقف عن ضرب نورس التي لم تصدق من أين أتتني هذه القوة وتلك الموجة العارمة من الغضب ...أخذتْ تبكي وقد تورم وجهها من صفعاتي وتناثر شعرها الأسود على وجهها مبعثرا فتوقفت للحظات قبل أن تصرخ وهي تبكي..

_أنت الأفضل طبعا في كل شئ..حبيبة بابا وابنته الفضلى..التي اكملت الدراسة العليا ولم تترك المدرسة مثلي...هههه..أنا...أنا لن أخجل من أب لم يكن يحبني ولا يريدني بل كأنه لم يصدق لمّا سافرت ...لأنه قد تخلص مني..وصدّق بسرعة كذبة زواجي من روكس رغم أنّ فادي يعلم أنني أعيش معه بالحرام

ولم يهتم...هههه..أنت لا تدرين...حقا...فادي لا يبالي أبدا أبدا...وهو قد عرف أكيدا اننا لم نتزوج وإلا فمتى تم عقد قراني معه..إنه يعلم ...أي اخ هذا لا يسأل اخته كيف تزوجت مسيحيا؟؟؟؟

هل انت متفاجئة من أخيك صاحب الشرف الذي عرف وشاهد رالف يحاول اغواءك فلم يفعل له شيئا ولم يقطع علاقته به ولم يعنفه ولم يقل له أي شئ؟؟...بل ...قطع اتصاله بك كي يُريح ضميره...ماذا تريديني ان افعل هنا وانا فتاة لاحول ولاقوة لي...روكس آواني في منزله...هل تتوقعين أن فادي كان سيؤويني أو كان ليؤويك لولا علاقة رالف بك ....انضجي يافتاة...هههههه....خيالية....حمقاء دوما...كنتِ كذلك وستبقين كذلك أبدا..

شعرت وانا أنظر إلى نورس التي كانت تهتز وترتجف وهي تكلمني هذه المرة بالأميركية وكأنها تريد أن يفهم كلامها رالف وتوأمه عمدا...أقول أني فجأة شعرت بدوار شديد في رأسي..كان رالف لايزال مقيدا ذراعيّ بقوة إلى الخلف وهو واقف خلفي تماما عندما اختل توازني ورأيت غشاوة من سحابة بيضاء تحط فوق عينيّ...فجأة سمعت صوت رالف وأنا أسقط إلى الأرض لكنه امسكني قبل ذلك ولم أشعر بشئ بعدها...

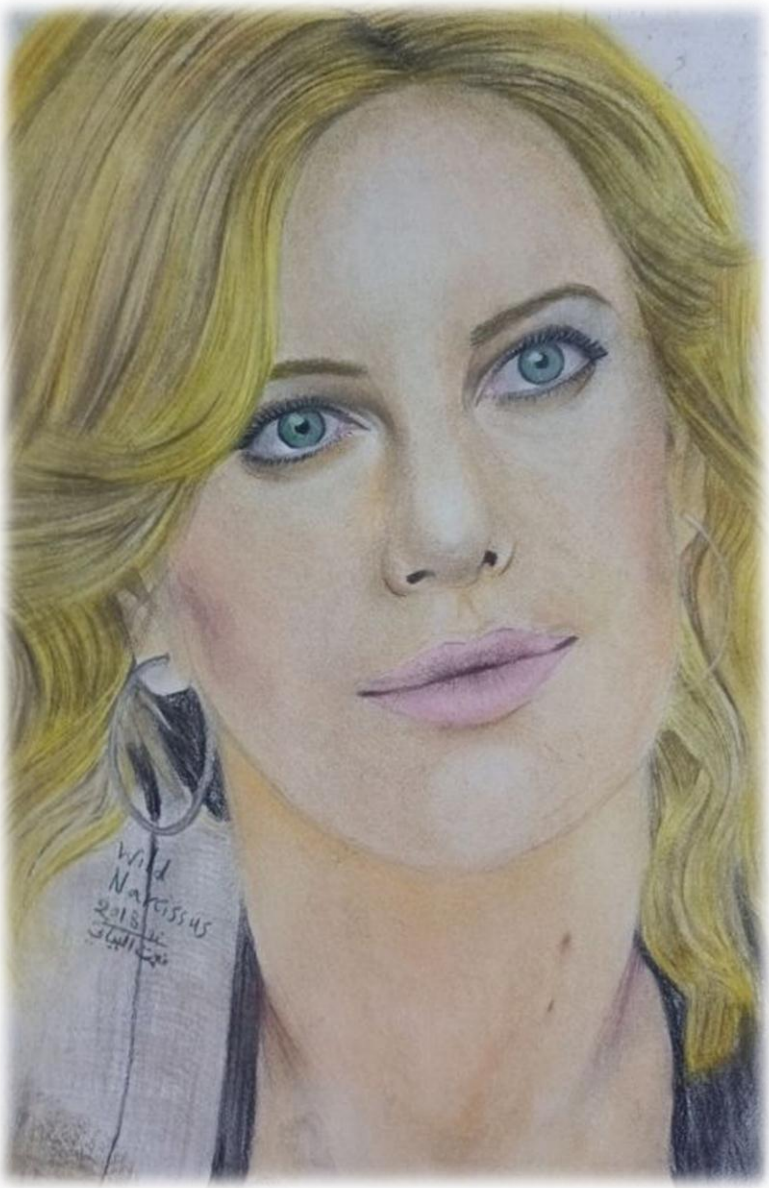
Wild
Narcissus
2018

الفصل السادس عشر

_حبيبتي ...هل انت بخير؟؟؟

فتحت عيني لأجد نفسي فوق سريري ورالف جالس قربي بينما دلف روكس هاتفا بتوأمه بسعادة...

_وأخيرا...أفاقت..حمدا لله...لقد خفت كثيرا أن تطول غيبوبتها وكنت أريد الاتصال بالإسعاف وصعدت إليك لأطمئن عليها...شكرا لله ...سأصنع لك بعض الطعام لأنك لم تأكلي شيئا منذ الأمس...يجب أن يصعد بعض الدم في رأسك يا فتاة...ويجب أن تتغذي قليلا...لن أغيب طويلا....

قال روكس ذلك وهو يبتسم ابتسامة رالف نفسها...التفت نحو رالف وتذكرت اختي نورس فأدمعت عيناي...

_هل هي ...

_نعم...لما سقطتِ إلى الأرض..جاء عنصران من الشرطة وأخذاها إلى مركز الشرطة...إنها في السجن الآن...

_اوه...يا إلهي!!! رالف ..إنها اختي...مهما حصل...

وبكيت ثانية...اشحت بوجهي عن رالف...فجأة وجدتُ منديله يكفكف دموعي بينما قال لي بصوت هامس محب ودود...

_أريدك أن تأكلي كي تستطيعي النهوض ...لأنني تحدثت مع صديق لي ..إنه محام يانرجس وسوف يتصل بمحامي عمتك في العراق ويقوم بكل الإجراءات اللازمة كي تنتقل ملكية عمتك إليك...

نظرت إلى رالف بامتنان وانا اكفكف دموعي بمنديله الذي ناولني إياه...

_حسن ...سأحاول الأكل قدر استطاعتي..

_فتاة مطيعة...

قال رالف غامزا فابتسمتُ دون ارادة مني لأنني كنت سعيدة حقا برؤية رالف قربي رغم كل شئ...

_كنت خائفة حد الموت أن يكون مكروه ما قد اصابك!!!
قلت بصوت متهدّج فنظر رالف إليّ بحنو واقترب مني هامسا...
_هل تخافين عليّ ...اعترفي بذلك الآن..
_كفى يارالف...أنت حقا ماكر!!!
نظرنا بعضنا بحبّ وعتب وشوق ...كانت كلمات العالم كله لا تكفي لفهمنا!
كان روكس في تلك الاثناء قد جلب لي الطعام وهو ينظر إليّ بسعادة وهتف بأخيه وهو ينكزه في كتفه...وكان يقف خلفه بحيث اراهما سوية ..
_اريدك ان تطعمها جيدا....هيا...صنعته لك بشكل خاص...أتمنى أن يعجبك..إنه أحد وصفات مطعمي الذي لم تزوريه أبدا أبدا...
قال ذلك وغمز لي ..رباه ..وكأنه نسخة من توأمه حقا حتى بالحركات...ضحكت وأنا احاول ان أجلس فوق السرير فساعدني رالف كي اتكأ بظهري إلى الوسادة...كنت ضعيفة جدا ولا أقوى على النهوض حقا...
_ما رأيك يا رالف أن يكون مكان لقائنا بالمحامي الخاص بنقل ملكيتي في مطعم روكس..أنا حقا اريد رؤية مطعمك ياروكس...وحقا...إنه طعام لذيذ..
قلت ذلك وانا اتناول الطعام الذي وضعه روكس في صينية حملها رالف ليضعها فوق حجري فوق مسند خاص يوضع على السرير ...شعرت بالحرج اول شئ لما بدأت الاكل امامهما لكنني كنت جائعة حقا..وشعرت بنهم تجاه تلك الوجبة اللذيذة التي أعدها روكس..لم أكن ادري أنني جائعة لذلك الحد حتى بدأت بالأكل...كان روكس ينظر إليّ مبتسما...شعرت بالحرج قليلا بينما هتف بي ضاحكا...
_حسن...هل أعجبك الطعام حقا يا نرجس؟؟ زوريني في مطعمي مع رالف ..سأصنع لكما وجبة خاصة تليق بكما...أليس كذلك يا توأمي!!!
رفع رالف رأسه نحو روكس وابتسم له بينما كان يضع ذراعيه بشكل متقاطع فوق بعضهما البعض...
_حسن...لقد شبعت....شكرا جزيلا لك يا روكس ...

_نرجس...سنذهب الآن وأريدك أن تبدلي ثيابك كي تستعدي للخروج...أنا قد أعطيته موعدا للحضور وسوف أتصل به لأغير المكان فقط..سنذهب إلى مطعم اخي ...فكرة ممتازة...اتفقنا الآن....

_نعم...

_هل انت قادرة على النهوض ام لا تزالين متعبة..نرجس...قولي لي...

_كلا...أنا بخير الآن..لا تقلق...

_أرجوك يا نرجس..إن احتجتني...ناديني..سأكون قريبا ...هيا بنا يا روكس...

خرج الاثنان وكأنما هما شخص واحد انقسم إلى شخصين وكانا يضربان كتفي بعضهما البعض بيديهما بينما يمشيان نحو الباب...

انتظرت فترة كي انهض واستندت إلى جدار الغرفة حتى أصل إلى خزانة الثياب ، فأخرجت ثوبي الفضفاض لأرتديه وفتحت درج الخزانة لأخرج ربطة أضعها فوق شعري..نظرت وجهي في المرآة..كان وجهي فاقع البياض ممتقعا...حسنا...حمدت الله في سري أنني استطعت النهوض...نظرت إلى ثوبي عند منطقة الخصر وتأكدت أنه ليس ضيقا بحيث يبرز تقاسيم جسدي رغم أن رشاقة عودي وضعفي_وقت غادرت منزل أخي فادي_ بشكل مضاعف بسبب حزني لما جرى لي وتركي الطعام...اقول_رغم أنّ ضعفي كان يجعل اي ثوب من ثيابي القديمة يبدو عريضا عليّ لكنني تعودت أن أنظر إلى ما ارتديه وأحاسب نفسي عليه...ولكنني اذذاك شعرت بالرضا عن اناقتي أيضا..فقد كان ثوبي مخرما عند الياقة والكمين وقد زين بالدانتيلا البيضاء اما بقية قماشه فكان ملونا بكرات سوداء وزرقاء وبيضاء على خلفية حمراء...كان ثوبا جميلا اشتريته مذ كنت في بغداد ايام دراستي العليا لمّا كنت اقضي الوقت في منزل عمتي...وهنا تذكرت عمتي فأخذت أبكي...دفنت وجهي بين يدي...طُرق الباب فجأة فكفكفت دموعي وانا اقول لرالف أن يدخل لما سمعت صوته:

_حسن...هل أنت بخير يانرجس؟ ماذا حصل...

هتف رالف وهو يقترب من منضدة الزينة حيث جلست قبالتها ودفنت وجهي بين يدي ...رفعت رأسي وانا اكفكف دموعي بسرعة...

_كلا...أنا فقط قد تذكرت عمتي ...كم كانت حنونة وطيبة...رحمها الله...لم أعلم متى وكيف ماتت...لكن هل دفنوها؟ رباه ..لم احظر حتى في جنازتها!! رحمك الله يا عمتي!!! أنت لا تعلم كم أحببتها يا رالف!!

_نرجس عزيزتي...هيا بنا واتركي هذه الأحزان خلفك...إنّ صديقي غابرييل ينتظرنا في مطعم روكس وقد سبقنا روكس إلى هناك ...هيا لنذهب...هل تستطيعين السير وحدك عزيزتي...هل انت قادرة على النهوض بمفردك؟؟ لقد خشيت أن تسقطي وقت تغيير ثيابك فانتظرتك خلف الباب ...خوفا عليك صدقيني...

_رالف!!!

نظرت إليه بامتنان وعرفان شديدين بينما طأطأ رأسه نحوي وهمس بصوت رقيق وهو ينظر إلى ثوبي وقد انتبه إلى ما ارتديه...

_تبدين جميلة جدا بهذا الثوب يانرجس...أيتها الغالية...

_رالف ..أرجوك...

قلت بخجل وأنا اطرق برأسي فهمس ثانية مبتسما...

_احب خجلك هذا...هل تعلمين؟ ؟ هيا بنا الآن...سنتأخرعن غابرييل..

نهضت بسرعة فشعرت بقليل من التعب وكان نهوضي المفاجئ خطأً مني...أخذ الدوار مني مأخذه فاصفرّ لون وجهي ولاحظ رالف ذلك مباشرة إذ امسك بذراعي واسندني إليه...

_هيا ..سوف ننزل سوية ...سأسندك عزيزتي الغالية نرجس...أنا هنا ...

وأخذ بذراعي وسار بقربي حتى نزلنا إلى الطابق السفلي وخرجنا سوية.

وفي المطعم حيث رُكنتْ سيارة رالف أمامه...دلفنا انا ورالف وكان روكس خلف طاولة المحاسبة على الطلبات ينظر إلينا وهو يبتسم...كان مطعمه بسيطا متواضعا..صغيرا ولكن لطيفا ومرتبا..كانت فيه مجموعة من المقاعد مرتبة

في صـف واحد قرب نافذة المطعم الكبيرة المطلة على الشـارع العام ...رأيته يمسح كأسا زجاجيا بالمنديل ويشير لرالف بعينيه إلى شخص ما حيث تقدم رالف من طاولة عند ركن المطعم القصي وهناك كان قد جلس غابرييل الذي ما أن رآنا قادمين حتى نهض بقامته الطويلة ومد يده ليصافحني بعد أن صافح رالف بحماسة وهو يشدّ على يديه ويقول له أنه لم يره منذ مدة طويلة...تراجعت قليلا إلى الوراء ...

_انا لا اصافح الرجال ..اعتذر منك سيد غابرييل...

نظر غابرييل بدهشة إلى رالف الذي نظر إليّ بسعادة وابتسم بفخر لم افهم مقصده منه..لكنني شعرت بالخجل لمّا قال لغابرييل وهو يغمز له:

_صديقي العزيز...هذه هي الوريثة العربية التي حدثتك عنها...إنها من سوف تعمل على نقل ملكيتها من عمتها في العراق إلى هنا وأريدك أن تحافظ على كل تفصيلة في وصية عمتها ونقل اموالها بكل أمانة إليها...

_أها...افهم من ذلك أنها هي ملكة هذه الأموال الكثيرة ...إنها حقا الآن ملكة الثراء لو اسعفني التعبير.اهنؤكِ من كل قلبي يا انستي على ثروتك.

هتف السيد غابرييل وهو يجلس بينما اجلسني رالف ودفع مقعدي باتجاه الطاولة وجلس بقربي واضعا يده تحت ذقنه ليستمع باهتمام بالغ لصديقه

_حقا ما تقول؟؟؟ وكم هي ثروتها على أقل تقدير؟؟

_ لا أدري بالضبط...لكنني قد اتصلت بالمحامي كما قلت لي وعملت اتصالاتي ليلة امس واليوم كله واوقفت كل معاملاتي الأخرى وتركت مكتبي لأجلك يا رالف ...لأنك كنت جادا جدا في طلبك وقلت أن المسألة شخصية جدا وتمسّك انت بالذات....وأنت صاحب فضل كبير عليّ ...

_لن أنسى لك معروفك هذا يا غابرييل...غابرييل أوكونور باتريك...

_صديقي العزيز...لو حسبنا أملاك عمتها وعقاراتها التي سوف تعرض بالمزاد في بغداد علاوة على حسابها المصرفي وذهبها...ناهيك عن منزلها الشخصي المليء باللوحات والتحفيات النادرة ...فأعتقد أنها ثروة تقدر بمئات

الملايين من الدولارات ...لم أعرف المبلغ الكلي لحد الآن لكنه كبير حقا...حقا كبير يا صديقي...

_انا شاكر لك ..عزيزي غابرييل..

_عزيزي الغالي رالف...حســـن ...إنها ثروة هائلة تقدر بمئات الملايين من الدولارات...مرحى لك يا انستي...أنت الآن في قمة الثراء وتستطيعين شراء اي شئ تتمنينه...

_شكرا لك سيد غابرييل...

قلت له بحزن وانا أشعر أن هنالك خطأ كبيرا في الأمر...نظر رالف إليّ بدهشة وهو يقول بصوت حنون هامسا قربي...

_هل انت بخير يانرجس يا عزيزتي الغالية...

_كلا..رالف ..لا أشعر أني بخير..لا أشعر أن هذا صواب!!!

_ماذا تريدين ان تقولي إذا...هل هنالك شئ تريدين قوله أو فعله...

كلمات رالف ظلت تتردد في رأسي بسرعة فأغمضت عيني؟ واستمعت لصوت قلبي وهو يتحد مع عقلي..

"من غير الصـــواب أن تحظي أنت فقط بكل ما امتلكته عمتك ...هذا حرام في الدين ولايجوز شـرعا...وقلبك لن يطاوعك أن تكون نورس في السـجن وغدا ستخرج إلى الشـارع دون أن تجد من يساعدها وربما تلتجئ أو تقع بين أيدي عصـابة ما تجعلها تحتسـي الخمر وتدمن المخدرات ولسـوف تضـيع في هذا العالم المـادي الصـــعب..فإن رحمها الله هذه المرة إذ وقعت بين يدي روكس الذي وفر لها منزلا وسكنا ومهنة...فمن سوف يرحمها لو وقعت بين أيدٍ دنيئة متسافلة....كلا...لن ادعها تعيش بلا نقود ولا مصدر مادي...وكذلك فادي الذي بـاع غيرتـه لأجل النقود وتغير كثيرا منذ ترك وطنه ولأنّ رالف هو الذي يدبر له معارضــه...فهو لم يبالي لنورس ولا لي ...لم يبالي أبدا أن تضـيع اخته في علاقة محرمة.....ولم يبالي لما شـــاهد رالف يحاول اغوائي...لذلك يجب علي أن لا أتركـه بلا نقود عمتي ..يجب تفتيت الثروة على اهلي ..والدي يســتحق

واعمامي الثلاث..ابو مرتضـــى زوج نرمين واخواه الاوســـط والاصـــغر ابو احمد...نعم...يجب أن اوزعها حسب شرع الله وماعلمنيه ربي عن طريق كتابه في القرآن الكريم..نعم سأفعل ذلك"..

_حسن يارالف ..لقد فكرت وقررت...وسأقول لك ما يلي ..اصغ إليّ جيدا ياسيد غابرييل ...ســـوف تعمل على توزيع الثروة على أســـرتي... وعلى الطريقة الاسلامية..فهل تستطيع ذلك يا ترى؟؟ لكن حصة نورس ...لا أريد أن تستلمها هي أبدا..لأنني اعرفها حمقاء طائشة..وربما تصرفها في أمور كثيرة وتبذرها دون فائدة وتوقع نفسها في مصيبة ما وهي لا تعلم !!! أريدك أن تصغي إلي لو سمحت سيدي....

_حسن ..أنا مصغ إليك آنسة نرجس...

_هل تعرف بالميراث الاســـلامي؟ هل يمكنك تقســـيم ذلك وفق الشـــرع ...هل تستطيع وسأعطيك اتعابك كاملة مع مكافئة مجزية...

نظر غابرييل إلى رالف وابتسم بفخر وقال بصوت متهدّج فرح..

_انـا افتخر أنني اقدم خدمـة لعزيزي رالف ولن اطلـب نقودا أو اجورا على أعمـالي..لكنك لو اردتني محـاميا لـك لأعمل بما تريدين..فســـوف أكون تحت امرك ورهن اشارتك ..أصدقاء رالف هم أصدقائي شخصيا ...

_نعم...طبعا لن أجد افضل منك لأن رالف قد رشحك وانا لا أعرف أحدا هنا..من حسن حظي أن لرالف معارف عديدين!!!

نظرت إلى رالف بـامتنـان وعرفان وانا أتحدث فنظر إليّ بحب وحنان جعلانني أخجل وأطرقت مجددا ثم رفعت رأســـي نحو المحـامي غابرييل وقلت له لمّا أعطيته عدد أعضـاء أسـرتي بشـكل عام ووعدته أن اكتب له عددهم فيما بعد بالتفصيل ....قلت له بشكل حازم بعد ذلك وانا أنظر إليه..

_ارجو ان تكتب لي (شيكا)_حوالة_ الآن بمبلغ مالي مقدما لو سمحت ...هل يمكنني فعل ذلك...أم يجب أن انتظر نقل الأموال من بلدي..

_كلا..بالطبع تستطيعين..ونقل أموال جنابك لن يطول كثيرا ...فغدا أو بعد غد سوف تجدين نقودا في حساب خاص بك في المصرف ...أنا تحت خدمتك آنستي...

_لكن ..نرجس ..لمن هذا الشيك؟؟ هل يمكن أن اعرف لمن هذه الحوالة المالية ؟ لو احتجتِ أي نقود فأنا هنا قربك ...هل تخجلين من الطلب حقا مني؟ حقا يانرجس انا لا أقبل بذلك ...هل تحتاجين شيئا؟؟

_رالف...سوف ترى...أرجوك لاتستعجل..لو سمحت سيدي الكريم غابرييل،أعطني ورقة حوالة مالية..هل يمكنني أن اكتب مبلغا معينا فيها؟

_نعم بالطبع...تفضلي..وسوف اختمها من المصرف واوثقها...اكتبي اي رقم تريدين ولمن تريدين الحوالة أيضا...

_رالف...هل لديك قلم؟؟

_مهلا...انستي...تفضلي فتلك مهمتي أنا ..

قال ذلك مبتسما وهو يناولني القلم الذي أخذت اكتب به ما أردت...بعد قليل قلت لرالف وانا اميل نحو جهته كي لا يسمعني السيد غابرييل..

_رالف..ناد روكس لو سمحت...

_ماذا؟؟؟ لكن ...حقا انا لا ادري أين ذهب؟؟؟ لكن لماذا تريدينني أن اناديه...هلا اخبرتني عزيزتي الغالية نرجس؟ ؟؟

_لنطلب شيئا للسيد غابرييل ولنا؟؟؟ ما بك يا رالف؟

احمرّت وجنتا رالف خجلا مني وفرقع اصبعيه بسرعة _وكان روكس ينظر إلينا وهو أمام صندوق المحاسبة_وهو يشير لأخيه بنظرات عينيه التي فهمها روكس مباشرة ...

جاء مسرعا وهو يرتدي صدرية النادل وكان مظهره وسيما جدا فيها مع خصلات شعره الاشقر الناعم الطويل وكنت أشعر بالسعادة كلّما اقترب من توأمه فكأنهما صنعا ليكونا معا تحفة فنية تستحق الرسم والتأمل الفني..تحفة

فنية من صنع الخالق العظيم ..لا أدري هل كنت أتأمل ذلك من نظرة فنانة ام من نظرة فتاة أحبت توأمه حبّا جما حتى أحبت كل شى يتصل به ...

_ماذا تأمرين انسه نرجس...حقا أنا لم اخدمكما شخصيا...وانت يا سيد غابرييل...حسنا ..لقد ظننت أنّ مساعدي قد أخذ طلباتكم...اعتذر حقا...

_نعم ..بالفعل قد فعل...لقد جلب لي فنجان قهوة....إنه ممتاز..شكرا لك..

هتف غابرييل بدهشة ونظر إلى رالف وإلى توأمة باسما بينما قلت انا..

_اعلم ..لكنني أردت طلبا خاصا كما وعدتني أن ترينا اكلات مطعمك المميزة...أريد أن اطلب للسيد غابرييل على حسابي لو سمحت!!!

وهنا اخرج روكس من خلف ظهره حيث كانت يداه متقاطعتين خلفه ..أقول..

أظهر قائمة وقلما ليكتب فيها...نظرت إليه لثواني بينما كان ينتظر أن اطلب...

_القائمة أمامك...اطلبي الآن...

_سأدع رالف يطلب لنا...أو لا ..لا ..أريدك انت أن تصنع لنا شيئا مميزا حقا من صنع يديك ياروكس...لو سمحت ياسيد والتر!!(شددت على جملتي الأخيرة فرفع روكس عينيه من فوق الورقة التي يكتب فيها في دفتره الصغير طلبنا، ونظر إليّ نظرة خاصة للحظات ثم أرجع يديه خلف ظهره وقال وهو ينظر لرالف وإليّ مبتسما ابتسامة خاصة)...

_اوه...حقا...طلباتك أوامر آنستي الجميلة الرقيقة...الخاصة بتوأمي ..

تبادل هو ورالف النظرات للحظات ثم نظر إلي وبحركة مسرحية انحنى وأضاف بصوت رقيق حنون كصوت توأمه..

_أمرك انسه نرجس...فقد قالت لي العصفورة انك أصبحت ثرية مغرورة ...أليس كذلك؟؟

وغمز بعينه فضحكت وأنا اشرب الماء وكدت أن اختنق...نظرتُ الى روكس نظرات عتاب وقلت له بصوت متهدّج وانا أنظر مباشرة إليه...

_نعم...أصبحت غنية مغرورة...وسأغادر منزلك المتواضع واشتري منزلا جديدا...كنت أريد أن اشور محاميي بهذا الأمر كذلك...هلا فعلت!!!

وهنا تبادل روكس ورالف نظرات الدهشـــة بينما كتمت ضـــحكة كادت تنفجر مني ...نظرت باستعلاء نحو رالف..نظر رالف إلي بدهشة وغضب وقال:

_هل حقا تغيرتِ في ثواني؟؟ هل هذه هي نرجسـي الغالية؟؟؟ رباه... سـأغادر الآن..أتركك مع السـيد غابرييل في رعاية الله وحفظه..عن اذنكما ...يا روكس وياعزيزي غابرييل...

_رالف!!!

صحت بصوت متهدّج...

_ما الأمر..

قال رالف بلا مبالاة ودون أن ينظر إلي..

_أنني امزح...هل صدقت ذلك حقا....

نظر رالف إليّ باسـما وتظاهر بالغضـب الشـديد وقال إنه لن ينتظر...فقلت له بصوت متهدّج متوسل عن عمد كي ادفعه للضحك...

_أرجوك انتظر حتى يجلب روكس لنا طبقه المميز .. إن كنت حقا تعزني...وإلا فارحل...لك مطلق الحرية...ارجووووك...رالف ...

نظر رالف إليّ بدهشة وضحك ثم عاد لمقعده بحركة مسرحية لطيفة...

_سنرى...سأنتظر...لك ما تريدين يانرجس ...ومن عندي أعز منك(همس لي بصوت رقيق جعلني أخجل واطرق مجددا)...

_عن اذنكم ...جميعا...

قال روكس وهو يبتعد بسرعة لكنني اعرضت عن الكلام وبقيت اراقب رالف وهو يتحدث مع السـيد غابرييل عن احواله و ما جرى معه خلال الفترة السـابقة...ظل رالف يتحدث مع صـديقه حتى جلب روكس الوجبة المميزة وجلسنا نتناولها سوية بينما ابتعد هو خلف طاولة المحاسبة يرقبنا من بعيد...

نظرت إلى رالف بعد أن أنهينا الطعام..قلت له بصوت منخفض..

_هلا ناديت روكس الآن لو سمحت...

_؟؟؟

نظر إليّ فقط وكانت نظراته حائرة نوعا ما...التفت نحو روكس وبنظرة من عينيه جاءنا روكس مسرعا...

_حسنا...كيف وجدتِ الطعام انسه نرجس...

_أكثر من رائع....حقا اهنؤك على هذا الطبق المميز ...

_شكرا لك من كل قلبي...

_كنت أريد أن ادفع لك الآن...

_كلا...إنه على حساب المحل ...إنه لتوأمي الغالي...لن اخذ قرشا.....

_لتعلم أنني قد طلبت الطعام أولا على حسابي لأجل السيد غابرييل..فقد ترك اعماله كلها لأجلي وهذا أقل شئ أقدمه...وأيضا انا شاكرة جدا لك هذه الوجبة اللذيذة التي أعددتها...فاجلس رجاءا ياروكس لو سمحت...

نظر روكس إلي بدهشة ثم سحب كرسيا وجلس قبالتي عاكسا المقعد باتجاهه قرب رالف وغابرييل ...نظر إليّ باهتمام مستمعا...كان ينتظر أن اتكلم عندما دفعت الحوالة فوق الطاولة إليه...مدّ انامله الطويلة نحوها وقلبها...نظر إلي بذهول واتسعت عيناه بدهشة شديدة...

_ماهذه...نرجس!!!! إلى روكس والتر ..امنحك مبلغ ....عشرة ملايين دولار أمريكي!!!! ماذا!!!

شهق رالف بدهشة بينما اتسعت حدقتا عيني روكس اكثر...كان ينظر إلي ودموع صغيرة قد خرجت من مقلتيه...

_حسن...إنها أغلى وجبة طعام في العالم كله...

انفجرت بالضحك معه...وأخذنا نضحك مرارا بينما رالف واجم لا يلوي على شئ...وقال روكس اخيرا بعد نوبة الضحك وهو يدفع الورقة باتجاهي بأنامله وأخذ يهز رأسه بالرفض قائلا...

_مستحيل أن أقبل هذا يانرجس..إنها أموالك..لمَ تمنحينني هذا المبلغ...

_روكس استمع إلي جيدا لو سمحت..أنت من ستكون صاحب الفضل عليّ لو وافقت ..اسمعني جيدا..اولا هذه دفعة أولى لأنني لا اعرف المقدار الفعلي

لثروة عمتي ولاحصة نورس منها ...أنا امنحك هذا المبلغ لأجل نورس ...اولا انت تستحق المزيد فقد انقذتني ولم تماشي اختي في مخططها ولولاك من بعد الله وفضـــله ...فأنت تعرف أين كنت ســـأكون الآن..أما الأمر الثاني ..هو انك ستأخذ هذه الأموال وتوسع مطعمك الجميل اللطيف هذا وتجلب عمالا وتتوسع في اعمـالـك ...هنـالك أمر واحد اطلبه منك..هو أن تجعل نورس تعمل معك هنا وإن رفضـت إريد منك ان تعطيها مصـرفا شـهريا يكفي احتياجاتها لأنني لن اتعامل معها فمهما فعلت لها..أنا أعرف إنها لن تحبني ولن ترضـــى عني...أنا أعرف انك شخص نزيه وستفعل ذلك بإخلاص...أرجوك أنا لا أريد أن تضيع اختي ....سوف تخرج من السجن وحينها ...لن تجد مصدر رزق وسوف تلجأ إلى أنـاس ربمـا يؤدون بهـا إلى طريق مظلم ..فـأنـت إن اخـذتهـا إلى منزلـك وعـاشـــت معك وعملت هنـا في مطعمك..فـأنـا لا أعتقد أنّ غيرك ســـيكون مثلك ...أبدا لا..لست قادرة على تخيل اختي في وكر عصابة مخدرات أو مكان حقير مـا ...وانـا جـالســـة أنفق أموال عمتي واختي تموت جوعا وتبيع ربمـا شرفها لأجل ذلك ..لا لا ..لن اقبل ...أرجوك..هل فهمت الان ..لقد شرحت أكثر من الـلازم وأشـــعر أنني قـد أُنهكـت فعلا...فليس الأمر ســـهلا عليّ يـا روكس..أرجوك...هل فهمتني...

اطرق روكس بعد أن كـان مصـــغيـا اليّ بـاهتمـام كبير طيلـة الوقت وانـا اتحدث...نظر إليّ بعد فترة ورفع يده ليأخذ الحوالة مرة اخرى...وقال بصـوت متهدّج فرح وحزين في آن معا بينمـا انتقلت نظراتـه بيني وبين رالف الذي نظرت إليه فوجدته ينظر إليّ بفخر شديد وسعادة في آن معا..

_لست أدري ماأقول...لكنني سعيد جدا ...سعيد جدا بأخي هذا ...لأنه محقٌ فعلا في حبه لك...أنت انسانة راقية يا نرجس وانا اريد ان يقيم رالف حفل خطوبته لـك هنـا في مطعمي..ســـأجعل حفل افتتـاح مطعمي الكبير متزامنـا مع حفل خطوبته منك!! فمتى تخطبها ياالحمق...

نكز روكس توأمه في كتفه..فأطرقت خجلا بينما التفت رالف إلي ونهض ليجثو عند ركبتي قرب الطاولة ...شعرت بدهشة شديدة...

_رالف ..ماذا تفعل؟؟؟

_روكس ..ناولني خاتما بحق السماء!!!

اخرج روكس فجأة وبسرعة من طبق الطعام قطعة من البطاطس على شكل خاتم ناولها لتوأمه الذي نظر إليه بغضب لكنني ضحكت بسعادة فابتسم بسرعة...وهتف بي قائلا...

_هل تقبلين الزواج مني بخاتم بطاطس من مطعم اخي؟؟ نرجس أريد ان تشاركيني حياتي كلها..حياتي القادمة كلها وبكل تفاصيلها المملة..أريد أن اقضيها معك..ومعك أنت وحدك..من اختار قلبي وبشدة أن تكوني معه..نعم ...أنا اخترتك بقلبي وعقلي وروحي فهلاّ قبلت برالف المسكين؟

أخذت الدموع تسيل من عيني ...كنت اضحك وابكي في آن معا...هززت رأسي موافقة بينما وضع خاتم البطاطس في اصبعي وروكس يضحك علينا بينما ابتسم السيد غابرييل بدهشة وسعادة ...قلت فجأة لرالف بين دموعي الحزينة وضحكتي السعيدة وانا اكفكف دموعي بأناملي بسرعة..

_بشرط واحد تعرفه ..يجب أن تكون تنقلب في ديانتك لتكون رجلا مسلما ...وإلا فأنا لا أستطيع الزواج منك...أنت تعرف ذلك وقرأنا ذلك في القرآن سويا...لمّا فسرنا إحدى الآيات لو تذكر ذلك جيدا وتجادلنا في الأمر وقتها كثيرا ...

_سأنقلب إلى مسلم والى اي شئ تريدين..هل انقلب إلى أسد...أنا مستعد أيضا.. أم انقلب إلى نمر مرقط؟؟؟

_نرجس..يجب أن تأمريه أن ينقلب قردا....

ضحكنا سوية حتى كاد روكس أن يقع على وجهه من شدة الضحك على توأمه رالف الذي نهض عند ذاك ونظر إلي بسعادة وهو يهتف...

_يجب الآن أن نزور امي وابي ليتعرفا إليك ..

شهقت بدهشة وقلق وسعادة في آن معا بينما صاح روكس بسعادة...
_(هالا لويا)_تعبير خاص للفرحة_أنا سعيد جدا....حقا لم يجلب رالف أية فتاة لمنزل والديّ منذ مراهقتنا لما تعرف على صديقته بنت الجيران كرستينا...هذه المرة..أراك جادا حقا يارجل ...يا ويلك إن كنت تتلاعب بمشاعرها..سوف أكون خصمك هذه المرة واخا لها وليس لك..كن على يقين...يجب أن تحافظ على وعدك يا توأمي الغالي !!!
_انا قد عرضت على الغالية نرجس منذ وقت طويل زيارة والديّ...منذ المرة الأولى التي كانت فيها تسكن غرفتي وفقدت الوعي بسبب زهور النرجس التي رميتها على الأرض...هل تذكرين؟؟؟
نظر رالف إلي بسعادة وابتسم بينما ابتسمت بحياء وخجل ونهض غابرييل بقامته الفارعة وهو يضيق نظراته علينا انا ورالف بعينيه الخضراوين إذ هتف بي وهو يناولني بطاقة صغيرة ويحمل حقيبة سوداء كانت ملأى بالأوراق بينما تجهم وجهه الطويل بوجنتيه الغائرتين وأنفه المستدق الطويل وهو يمرر يده الأخرى على شعره البني القصير ...
_اتصلي بي حالما تصلين منزلك...يجب أن نتباحث في امور ميراثك..يجب أن نلتقي اكثر كي افهم منك وتفهمين مني تفاصيل كثيرة...عليّ الانصراف الآن إن كنتِ في صدد الذهاب مع رالف...وهنيئا لكما من كل قلبي على خطبتكما التي ستكون رسمية عن قريب كما أرى وستدعوني إليها اكيدا يارالف ..أليس كذلك أيها الذئب المحنك؟؟
ضحك رالف وهو يشد على يد صديقه المحامي غابرييل الذي رأيته يكبره بأعوام كما خمنت وقد كان يرتدي معطفا رماديا يغطي سترته السوداء وبنطاله الأسود اللذين كانا بلون رباطه المتدلي فوق قميصه الأزرق..كان غابرييل أنيقا حقا كما لحظت في جميع أصدقاء رالف...شعرت بالذعر فجأة في قلبي وشعرت أنّ مرحلتي القادمة ستكون متعبة نوعا ما...أن أواكب معارف رالف واتعلم كل شئ عن حياة الرجل الغربي وكيف اماشي اهله واصحابه وما

تعود عليه وألفه من عادات وتقاليد وهلم جرا..هتفت في قلبي ودعوت الله أن يمدني بالقوة...وأيضا شعوري أنني أصبحت غنية فجأة...واضطراري للذهاب لمنزل والدي رالف اللذين كنت أخشى ردة فعلهما عند رؤيتي...كوني أصبحت خطيبة حقا لرالف (الاستاذ الجامعي والفنان المثقف الذي له معارف كثر)...جعلني كل ذلك أشعر بالتوتر الشديد...لكنّ روكس اخرجني من كل ذلك التفكير وهو يهتف بتوأمه بينما كان يخرج معنا بعد خروج غابرييل من المطعم ، وبينما انا ورالف نخرج أيضا منه...

_هل تظنان أنني سأفوت فرصة رؤية والدي؟ وخصوصا في مناسبة كهذه؟؟ كلا...سأذهب معكما وليُغلق هذا المطعم الذي لم يأتيني اليوم إليه زبائن أكثر منكما مع غابرييل وزبون واحد أو اثنين ربما_حتى إشعار آخر...وربما لن افتحه حتى حفل افتتاحه عندما اوسعه على الأرجح...

قال ذلك وقلَب لافتة المطعم المعلقة على بابه من مفتوح إلى لافتة كتب عليها مغلق ...وكان يضحك بينما نتوجه سوية إلى سيارة رالف...ونظرت إلى روكس بامتنان وسعادتي لا توصف وانا أرى نظرات رالف المحبة والمليئة بأشياء لا استطيع وصفها أبدا..لأنها كانت تتحدث كلاما لا يفهمه إلانا نحن فقط وفقط كنا نحن من نفهم تلك اللغة الفريدة...

نظر رالف إلي فجأة ونحن في السيارة وروكس يجلس خلفي عندما توقف عن السياقة قرب محل صغير في إحدى الشوارع الجميلة والمليئة بالحدائق على الجانبين قرب المنازل ...كان محلا بين مجموعة محلات بعد اجتيازنا لتلك المنازل بحدائقها الغنّاء التي تبرز عند واجهات كل منها...نظر إلي وعيناه تشعان سعادة...

_هيا معي ياعزيزتي الغالية نرجس...

_أين؟ ؟؟

_فقط تعالي...هيا بنا..

_ماذا عني ؟؟؟

_يمكنك القدوم أيها الفضولي...

هتف رالف بصوت حانق على توأمه فضحك روكس وهو يهتف...

_حسنا...يجب أن أقول لنرجس أنني بمبلغ كهذا سألعب قمارا واذهب إلى لاس فيغاس قليلا أيضا..إلى تلك النوادي الجميلة...سوف أصرف قليلا من النقود على فتيات جميلات جدا...من يحتاج إلى خطيبة وزواج..مرحبا بالحرية...ما رأيك بهذا يانرجس؟؟ هه...

قال ذلك ونحن نمضي نحو المحل فنظرت إليه بغضب ونظرت إلى رالف كي يحدثه هو بدلا عني لكنّ رالف هز كتفيه بينما كان يدفع باب المحل...

_روكس؟؟؟ هل تقول ذلك عمدا ؟؟ أنا قد شرطت عليك شروطا يجب عليك عدم الحياد عنها...سوف اذكر الشروط قبل أن تسحب المبلغ...شكرا لأنك قلت لي ذلك ...رالف ..ألن تقول شيئا؟؟؟

ضحك روكس من كل قلبه بينما ضحك رالف بهزء من توأمه ونظر إليّ بسعادة وهو يهتف بتوأمه الذي كان لايزال يضحك عليّ...

_إنه يغيظك يانرجسي..مرحبا بك في عائلتنا...لا تبالي به...فهو يحب المزاح الثقيل...روكس لا يلعب القمار أبدا...لا تقلقي...صحيح أنه مبذر...وخصوصا..(ونظر إليه نظرة خاصة فضحك روكس ونكز توأمه)

_لكن يانرجس...قبل زواجكما..يجب أن نقيم لرالف حفلة توديع العزوبية...مارأيك؟ ؟ أنت لا تعرفين هذه الأمور هنا...يجب أن اعرفك على كل عاداتنا التي تختلف عن عاداتكم ...هل تعرفين ..سندعو في الحفل جيسكار ومارك وكل الرفاق ...أصدقاء رالف أعني...لن ندعو أخاك لأن الحفل ستكون فيه فتيات اميركيات نجلبهن خصيصا لأجل هذه الحفلات...ولسوف يرقصن لرالف ونحتسب الخمر لتوديع العزوبية إلى الأبد...وتلك هي حفلة توديع العزوبية عزيزتي خطيبة توأمي الغالي ....

_رباه!! فتيات ...ماذا تعني بقولك هذا...غناء ورقص وشرب واعمال محرمة...حقا ستعملون له حفلة كهذه؟؟ يا إلهي!!! لا أعرف ما أقول!!!

وغمز روكس هنا توأمه الذي نظر إليه بغضب وضربه على كتفه وصاح:

_كفى يا روكس ....هل تريد لنرجس أن تتراجع عن القبول بي...اصمت.

_كلا ياحبيبي...لاتقلق...ياتوأمي الغالي ...لم اقصد ذلك أبدا...

قال روكس ذلك وهو يمسك رالف من وجنتيه بأنامله ويقبله بين عينيه...

_لقد تعمدت قول ذلك لأرى كم هي تحبك وتغار عليك...اذهبا الآن واختر لها خاتما جميلا مثلها...سأنتظركما في السيارة ياأخي الغالي...

قال ذلك وضرب كتف أخيه بكفه فربّت رالف على كتف توأمه مبتسما ...

دلفنا إلى محل بيع مجوهرات انيق ولكنه كان صغيرا...هتف رالف فجأة بصاحب المحل الذي تهلل وجهه سعادة برؤية رالف...قال له صاحب المحل وهو ينظر إلي باهتمام...

_مرحبا بك ياصديقي العزيز...لم تأت إلينا منذ وقت طويل...كيف اخدمك ياعزيزي الغالي رالف...

_صديقي باتريك...أريد خاتما جميلا يليق بهذه الآنسة الجميلة ....

_خاتم ..نعم ..ولكن لأية مناسبة مثلا...يعني تريد ايّ خاتم جميل ام ماذا؟
_اريد خاتما جميلا يليق بها ويكون لائقا بخطبتي لها...
قال ذلك وهو ينظر إليّ نظرات خاصة شعرت معها أنني ملكة الكون كله..
_تهانيا القلبية ياعزيزي الغالي رالف...نعم..تفضلا هنا ..يمكنكما الاختيار من هذه المجموعة الجميلة من خواتم الألماس الرائعة ...
عندما التقيت بوالدي رالف وروكس ، شعرت بسعادة كبيرة لأنني وجدتهما طيبين ومتفاهمين ومنسجمين للغاية ...لقد رحبا بي أيما ترحيب وكانت والدة رالف سعيدة جدا برؤيتها له برفقتي على حد تعبيرها واختياره اياي وذلك أمر لم اتوقع ان اناله بتلك السهولة ..لقد ظننت أنهما سيعارضان رغبة رالف في الزواج من عربية مسلمة ..لكنّ والد رالف و لمّا جلسنا سوية على العشاء_ وكنت قد ساعدت والدة رالف قبل ذلك في إعداد الطعام،،، أقول_اننا لما جلسنا سويا عند مائدة العشاء ، وجدت والد رالف يسأله عني أسئلة مباشرة ...حدثه رالف عن كوني كاتبة روائية ورسامة وانني اخت فادي الذي يعمل معه منذ زمن في تجارة اللوحات الفنية...كما وأنه قد قدّمني في البداية لوالديه كأستاذة جامعية في الأدب الانجليزي فرحّبا بي بحفاوة واحترام شديدين...ورغم أن رالف لم يخبرهما عن خطبته اياي_أعني بادئ تعريفه بي لهما..إلا أنه لما أعلن لهما بعد انتهاء العشاء أنني سأكون خطيبته وأنه سعيد جدا باختياري شريكة لحياته القادمة ، وفتح علبة الخاتم وألبسني إياه أمام والديه وتوأمه الذي نهض ليحتضنه ويقبله بسعادة...اقول_كذلك فعل كل من والديه اللذين قبّلاني تباعا تحت ذهولي ودهشتي من قبولهما الأمر دون أن يضجرا لعدم مشاورة ابنهما لهما في ذلك الأمر...فعندما يختار الابن زوجة ما في بلادي ...يجب أن يرجع لوالديه اولا ويشاورهما قبل كل شئ ثم إن نال رضاهما ..يذهب للزواج من تلك الفتاة وإلا فلا!!! كانت والدته سعيدة بوجودي وقالت لرالف وهي تقبله مرة أخرى...
_أحسنت الاختيار يا بني ...هذه المرة أرى انك قد اخترت بشكل صحيح .

_اماه!! ألم أخبرك!!!
هتف روكس وهو يتناول الحلوى التي صنعتها والدته من بين يديها كطفل صغير...فنظرت إليه بينما والده يصغي باهتمام...
_الا تعلمين أن حبيبة ابنك هذه مليارديرة!!!
غصّ الاب بلقمته وهو يتناول التحلية بينما فغرت الأم فاها...كانت الأم شقراء جميلة للغاية وكأن رالف وروكس قد استنسخا منها ..أما الاب فقد ورث رالف منه رزانته وهدوء تصرفاته...ضحك روكس على والديه وتابع ساخرا بحركات مسرحية وهو يقف ويحرك يديه في الهواء ضاحكا
_نعم..لقد منحتني زوج اخي المستقبلية هذه مبلغا كبيرا من المال الوفير ولسوف أوسّع به مطعمي المتواضع واكون غنيا ...وهو مبلغ أولي كما قالت (وغمزني ضاحكا)..أما رالف فهو غني من الآن...هالا لويا...ما رأيكما؟ ؟ لقد ورثت عمتها للتو وعمتها قد توفيت في بلدها هناك في العراق ونقلت كل اموالها في الوصية لها...
_رباه...هنيئا لك!!! تهاني القلبية يا ابنتي!!!
هتفت الأم وهي تنظر بدهشة إلي فخجلت كثيرا وشعرت بالإحراج الشديد
_هنيئا لك يا ابنتي وهنيئا لك ياولدي رالف...مبارك لك أيضا ياروكس...
هتف الاب بسعادة....بينما عقّبت الأم على كلام زوجها بسؤال مباغت...
_حسنا..أين ستتزوجان ومتى ؟؟؟ هل ستسكنان هنا ام في واشنطن؟؟
_اماه ...لقد صدر أمر تعيين نرجس في جامعة واشنطن ولسوف نذهب سوية هناك ونسكن في شقتي إن أحبت ذلك ..لم نناقش الأمر سوية بعد انا واياها...أليس كذلك يا حبيبتي ...
قال رالف وهو ينظر إلي بسعادة وحب شديدين فشعرت بارتباك شديد وأطرقت برأسي لا ألوي على شئ ...شعر رالف بارتباكي فقرر تغيير الموضوع وبقي يحدّث والديه عن احوالهما وأمور كثيرة متشعبة...

عند المســاء وقبل أن اخلد للنوم في غرفة خصــصــتها والدة رالف لي قرب غرفته هو وعرفت انها غرفة روكس اصلا منه بعد ذلك ..أقول..جلست والدة رالف قربي على الأريكة وقت احتســاء الشــاي ..أخرجت ألبوم صــور يضــم توأمها رالف وروكس منذ كانا في اللفاف..ضــحكت كثيرا وانا أرى طفولة رالف الجميلة مع توأمه وشــعرت أنني فعلا انتمي لتلك الأســرة الجميلة وتلك العائلة...قالت لي والدته وهي تبتسم لي قبل أن اصعد السلم نحو الغرفة التي جهزتها لي ...وكان رالف قد صــعد قبلي الى غرفته ....نظرت إلي وقالت بسعادة :

_انا سعيدة جدا لأن رالف قد احسن الاختيار...أنت فتاة طيبة جدا وقد ارتحت إليك كثيرا ..أتمنى أن تعيشي مع رالف ولدي بسعادة عمركما القادم...أتمنى أن تسعدا بعضكما حقا...أتمنى لكما السعادة من كل قلبي...

لما صعدت إلى الغرفة ...وبينما ابدلت ثيابي وجلست لارتاح فوق السرير اذا بي اسمع صوتا يناديني...

كان رالف قد وقف خلف باب الغرفة وطرقها طرقا خفيفا...هتف بي..

_حبيبتي الغاليه نرجس...هل نمت...ام لا تزالين مستيقظة؟ ؟

فتحت الباب قليلا وكنت قد وضعت وشاحي على رأسي بعد أن ابدلت ثيابي لأرتدي ثياب النوم... نظر إليّ من فتحة الباب التي حالت بيني وبينه وهمس بصوت رقيق...

_نرجس..شكرا لأنك وافقت على المجئ إلى منزل أهلي...انّ والديّ سعيدان جدا بلقائك...وقد أعجبت والدتي بك...أنا سعيد أنني نلت مباركتهما يا نرجسي الغالية ...كيف وجدت غرفة روكس...هل هي مريحة ..هل تحتاجين أي شئ؟؟ سأكون في الجوار..أنا هنا قرب غرفتك!

_أعرف هذا يا رالف...شكرا لك...تصبح على خير...أنا سعيدة أيضا بتعرفي على والديك ..انهما طيبان ورائعان حقا...شكرا لك يا رالف...

قلت ذلك بخجل وانا احاول ان أغلق الباب وكان رالف يتبعني بنظراته ..

_حسن..أنا هنا ان احتجت لشئ ما...قرب غرفتك...أنا قريب هنا...
_شكرا لك..لقد قلت ذلك لي اكثر من مرة!!!
_انتظري..أردت فقط أن اعرف إن كان ثوب والدتي قد ناسب مقاسك؟؟
قال ذلك وهو يحاول اختلاس النظر إلى ثوبي بينما كنت أغلق الفتحة الصغيرة بيني وبينه في الباب رويدا رويدا وهو يحاول المماطلة ....
_شكرا لك ..نعم ..إنه مريح...شكرا يا رالف!!!
_ولكن...إن احتجت شيئا ما..ف...أنا قربك..هنا...في الغرفة المجاورة...
_شكرا لك...اعرف هذا ...تصبح على خير...
قلت ذلك واغلقت الباب وانا اكتم ضحكة كادت أن تخرج مني دون إرادة..
نزعت وشاحي واستلقيت على سرير روكس بثوب النوم الذي أخذته من والدة رالف..كان طويلا عليّ قليلا لأن والدة رالف وروكس طويلة مثلهما لكنني لم أبالي...فكلما كان الثوب فضفاصا وطويلا عليّ ..كان أكثر راحة عند النوم بالنسبة لي...وضعت يدي على صدري وفتحت شعري الأسود وتركته ينساب فوق الوسادة البيضاء لأفكر بتلك الأحداث المتتابعة وأحاول استيعاب ما حصل معي ...زفرت بارتياح وضحكت وانا اتذكر نظرات رالف خلف الباب وهو ينظر إليّ بلهفة وحنان ...شعرت بسعادة كبيرة ...مشاعر لذيذة دغدغت كياني الانثوي...لقد جافاني النوم...فكرت بدهشة...هل فعلا انا ثرية الآن؟ ؟ هل سأبقى ثرية إن وزعت الميراث على أفراد أسرتي حسب الشرع والدين؟ ؟ حسن ...هل سيفرح رالف بذلك ام أنه سيكون حزينا ويخيب ظنه فيّ...(لكن يانرجس..اهم شيء هو رضا الله لا رضا المخلوق...يجب أن أفعل ما أمرني الله به...حتى لا تعذب روح عمتي الحبيبة كذلك...ولأجلها ولأجل راحة ضميري وروحي سأفعل...كلا ..أنا لا أحب أن أكون ثرية جدا...ذلك شئ مزعج حقا...أن اشتري ما أريد...أن أعيش بوفرة ودعة...نعم..ذلك ما أريد...وان كان رالف يحبني حقا فهولن يرغب بالزواج مني لأجل نقودي فقط بل لأجلي).

كنت افكر مع نفسي لما رن جرس الهاتف قربي ففزعت...تناولت سماعة الهاتف...قلت بصوت حازم خائف متهدج..وكان قلبي يخفق بشدة...

_من يتصل؟؟

_حبيبتي لا تخافي..إنه أنا رالف...نرجسي الغالية...أردت فقط التأكد انك مرتاحة في غرفة اخي ...أو أنك ربما قد تحتاجين شيئا ما...كنت اتصل للتأكد...فقط أردت أن أطمئن عليك حبيبتي الغالية نرجسي الجميلة...

_شكرا لك يا رالف...لقد افزعتني...

_هل كنت نائمة ..اعتذر حقا...هل افزعتك..

_كلا..لم أنم..لا استطيع النوم حقا....

_هل تريدين ان آتي قربك وأقرأ لك قصة ما...ستنامين بسرعة...

_رالف!!! حقا ما تقول؟؟؟

صحت بصوت حازم متهكم ولكن بدلال وغنج ...كنت سعيدة بحركاته الصبيانية تلك..وأخذ يحاول التبرير لي بصوت رقيق حنون فهتف قائلا...

_هل يمكنني أن أسألك سؤالا شخصيا جدا...ما دمنا سنصبح شخصا واحدا...هل تقبلين أن أسألك هذا السؤال دون أن تتعصبي مني أرجوك!!

_ارجو ان لا يكون سؤالا يدفعني لخصامك مجددا يا رالف !!!

_كلا كلا...هو...حسن...هو سؤال بقيت اسأل نفسي اياه لما...تذكرين تلك الليلة...لقد قلت لي ...إنه حرام وأنك تخشين الله..وان ما نفعله خطأ!

_نعم....ذلك صحيح يا رالف! ما الذي تريد قوله؟؟

_سؤالي هو....ارجو ان لا اتفوه هذه المرة بشيء يمس كرامتك أو التزامك الديني يا نرجس..فقط سؤالي هو...وانا جدا متلهف لأعرف ذلك.

_ماذا يارالف؟؟ تكلم....قلبي سيتوقف!!!

_سلامة قلبك الجميل حبيبتي!!!

_رالف!!! قلت لك اني لا أقبل بكلمات الغزل قبل الزواج!!!

_حسن...حسن ...سؤالي هو...هل انا اول رجل ...اقصد اول رجل قبلك وامسك يدك ولثم خصلات شعرك و...

_كفى رالف كفى..طبعا...أنا لم يلمس يدي رجل قبلك ولم يتحدث معي هكذا احد وإن كنت تشير بكلامك هذا إلى أنني اعرف رجالا قبلك ...فلن اتحدث إليك بعد الآن أبدا أبدا أبدا...تصبح على خير يا رالف...

_حبيبتي ..انتظري...رحماك يارب...أنا اتعذر منك...يا غاليتي الحبيبة ...اسمعيني فقط...لا تعرفين أبدا كم انا سعيد ومحظوظ بك...أنا اول رجل في حياتك وسأكون آخر رجل ...حبيبتي الغالية نرجس...

_رالف...كفى...هل يمكنك أن تصمت وتذهب لأغلق الهاتف؟؟

_نرجسي الغالية...انتظري لحظة...فأنا لم أقل لك أمرا...أردت منذ زمن بعيد أن اقوله لك...هل استطيع البوح لك الآن بذلك الأمر..أرجوك يا نرجس...دعيني أخبرك بما في قلبي ...سوف أموت حزنا إن لم تقبلي أن أقول لك ذلك!! أرجوك فقط اسمعي مني هذه الكلمات وسأقفل الخط فورا!

_قل يا رالف...تحدث...ماذا هناك...هل حدث شئ ما...تكلم بسرعة..

_حدث شئ ما...لقد حدثت اشياء!!! نرجس ...هل تذكرين المرة الأولى التي غبت فيها عن الوعي في غرفتي هناك في منزل روكس ؟؟؟

_نعم ..اذكر ذلك..

_لأجل زهور النرجس فقدت وعيك ...أليس كذلك ياحبيبتي الغالية؟؟؟

_نعم...كنت قاسيا جدا...لا تذكّرني بذلك ...

_نعم...لكن يجب أن تذكري ذلك التاريخ جيدا ...فعندما حملتك ووضعتك فوق سريري...وفتحت ربطة شعرك لأرى جمالك البريّ الرائع الجميل البرئ..حينها ..خفق قلبي لك بقوة ...واحببتك من كل قلبي ...اتعلمين أني احبك بكل قلبي وكياني وروحي...أنا لم أقلها لك هكذا من قبل ..لم تسمحي لي وانت تخجلين كلما تحدثنا...وتطرقين برأسك ولا تقبلين أن اتحدث معك إلا بشكل رسمي ...احبك حد الجنون ...احبك يانرجسي البري...بكل جنونك وكلامك عن

الحرام والعيب والخطأ ... احببت فيك كلّ شئ ..عنادك مثلا ..فأنت انسانة عنيدة جدا وانا أحببتك منذ وقعت عيناي عليك في الطائرة لكنّ قلبي تعلق بك لحظة قلت لي انك كرهتني بسبب رميي لزهور النرجس ..احبك بكل ما فيك...احبك احبك احبك...

__رالف....يا إلهي !!!

زفرت بذعر وانا لا أعرف كيف أجيب على كلامه وشعرت بالذعر في قلبي وناديت في سري..رباه ماذا أقول وكيف اتصرف...زفرت بذعر...

_حسنا ..ألن تقولي لي شيئا...ردي عليّ ولو بكلمة يا حبي....

صمتت عن الكلام ودعوت الله أن يعطيني القوة لأجيبه بشيء لا يُغضب الله عليّ...وبينما انا صامتة لا يسمع رالف مني سوى انفاسي اللاهثة المتقطعة..إذا بنا انا ورالف نتفاجأ بصوت روكس وهو يزفر بنفاذ صبر:

_حسن ..أنا سأجيب...احبك يا رالف..احبك ...دعني اقبّلك الآن يا حبي..دعني احتضنك واضعك فوق صدري..حبيبي رالف الغالي..هل يمكن أن تنهي هذه المحادثة الآن لأن نرجس قربك فلتذهب إليها بحق السماء مباشرة...لأنني كنت أريد ان أتصل لمّا سمعت صوتك وانت تقوم بحوارك الرومانسي فصمتت وانتظرت حتى تنهي كلامك.... لكنك لن تنتهي...انت لن تنتهي حتى الصباح.... اذهب إليها يا رجل!!! ما بك!!! هل أصبحت الآن بريئا لا تعرف شيئا عن النساء!!! اذهب إليها بسرعة!

أغلقت السماعة بسرعة....أخذ قلبي يخفق بذعر....رباه...كان روكس يتصل من الطابق السفلي حيث نام في الصالة لأجلي...كان جليا أنه قد صمت احتراما لرالف لمّا رفع سماعة الهاتف ليتصلا في الوقت نفسه...توأمان!!! حتى في وقت الإتصال...هتفت بسخط وضحكت على نفسي وعلى رالف في نفس الوقت...لم أعرف ماذا حدث بينهما فيما بعد حتى الصباح ...كان رالف قد خرج من الحمام واضعا منشفة صغيرة بيضاء فوق رأسه بينما كان يرتدي (برنسا)_منشفة كبيرة تلبس كأنها رداء_كان ازرق اللون يحيط جسده

الضخم...ويشدّه من الوسط بحزام من نفس القماش ..التقينا في ممر الطابق العلوي عندما كنت أريد النزول فابتسم بسرعة ابتسامة واسعة وهو يلقي علي تحية الصباح...

_صباحك زهور نرجس !!! هل نمت بالأمس جيدا...

_حسن...نعم ...قليلا...لقد جافاني النوم لكنني نمت اخيرا ...

_سلامتك حبيبتي...لعلمك ..أنا لم أستطع النوم أبدا...أبدا لم أستطع النوم لأنني كنت احلم بك طوال الوقت...وأنت في الغرفة المجاورة قربي.. ورغم ذلك...لم اتجرأ على ازعاجك أو طرق بابك..غاليتي...صباحك جميل مثلك ...احبك كثيرا...ولتعلمي أن أحلامي بك كانت بريئة للغاية...اكيد أنك تعلمين هذا ؟؟ أليس كذلك ياحبيبتي أنتِ؟ ؟؟

قال ذلك غامزا وهو يضحك فنظرت إليه بغضب..

_اجل ..اعرف ذلك...انت برئ للغاية... بل قمة البراءة انت!!!

نظر الي بسعادة وقهقه ضاحكا ضحكته الجميلة تلك ثم نظر اليّ بسعادة وهو ينظر إلى السلّم بسرعة ، بينما كانت يده على مقبض باب غرفته...

_ستجدين والدتي قد حضّرت الفطور..هيا اذهبي يا نرجس وسأرتدي ثيابي وانزل خلفك...لن اتأخر عنك يا قلبي...

_حسن ...لكن ...رالف..

_ماذا هنالك ياحبي؟؟؟(قالها بشكل خاص)

توردت وجنتاي خجلا...التفت إليّ بكليته وهو يضع يده على مقبض الباب بينما ارتبكت وانا احاول ترتيب كلماتي...

_ارجو أنني لم اتسبب في مشكلة بينك وبين توأمك بالأمس...أعني.. أنت تعرف...اقصد ...لا ...لا أعرف ما اقول..اقصد..بعد ما قاله روكس لك في الهاتف...أنا ارجو ان لا اكون قد تسببت بأي مشكلة بينك وبينه...

_ماذا...روكس!!! كلا ياعزيزتي...هل تخشين على علاقتي بتوأمي روكس؟؟؟ شكرا لك من كل قلبي...أنت حنونة رائعة...لاتخافي على ذلك الثعلب الوقح...إنه كلب صغير...لكنني احبه لأنني مرتبط به رباطا دائما!

قال ذلك وهو يضع يده بحركة مسرحية على قلبه فضحكت وضحك بصوت عال وهو ينظر إليّ بسعادة...شعرت بالخجل فاستدرت وهبطت السلم إلى الطابق السفلي حيث وجدت روكس لا يزال مستلقيا على الاريكة مقابل السلّم في الصالة الصغيرة...كانت رائحة زكية تنبعث من مطبخ والدته حيث وجدتها قد حضرت الفطور فألقيت عليها تحية الصباح بينما لاحت مني التفاتة إلى روكس والهاتف معلق فوق رأسه على الجدار فضحكت في سرّي...كان ينظر إليّ وقد استيقظ للتو...شعرت بالخجل منه لأنه اطلع على اعتراف رالف بحبه لي بالأمس...ألقى عليّ تحية الصباح وهو يتثاءب ويرفع ذراعيه إلى الأعلى بشكل متقاطع...

_آسفة..لم تنم جيدا بسببي ...أليس كذلك يا روكس؟

_هل تمزحين...أعطيتني عشرة ملايين دولار وتتأسفين مني لأجل ليلة تركت لك فيها سريري...حسنٌ خذي غرفتي كلها لك ولو شئت سأعطيك منزلي ...سأعطيك كل ما ترغبين به..مرحبا لك ...في أي وقت!!!

قال ذلك غامزا وهو يضحك فشعرت بالسعادة لأن روحه المرحة دوما ما كانت تنقذني من كل احراج..حتى كلماته على الهاتف ليلة الأمس كانت قد انقذتني كليا لأنني لم أعرف ماذا أقول لرالف...وكنت في شدة الإحراج...

_شكرا لتواضعك ياروكس وروحك المرحة ...أنا سعيدة جدا بقدومي هنا

_اوه نرجس...أنت المتواضعة جدا هنا ولست انا...

_اعتذر منك عما حدث بالأمس...لقد قطعنا اتصالك...أعني انا ورالف....

رفع روكس نظراته إليّ وابتسم بمكر... وظل مركزا نظراته الخاصة تلك عليّ عدة ثوان خلتها الدهر ولم يجبني بينما شعرت بالحمق لأنني قلت له ذلك واستدرت نحو المطبخ لأتدارك ارتباكي وخجلي...

كنا قد ذهبنا بعد ذلك عائدين إلى منزل روكس وفي الطريق قرر رالف التوقف وأخبر أخاه أن ينتظره لكنه أصرّ على الذهاب معه وقال له انه غير مشغول...كانت مسألة مهمة للغاية عند رالف لأنه قرر بشكل حتمي أن يُسْلم في جامع قريب ...ذهبنا سوية إلى جامع فرعي ووجدنا شيخا فيه يجلس قارئا القرآن ولما رآنا استبشر وأغلق المصحف وأخذ ينظر سبب قدومنا في وقت غير وقت الصلاة وما الذي يريده شابان توأم وفتاة محجبة منه... دلفنا بعد خلع احذيتنا عند باب المسجد ...جلس رالف وروكس القرفصاء قبالة الشيخ ...تحدث رالف إليه وأخبره مباشرة أنه يريد قلب ديانته إلى الإسلام...فاستبشر وتهلل وجه الشيخ فرحا... لقّنه الشهادتين لكنه قبل ذلك أخبره أن يترك الخمر والزنا واكل لحم الخنزير ...أخبره أن الإسلام دين سلام وحب لكل البشر وانّ المسيحي اخوه واليهودي اخوه وانْ لا فرق بين الاديان لكنّ دين الإسلام هو الخاتم للأديان السماوية وان من يعبد ربا واحدا هو اخوك في الدين...علّمه أن الصلاة عمود الدين وانّ عليه القيام بخمس صلوات في اليوم وتحدث له عن الصيام..كان روكس مرتعبا...لكنه كان خاشعا وهو يرى أخاه متقبلا لكل كلام الشيخ بخشوع وروح مسالمة...أخبره أن الإسلام طهور ويحب المتطهرين وانّ عليه أن لا ينظر للحرام ولا للنساء حوله وأنّ عليه أن يعفّ نفسه بالزواج حتى لا يقع في الزنا والمحرمات لأن الشهوات حوله كثيرة على حد تعبيره..حينها قال له رالف وهو يهتف فرحا...

_يا شيخ...لذلك أريدك أن تزوجني الآن...فهي لا تسمح لي بلمس يدها ولا حتى الكلام معها...ولا حتى الذهاب معها إلى أي مكان بمفردنا....

وهنا نظر الشيخ إليّ باعتداد وفخر وقال بصوت متهدّج فرح...

_لقد علمتُ إنها مسلمة ملتزمة بدين الله وتعاليمه..وتلك هي تربية الإسلام الحقة...نحن لا نسمح للشيطان أن يتسلل إلينا...فالكلمة بين الرجل الاجنبي

والمرأة حرام إن زادت عن حدها وكان فيها ريبة ونظرة خاصة، ورغبة محرمة...ذلك ماعلمناه ديننا وما يجب أن تعلمه لأولادك..

بارك الله فيكما...هل ستسلمان سوية ...أنت وأخوك!؟؟

هتف الشيخ برالف وروكس ففزع روكس وانتفض ناهضا...

_كلا...لست أنا..فقط هو ...هو فقط من يريد الزواج منها ..أنا لا أزال طيرا حرا طليقا اريد الطيران فوق اعشاش كثيرة...لا أريد الزواج الآن..لا زلت صغيرا...لست مستعدا لوضع القيود في عنقي ورجليّ...

_انا تحت أمر سجانتي تضع القيود أينما شاءت فيّ وتسجنني!!!

قال رالف ذلك لي بهمس قربي فأطرقت خجلا وضحك هو بسعادة ...

تنحنح الشيخ بضجر ونظر إلى روكس نظرة خاصة ثم زفر قائلا..

_تلك هي تسويلات الشيطان يا ولدي..يخبرك أنك لا تزال صغيرا بينما يركض الزمان بك حتى تكبر فتجد أنك لم تقدّم لربك شيئا سوى الموبقات التي تعود على صحتك بالضرر ..صدقني يا بني ..كلما عجّلت واسرعت في توبتك ..كان الأمر افضل لك ...الشراب والنساء لن يفيدان صحتك إن فقدتها...لم يحرم الرب ذلك إلا لأجلنا..لكننا نكابر ونتحجج بحجج واهية ونماطل..حسن ..سأجلب شاهدين ليشهدا على انقلابك للاسلام ومن ثم ليشهدا على تزويجك....سأزوجك اليوم ...اليوم بإذن الله ستخرج من هنا ويدك بيد هذه الفتاة المتدينة وهي زوجة لك وانت زوج لها..باركك الله...هيا ردد ورائي...

وبدأ تلقينه الشهادتين...بينما أخبر روكس أن يذهب لنداء شخصين قرب الجامع كانا مسلمين ومن اهل بيت الشيخ نفسه كي يشهدا على إسلامه وزواجه مني...وخرجنا فعلا من المسجد ويدنا بيد بعض كزوجين ...كان ينظر إليّ بحبٍ وحنان جعلني أخجل واطرق لكنني كنت سعيدة جدا عندما كانت أوراق الخريف تتساقط من الشجر حولنا ونحن نسير نحو السيارة وكأننا نسير نحو الجنة المرتقبة...كنا قد ذهبنا بعد ذلك إلى المحكمة لنوثق زواجنا رسميا وأصبحت السيدة والتر في الأوراق الثبوتية...شهد روكس على العقد في

المحكمة مع السيد غابرييل المحامي الخاص بي ..والذي اتصل رالف به ليحضر بسرعة عقد زواجي في تلك المحكمة المدنية....هنأنا روكس وقبّل أخاه التوأم واحتضنه بقوة بينما أخذته الحماسة فاحتضنني وقبّلني من رأسي وهو يهتف ...

_مرحبا بك في اسرتنا سيدة والتر ...أنا سعيد بك جدا يااختاه...مرحبا بك في اسرتنا أيتها الغالية نرجس...لقد احسن رالف الاختيار..أتمنى لكما كل السعادة طوال عمركما وأريد أن تجعلانني عما بسرعة ..هه..(وضحك)

وفي منزل روكس ....وفي غرفة رالف ...جلست على السرير بينما أغلق رالف الباب ونظر إلي بسعادة لا تضاهى ...قال لي وهو يبتسم ابتسامته الساحرة ذاتها...

_كنت قد اوصيت روكس كي يضع لك زهور النرجس في الأصيص الخاص بك ..نفس ذلك المكان الذي وضعت لك فيه زهور النرجس اول قدومك إلى هنا...رباه...هل يجوز لك الآن أن تتحدثي معي دون قيود وان اجلس معك واكلمك بحريتي...هل يمكنني الآن مثلا أن اضمك إلى ذراعيّ ..وان أرى شعرك كما اشاء وان اقبّلك دون أن تغضبي؟؟

_رالف..أرجوك...

قلت ذلك بخجل شديد بينما رفع غطاء شعري بأنامله وأخذ يتلمس خصلات شعري بهم ويمررهم بينها ...

_احبك كثيرا...هلا قلت لي...هل تحبينني ؟؟؟

_رالف...رالف .. اخجل أن اقول...كفى..

_كلا...اريد ان اسمعها من شفتيك...أرجوك قولي لي الآن...

_.طبعا احبك ...احبك بكل كياني...أنت الشخص الوحيد الذي خفق قلبي له ...لم ولن احب سواك ...حفظك الله لي أبدا أبدا ...وأدام حبنا...

ووضعت رأسي على صدره فاحتضنني بقوة وقبّل خصلات شعري وهو يهتف بحبه لي بصوت رقيق هامس خاشع...

_اقسم لك أني سأبذل كل جهدي في سبيل اسعادك طوال عمري القادم ....احبك إلى الأبد...احبك يانرجسي البري...

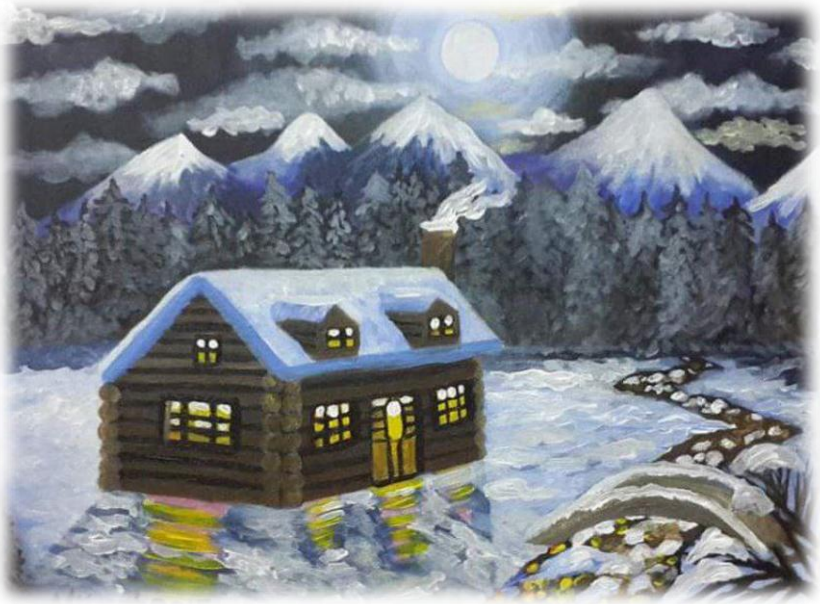

الخاتمة

كان روكس يشرف على تقديم الطعام للحضور بينما يعمل النادلون في المطعم بشكل دئوب ...كان جيسكار ومارك وغابرييل كلهم قد قدموا وجلسوا حول طاولة واحدة بينما فرانك وساره قد جلسا في مقابلتهم ...أما رالف الحبيب فقد جلس قربي مباشرة عندما عزفت الموسيقى وبدأ الجميع بالرقص على النغمات الأميركية...كان والدا رالف قربنا على نفس الطاولة بينما جلس فادي وزوجته وطفلاه على طاولة أخرى....تقدم روكس منا انا ورالف وسحب رالف من ذراعه ليأخذه حتى منتصف القاعة فيرقص معه مع بقية الرفاق مارك وفرانك وحتى جيسكار..كانت تلك حفلة زواجي الرسمية التي اجتمع فيها جميع الأصحاب والأهل وتمنيت لو استطاعت نورس الحضور...لكنني طلبت حضور والديّ ونرمين على حسابي وأجّلت الحفل قدر الإمكان كي يقدموا لحفل زفافي .. كنت ارتدي ثوبا ابيض فضفاضا وربطة شعر بيضاء...كان ثوب عرس قد صمّم على الطريقة الإسلامية...ولقد كان المطعم واسعا حيث أجّل روكس افتتاحه لأجلي حتى قدوم اهلي من العراق...قلت أنني تمنيت حضور نورس ...لأنها كانت في المشفى تتعالج من السرطان الذي أصيبت به وخرجت من السجن بسبب اصابتها وظلت تتعالج منه وكان منتشرا في جسدها للأسف في مرحلته الثالثة ...كانت مصاريف علاجها تدفع من قبلي كما اتفقت مع روكس ...تمنيت حقا لو كانت نورس بخير و تستطيع حضور عرسي الجميل ...رقص رالف مع روكس حتى كادا يسقطان على الأرض فضحكت كثيرا ...ثم رقص جيسكار مع رالف أيضا فدهشت حقا لأنني لم اتوقع منه ذلك ...ذهب مارك فجأة وتحرك نحو الفرقة الموسيقية وحدثهم بكلام ما ...فجأة تغيرت النغمات الأميركية إلى نغمات (دبكات)عراقية أخذ روكس ورالف يرقصان عليها بشكل مضحك محاولين تقليد الرقص الشرقي...ضحكت أمي ونرمين حتى كادتا تسقطان من فوق كرسيهما...وضحكتُ من كل قلبي

على رالف وهو يحاول تقليد الرقص العراقي....وكان يراقص توأمه على تلك النغمات العراقية وهما يرقصان رقصات عراقية معا بشكل مضحك ولكنه متناغم في نفس الوقت....كان أبي سعيدا وهو ينظر برضى إلي فقد وزعت ثروة عمتي على إخوته بالتساوي واعطيته حصته وكذلك فعلت مع فادي ونورس ....تقدم رالف بعد مدة مني وقد تغيرت نغمات الموسيقى وبدأ العزف الهادئ فدعاني للرقص معه أمام الجميع ...صفق الجميع لنا....كنت أحاول النهوض بصعوبة لأنني كنت في تلك الاثناء حاملا بتوأم كما أخبرتني طبيبة السونار وكانا طفلين ذكرين مثل رالف وروكس تماما....ضمّني إليه وهو يراقصني بسعادة وفخر بينما رأيت نرمين تبكي وهي تنظر إلينا بسعادة لا استطيع وصفها..

كانت أمي سعيدة جدا وهي تنظر إلينا بينما التفتّ إلى رالف وتركت النظر الى أفراد الأسرة...رفعت رأسي إليه وهو ينظر إليّ بحبٍ وحنان ..كان يحيط خصري بذراعيه وانا امسك بذراعيه بكلتي يديّ..وأنظر إليه بحب..

تمنيت أن لا تنتهي تلك اللحظات السعيدة ...ولكن إلى هنا سأنهي كتابة روايتي التي هي حقيقية في كل تفاصيلها مع تغيير الأسماء والأماكن..لأنني لا اريد لأحد ما ان يعرفني بإسمي الحقيقي... وسأنشرها بإسم النرجس البري وتلك هي كنيتي التي كتبت بها روايتي هذه....كتبت هذه الرواية لأنني سأطبعها وانشرها في أميركا واحقق حلمي في كتابة القصص والروايات...واتمنى ان تكون قصتي قد نالت ولو بعضا من اعجابكم و رضاكم ...صدقوني ..لو نظرتم جيدا حولكم فستجدون نرجس معكم و بينكم لكنكم لا تعلمون من أنا ولم تنتبهوا على رالف وهو يجلس في منزل كبير انتقل إليه مع نرجس لأنه اصبح ابا لستة أطفال لأن زوجته نرجس قد أنجبت له ثلاث توائم اثنان ذكور وفتاتان توأم جميلتان مثل عمهما تماما ذي الشعر الطويل الأشقر والذي كان يزور توأمه بين الحين الآخر فيركض إليه التوائم الثلاث ليرفعهم بذراعيه القويتين واحدا تلو الاخر وهم يضحكون معه..ولن تعرفوا تلك الأستاذة الجامعية وهي

تسير قرب زوجها في جامعة واشنطن..ولن تتعرفوا على زوجها رالف و قد كبر في العمر لكنه لم يفقد وسامته ابدا....لكنكم ستجدونهما في الجوار دون أن تعرفوا من يكونان ....لأنني غيرت الأسماء كلها كما سلف وذكرت....واشكركم من كل قلبي لقراءتكم هذه السطور...أتمنى فعلا و من كل قلبي أن تجد كل فتاة فارس أحلامها وان تحقق ما تطمح إليه وأن تظل مصـــرّة على قراراتها وما تحب دون معصية الله..لأنها سوف تجد التسديد من الله في النهاية رغم كل الصـــعاب التي يمكن أن تواجهها...ومهما واجهت من تحديات وكلام من مجتمعها أيا كان فالمهم هو رضا الله ورضاها عن ذاتها وتعايشها بسلام مع نفسها لأنها في النهاية ستعيش مع ذاتها ولنفسها وليس لأجل رضا الناس والآخرين...شكرا لكم من القلب...ستجدونني قربكم دوما ...

النرجس البري

تمت بقلم الكاتبة :

نعمت مهدي محسن البياتي